MILLET GENEL KÜTÜPHANESİ
KISIM : Y. Ca mullah
ESKİ KAYIT No. 133
YENİ KAYIT No.
TASNİF No.

في موقف الحساب وقيل هي عبارة عن القضاء السوي والحكم العدل فمن ثقلت موازينه
جمع ميزان او موزون اي فمن رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات
ما يوزن به حسناتهم وعن الحسن وخفت موازينه ان ثقل وخف
توضع فيه الا يات ان يخف بايانا ظلموا
كقوله تعالى فطلا الك
فيها مكانا وقرارا او مكناكم فيها و
جمع معيشة ش به من الخط
به الى ارض وغيرها او ابتد
خلقناكم شبيه بصانعه
نرى الى قوله ح بن عامر انه همز
صلنه بدل سل تو لك يعني خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك
فان قلت ما فائدة و لا يكن اسجد والادم من الساجدين ممن سجد لا
لتحقق علم اهل الكتاب ان الا يعلم ا
بالسجود او حبه علمك ايجابها وحتمه وختم
علم ما منعه قلت للتوبيخ ولاظهار معاند
قول آدم وانه خالف امره بعتقدا انه غير واجب عليه لما راى
قول خارج من الصواب فان قلت كيف يكون قوله انا خير منه جوابا لما
يعني كذا قلت قد ابنا في قصة آخبر فيها عن نفسه بالفضل على
وملوان اصله من نار واصل آدم من طين فعلم منها الجواب وزيادة على
يمتنعا ان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه تقول من كان
ذا ان يومر بما امر به فاهبط منها من السماء التي هي مكان المطيعين المتوا
الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من المقلين فما يكون لك فيما يصح ا
عي فاخرج انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان على الله وعلى اول
قول الرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده قم راشدا وذلك انه لما
من الصغار وعن عمر من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشه
وعصمه الله من الارض فان قلت لم اجيب الا بشيطان و

اجب ١

احببت لنفسك عبوهم قلت لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من اعظم الثوا
حكمه خلق ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانس من
الشهوات ليمتحن بها عباده
بسبب اغوايك اياي لاقعدن لهم وهو تكليفه
لا يكنه مع كونهم افضل منه ومن آدم ان
نفذ على معصيتك والمعنى فبسبب
سببهم فان قلت
لاغوينهم
لاقعدن
باالله لاقعدن اي فبسبب اغو
اغوايك لاقعدن وانما اقسم بالاغواء لانه كان
السعا
المسبي
جلس اليه وقال له
طنك يقوم بلغ من تهالكم
على ان يبـ على الرسول صلى الله عل
للا يستفهام كانه حين با شيء غوتني ثم ابتداء
الجر على ما الاستفهامية لقلبل شاد واصل الغي
والبشم فساد لاقعدن لهم صراطك المستقيم
رض العدو وعلى الطريق على السابلة وانتصابه على الظرف
جاج بقولهم ضربه الظهر والبطن اي على الظ
عليهم من الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق
يك فعصاه فاسلم فقعد له بطريق الهجرة فقال له تدع دياره و
له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك
بينهم من الجهات الاربع التي باتي منها العدو وفي الغالب هذا مثل
كنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجل
قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شم

المفعول فيه عدّى الفعل نحو نعديته الى المفعول به كما اختلفوا حروف تعدية في ذلك اختلف
في هذا وكاشاغة توضد و لا تقاسي وانما نفتش عن صحة موتها فقط فلما سمعنا هم
تقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى يـ ـا معنى على يمينه انه تمكن
جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه و ـه انه جلس منحاز فيا عن صاحب
اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له م كثر حتى يكـ ـاني وغير كما ذكرنا في قوله
وعلى القوس ـه قولهم رميت ـ بل ان السهم بعد عنه
على كبد ما للرمي وبندى الرمي منه ـ لوا جلس بين يديه
للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهات
تزل بعض الليل وعن شقيق ما من صباح الا وانا
بين يدي ـ عن يميني وعن ـ الى ما من
كن وعمل
ـبه في الارض
العاقبة للمـ
قبل الشهوات فانزا وحيل بـ ـين ما يشتهون ولا
دليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقبل سمع
ـة اذا ذمه وقرا الزهري مذؤما بالتخفيف مثل مشوه
بعك موطية للقسم ولا أملأن جوابه وملوء اسد جوابا
تغليب ضمير المخاطب كما في قوله تعالى انكم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم
لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله تعالى لأملأن جهنم منكم اجمعين
الا نداء ولمن تبعك خبر ويا ادم وقلنا يا ادم وقرى هذي الشجرة وان لبيا
ما وسار وسوس اذا تكلم كلاما خفيا ومنه وسوس الحلي وهو فعل غير متعد
ووعوع الذئب وهو جلي موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له
وهو الذي تلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس
ليبدي جعل ذلك غرضا له ليسوءهما اذا رأيا ما يوثران يستر وان لا يطلعا
وفيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا

القفول

العقول فان قلت ما اللواو المضمومة في ووري لم تقلب همزة كما في أوتصل قلت وقد
جاء في قراءة عبد الله أوري بالقلب الا ان تكونا ملكين الاكراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل
على الملائكة بالمنظر الاعلى وان ـة تلمح مرتبتها كلا ولا وقرى ملكين بكسر اللام كقوله
وملك لا يبلى من الخالدين من الـ ـن ويبقون في الجنة ساكنين وقرى من سوءتهما
بالتوحيد وسوّاتهما بالقلب وقاسمهما وقا ـلهما اني لكما من الناـ
المقاسمة ان تقسم لصاحبك ـل يقول قاسـ ـا حالفته وقاسمه
قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه قلت كانه قال لهما أقسم لكما
أقسم بالله انكما لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم او أقسم لهما با
تقدم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها

سجرة بغـ
كان اد
يل له
شجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم
أخذس
ـلهما وكانا يريانهما من انفسهما ولا اصلها
ـى تهافت عنهما
ـه رضي الله عنهما ما دامت منه ولا راى مني وعن سعيد بن جبير كان لباس
طفار وعن وهب كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر وقال طفقا
ـعل بفعل وقرا ابو السماك وطفقا بالفتح لخصفان ورقة توت ورقة
كما تخصف النعل بان يجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسبور وقـ
ـ بكسر الخاء وتشديد الصاد واصله يختصفان وقراءة الزهري يخـ
وهو مقلوب من خصف اي يخصفان انفسهما وقرى يخصفان من خصف
الجنة قيل كان ورق التين الم تنهكما عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على الـ
تحذيرا ما حذرهما الله من عداوة ابليس وروى انه قال لادم الم يكن لك
الجنة منذوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان
بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض لاتنال العيش الا كدا فاهبط
الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد ودأس وذرى وعجن وخـ

وان كان صغيرًا مغفورا ظلما لانفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاولياء
والصالحين في استعظامهم الصغير من السيات واستصغارهم العظيم من الحسنات
اهبطوا الخطاب لادم وحوا وابليس وبعضكم لبعض عدو في موضع الحال اى متعادين
يعاديهما ابليس وبعاديانه مستقرا استقرارًا دائما سقرار ومتاع وانتفاع بعيش
الى حين لا انقضاء اجالكم وعرفت البنا في لما الا حضرته الوفاة احاطت به
الملائكة فحملت حوّاء ودرجولهم لها خلي ملايكة ربي فانما اصابني الذي اصابني
فبك فلما توفي غسلته الملايكة بماء وسدر وترًا وحنطته ولفته في وتر من الثياب
وحفروا له واود فنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذا سنتكم بوك
حملها في الارض نزلا من السماء لانه قضى تم وكنت منه وانزل لكم من ا ثمان
ازواج والوشي لباس الزينة اشتر الطيلسان لانه لباسه و
عليكم لباسين لباسا يواريكم وليا سواكم ولبا
تتزينوا به في اعين الناس لان الزينة غرض
كشعيث وشعاب ولباس التقوى ولبا ي الله تعالى عنه
الابتداء وخبره اما الجملة التي هي ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى
سماء الاشارة تقرر من الضامر فيما يرجع الى عود الذكر ولباس التقوى
صفة للمبتداء كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير ولا يخلو الاشارة
ادها تعظيم لباس التقوى او ان يكون اشارة الى اللباس الموارى للسوءة
ة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى
الله وابي ولباس التقوى وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس
خانو وغيرها مما يتقي به الحروب وقوى ولباس التقوى بالنصب
نا ورفع شاذ ذلك من اباة الله الذي خصه بفضله ورحمته على عباده
باس يعلم بذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الاية واردة
استطراد عقيب بدو السوءات وخصف الورق عليها اظهارًا للمنة
اللباس ولما في التعري وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا
عظيم من ثواب التقوى لا يغتنكم الشيطان لا يحملنكم بان لا تدخلوا

القول ٥

على الجلح وعن قتادة انه قال لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة ما اعلم لها في الارض
في السماء متصعدًا حتى توافي بها القمة البابت الذي بث بالحجة والبرهان في قلب
من فيه فاعتقده واطمانت اليه نفسه وتثبتهم به في الدنيا انهم اذا فتنوا في دينهم لم
الذين فهم اصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير وامتشطت لحومهم بامشاط
بت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم في الاخرة انهم اذا سئلوا عند توافد
معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يهتوا ولم تحيرهم اهوال المحشر وفصل معناه الثبات
القبر وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن
عاد الروح في جسده فيجيئه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك وما دينك ومن
يقول ربي الله ودبني الاسلام ونبي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فافرشوه
الله الذين آمنوا بالقول الثابت وتضل الله الظالمين الذين لم تتمسكوا بالحجة في دينهم وانما
تعبروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون اباءهم فقالوا انا وجدنا اباءنا على امة
ضلالهم في الدنيا انهم يثبتون في مواقف الفتن وينزل اقدامهم اول شيء وهم في الاخرة اضل
ويفعل الله ما يشاء اي بوجيه الحكمة لان مشيئة الله تابعة للحكمة من يثبت المؤمن
تبديلهم وعصمتهم عند ثباتهم وعنهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم و
يزلزلهم بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله كفرا لان شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كف
غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحو ويجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم حيث
موضعه ووجه آخر وهو انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا
النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم بدل النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام
اكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم واصابهم الله بالنقم
السنة لابلا فهم الرحلين فكفروا نعمة الله فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكف
حين اسروا وقتلوا يوم بدر وقد ذهبت عنه النعمة ونفى الكفر طوقاني اعناقهم وعن ع
الاخوان من ثقيف بنو المغيرة وبنو اسية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بد
احتى حيهم وقتلاهم منصرف العرب جملة من الايهم واصحابه واعلوا قو
دار البوار دار الهلاك وعطف جهنم على دار البوار عطف بيان فمن لم يصلوا نفس
الضلال والاضلال لم يكن غرضهم في الحاد الانداد وما معنى اللام قلت لما كان

نتيجة اتحاد الاضداد كما كان الاكرام فى قولك حسنك ليكرمنى نتيجة المجئ دخلته ا
على طريق التشبيه والتقريب تمموا ايذان بانهم لا نفعا سهم فى التمتع بالجا
غيره ولا يبدونه ماموون به فى امرهم آمرهم مطاع لا يسعهم ان يخالفوه و
امر ادونه وملوا امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لا
مصيركم الى النار وجوز ان يراد الخذلان والمخلية وتحو قل تمتع بكفرك انك
المقول محذوف لانه جواب قل يدل عليه ويقدر قل لعبادى الذين امنوا اقيم
يقيموا الصلاة وينفقوا وجوزوا ان تكون تقيموا وتنفقوا بمعنى ليقيموا ولينف
موا المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذى هو قول عوض منه ولو سل تقي
وينفقوا ابتداء لحذف اللام لم يجز فان قلت علام انتصب سرا وعلانية قلت
سرا وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اى وقتى سر وعلانية او على المص
سرا واتفاق علانية والمعنى اخفاء المتطوع به من الصدقات والاعلان بالو
المخالة فان قلت كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال
تخرجون اموالهم فى عقود المعاوضات فيعطون بدلا لياخذوا مثله وفى المكارمات و
الاصدقاء ليتحروا بهدايا هم امثالها او جزاء منها واما الانفاق لوجه الله تعالى خال
احد عنه من نهمة تجرى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المومنون المخلص فيه
ساخذوا بدله فى يوم لا بيع فيه ولا خلال اى لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وا
بيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينفع فيه بالانفاق لوجه الله و
ولا خلال بالرفع الله مبتدا والذى خلق خبره ومن الثمرات للرزق اى اخرج به رزقا
ان تكون من الثمرات مفعولا اخرج ورزقا حالا من المفعول به او نصبا على المصدر من اخ
رزق بامر مقوله كن فيكون بيد الله فى سيرهما وانا دتهما ودرهما الطلات وا
من الارض والابدان والنبات وسخر لكم الليل والنهار متعاقبان خلفة لحاجتكم
من كل ما سالتموه من للتبعيض اى اتاكم بعض جميع ما سالتموه نظرا فى مصالحكم
وما سالتموه نفى ومحله النصب على الحال اى اتاكم من جميع ذلك غير سائليه وكون
على واتاكم من كل ذلك ما احتجتم الله ولم تصلح احوالكم ومعاشكم الا به فكانكم سالتموه او لانه
ان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا اذا اريد بالانسان

الجنة كما تحن آبوكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال اى اخرجهما نازعا
لباسهما بان كان سببا لان نزع عنهما انذركم يوعليل النهى وتحذير من فتنته بانه بمنزلة
العدو المداجى كيدكم ويغتنا كم من حيث لا تشعرون وعن ملك بن دينار ان عدو ابراك
ولا تراه لشديد المونة الا من عصم الله وقبيله وجنوده من الشياطين وفيه دليل
بين ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهار هم انفسهم ليس فى استطاعتهم
وان زعم من يدعى رويتهم زور وتخرقه انا جعلنا الشياطان اولياء للذين لا يومنون اى خليينا
بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم واطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصى وهذا
تحذير آخر ابلغ من الاول فان قلت علام عطف وقبيله قلت على الضمير فى يراكم المؤكد
بهو والضمير فى انه ضمير الشان والحديث وقرا اليزيدى وقبيلة بالنصب وفيه وجهان
ان تعطفه على اسم ان وان تكون الواو بمعنى مع واذا عطف على اسم ان وهو الضمير فى انه
كان راجعا الى ابليس الفاحشة ما تبالغ فى قبحه من الذنوب اى اذا فعلوها اعتذروا
بان آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله امرهم بان يفعلوها وكلاهما باطل من العذر
لان احدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثانى افتراء على الله والحاد فى صفاته
كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن بعث محمدا صلى الله عليه
وسلم الى العرب وهم قدريه مجبره مجبولون ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله
عز وجل واذا فعلوا فاحشة قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان فعل القبيح مستحيل عليه
لعدم الداعى ووجود الصارف كيف يامر بفعله اتقولون على الله ما لا تعلمون انكارا لاضافتهم
القبيح الله وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طو
البيت عراة بالقسط بالعدل وبما قام فى النفوس انه مستقيم حسن عند كل
قل بالتوحيد واقيموا وجوهكم وقل اقيموا وجوهكم اى اقصدوا
اليها غير عادلين الى غيرها عند كل مسجد فى كل وقت سجود او فى كل مكا
ادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اى الطاعة مبتغين بها وجهه ظ
كما انشاكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم فى انكارهم الاعادة بابتدا الخلو
فريقا هدى فريقا حق عليهم الضلالة اى كلمة الضلالة وعلم الله انهم يضلون ولا يهتد

قوله وفريقا يفعل بتفسيره ما بعده كانه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة انهم ان
الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين اولياء اي تولوهم بالطاعة فيما امروهم
به وهذا دليل على ان علم الله لا اثر له في ضلالهم وانهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم
الشياطين دون الله تعالى خذوا زينتكم اي ريشكم ولباس زينتكم عند كل مسجد كلما صليتم
او طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يامرهم بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف
عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا
نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل
الزينة المشط وقيل الطيب والسنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وكان
بنو عامر في ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال
المسلمون فانا احق ان نفعل فقيل لهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وعن ابن عباس كل ما شئت
والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وحكي ان الرشيد كان له طبيب نصراني
حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم
الاديان فقال له قد جمع الطب كله في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قوله تعالى وكلوا
واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا
صلى الله عليه وسلم الطب في الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية راس
كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا
زينة الله من الثياب وكل ما يتجمل به والطيبات من الرزق المستلذات من الماكل والمشارب
الاستفهام في من انكار تحريم هذه الاشياء وقيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة
منها من لحمها وشحمها ولبنها قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا غير خالصة لهم لان
كا وهم فيها خالصة يوم القيمة لا يشركهم فيها احد فان قلت هلا قيل هي للذين
قلت لتنبيه على انها خلقت للذين امنوا على طريق الاصالة وان الكفرة تبع لهم
كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على
انها خبر بعد خبر الفواحش ما تفاحش قبحه اي تزايد وقيل هي ما
والاثم عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر والبغي الظلم والكبر افرده بالذكر
الفحشاء والمنكر والبغي ما لم ينزل به سلطانا تهكم لانه لا يجوز ان ينزل

برهانا

قالوا اينما كنتم تدعون من دون الله

برهانا بان يشرك به غيره وان تقولوا على الله وان تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من
التحريم وغيره ولكل امة اجل وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل في اجل معلوم عند الله كما
نزل بالامم وقرئ فاذا جاء اجلهم وقال ساعة لانها اقل الاوقات في الاستعمال يقول المستعجل
لصاحبه في ساعة يريد اقصر وقت واقربه اما ياتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها
ما موكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة فان قلت فما جزاء
هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى واصلح منكم والذين
كذبوا منكم وقرئ ياتينكم بالتاء فمن اظلم ممن اشنع ظلما ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب
ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار حتى اذا جاءتهم
رسلنا حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له الى وقت وفاتهم وهي التي يبتدأ بعدها
الكلام والكلام ها هنا الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا ويتوفونهم حال من الرسل
اي متوفيهم والرسل ملك الموت واعوانه وما وقعت موصولة باين في خط المصحف
وكان حقها ان تفصل لانها موصولة بمعنى اين الالهة الذين تدعون ضلوا عنا غابوا
فلا نراهم ولا ينتفع بهم اعترافا منهم بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وانهم لم يحمدوه في العاقبة
قال ادخلوا اي يقول الله تعالى يوم القيمة لاولئك الذين قال فيهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
وكذب باياته وهم كفار العرب في امم في موضع الحال اي كائنين في جملة امم وفي غمارهم مصاحبين
لهم اي ادخلوا في النار مع امم قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم لعنت اختها التي ضلت
بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها اي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار قالت اخراهم
منزلة وهي الاتباع والسفلة لاولاهم منزلة وهي القادة والرؤس ومعنى لاولاهم لاجل
اولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم عذابا ضعفا مضاعفا لكل ضعف لان كلا من القادة
والاتباع كانوا ضالين مضلين ولكن لا يعلمون قرئ بالياء والتاء فما كان لكم علينا من فضل
عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف اي فقد ثبت ان لا فضل علينا وانا
متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب من قول القادة او من قول الله تعالى لهم
جميعا لا تفتح لهم ابواب السماء لا يصعد لهم عمل صالح اليه يصعد الكلم الطيب كلا ان كتاب الابرار لفي
عليين وقيل ان الجنة في السماء فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم اليها
ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواح المؤمنين وقيل لا ينزل عليهم

فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون

البركة ولا يغاثون ففتحنا ابواب السماء وقرئ لا تفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء ولا
تفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للايات وبالياء على ان الفعل لله
عز وجل وقراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الجمل بوزن القمل وسعيد بن جبير الجمل
بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل ومعناها
القلس الغليظ لانه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الله تعالى
احسن تشبيها من ان يشبه بالجمل يعني ان الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم
الابرة والبعير لا يناسبه الا ان قراءة العامة اوقع لان سم الابرة مثل في ضيق المسلك
يقال اضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت لاهتدائه في المضايق
المشبهة باخرات الابر والجمل مثل في عظم الجرم قال جسم الجمال واحلام العصافير
ان الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون
ابدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج الا في باب واسع في ثقب الابرة وعن ابن مسعود رضي الله
تعالى عنه انه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب معنى
آخر تكلف وقرئ في سم بالحركات الثلاث وقراءة عبد الله في سم المخيط والخياط والمخيط
كالحزام والمحزم ما يخاط به وهو الابرة وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين ليؤذن
ان الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب وان كل من اجرم عوقب وقد كرره فقال وكذلك
نجزي الظالمين لان كل مجرم ظالم لنفسه مهاد فراش غواش اغطية وقرئ غواش بالرفع
كقوله تعالى وله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله لا نكلف نفسا الا وسعها جملة معترضة
بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم
بما هو في الوسع وهو الامكان الواسع غير الضيق من الايمان والعمل الصالح وقراءة الاعمش لا تكلف
نفس من كان في قلبه غل اخيه في الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا
التوادد والتعاطف وعن علي رضي الله تعالى عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير
منهم هدانا لهذا اي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الايمان والعمل الصالح وما كنا
لنهتدي اللام لتوكيد النفي يعنون وما كان يستقيم ان نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه
وفي مصاحف اهل الشام ما كنا لنهتدي بغير واو على انها موضحة للاولى لقد جاءت رسل ربنا
بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما
نالوا

نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك
ولا يتمالك ان لا يقوله للفرح لا للقربة ان تلكم الجنة ان مخففة من الثقيلة تقديره
ونودوا بانه تلكم الجنة اورثتموها والضمير ضمير الشان والحديث وتكون بمعنى اي لان
المناداة من القول كانه قيل وقيل لهم تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون بسبب اعمالكم
لا بالتفضل كما تقول المبطلة ان في قد وجدنا يحتمل ان تكون مخففة من الثقيلة وان
تكون مفسرة كالتي سبقت انفا وكذلك ان لعنة الله على الظالمين وانما قالوا لهم ذلك
اغتباطا بحالهم وشماتة باصحاب النار وزيادة في غمهم وليكون حكايته لطفا لمن
سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يامره الله فينادي بينهم نداء
يسمع اهل الجنة واهل النار وقرئ ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقراءة الاعمش ان
لعنة الله بكسر ان على ارادة القول او على اجراء اذن مجرى قال فان قلت هلا قيل ما
وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا قلت حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا عليه ولقائل
ان يقول اطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر احوال
القيامة لانهم كانوا مكذبين بذلك اجمع ولان الموعود كله مما ساءهم وما نعيم اهل الجنة
الا عذاب لهم فاطلق لذلك وبينهما حجاب يعني بين الجنة والنار او بين الفريقين وهو السور
المذكور في قوله تعالى فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب وهو السور المضروب بين
الجنة والنار وهي اعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك رجال من المسلمين من
آخرهم دخولا في الجنة لقصور اعمالهم كانهم المرجون لامر الله يحبسون بين الجنة والنار
الى ان يؤذن لهم في دخول الجنة يعرفون كلا من زمر السعداء والاشقياء بسيماهم بعلامتهم
التي اعلمهم الله بها يلهمهم الله ذلك او تعرفهم الملائكة اذا نظروا الى اصحاب الجنة بالتسليم عليهم
واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار ورأوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا
الى رحمته ان لا يجعلهم معهم ونادوا رجالا من رؤوس الكفرة يقولون لهم اهؤلاء الذين اقسمتم لا
ينالهم الله برحمة اشارة لهم الى اهل الجنة الذين كانوا الرؤوس يستهينون بهم ويحتقرونهم
لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة يقال
لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى الفريقين ويعرفوهم
بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفائدة ذلك ان الجزاء على قدر الاعمال وان التقدم والتاخر على حسبها

وان احدًا لا يسبق عند الله الا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنده الا بتخلفه فيه
وليرغب السامعون في حال السابقين ويحرصوا على احراز قصبتهم وليتصوروا ان كل
احد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب ان يوسم بها من اهل الخير والشر فيرتدع
المسيء عن اساءته ويزيد المحسن في احسانه وليعلم ان العصاة يوبخهم كل احد حتى اقصر
الناس عملا وقوله واذا صرفت ابصارهم فيه ان صارفا يصرف ابصارهم فينظروا
فيستعيذوا ويوبخوا وقرا الاعمش واذا قلبت ابصارهم وقرئ ادخلوا الجنة على البنا
للمفعول وقرا عكرمة دخلوا الجنة فان قلت كيف لام ما بين القراءتين قوله لا خوف
عليكم ولا انتم تحزنون قلت تاويله ادخلوا الجنة او دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف
عليكم ولا انتم تحزنون فان قلت ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون قلت لا محل له
لانه استيناف كان سايلا سال عن حال اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون
يعني حالهم ان دخولهم الجنة استاخر عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين
وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز ان يكون له محل بان يقع صفة لرجال ما اغنى عنكم جمعكم
المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ
تستكثرون من الكثرة افيضوا علينا فيه دليل ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله
من غيره من الاشربة لدخوله في حكم الافاضة ويجوز ان يراد والقوا علينا مما رزقكم
الله من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا وانما يطلبون ذلك مع يأسهم
من الاجابة اليه خيرة في امرهم كما يفعل المضطر الممتحن حرمهما على الكافرين منعهم
شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله حرام على عيني ان يطعما
الكرى فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم
به كما نسوا لقاء يومهم هذا كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا
به فصلناه على علم عالمين كيف نفصل احكامه ومواعظه وقصصه وساير معانيه
حتى جاء حكيما قيما غير عوج وقرا ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة بمعنى فضلناه
على جميع الكتب عالمين انه اهل للتفضيل عليها وهدى ورحمة حال من منصوب فصلناه
كما ان على علم حال من مرفوعه الا تاويله الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه
وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد قد جاءت رسل ربنا بالحق اي تبين

وصح

فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل

٨

وصح انهم جاؤا بالحق نرد جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام
كانه قيل هل لنا من شفعاء او هل نرد ورافعة وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتدا
هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه ولا يقدر هل يشفع لنا شافع او نرد
وقرا ابن ابي اسحق او نرد بالنصب عطفا على فيشفعوا او يكون بمعنى اي يشفعون لنا
حتى نرد فنعمل وقرا الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل يغشي الليل
النهار وقرئ يغشى بالتشديد اي يلحق الليل بالنهار او النهار بالليل يحتملهما جميعا
والدليل على الثاني قراءة حميد يغشي الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار
اي يدرك النهار الليل ويطلبه حثيثا حسن الملائمة لقراءة حميد بامره بمشيئته
وتصريفه وهو متعلق بمسخرات اي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد
ان يصرفها سمى ذلك امرا على التشبيه كانهن مامورات بذلك وقرئ والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بالرفع ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بامره قال الا له الخلق والامر
اي هو الذي خلق الاشياء وهو الذي صرفها على حسب ارادته تضرعا وخفية نصب على
الحال اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة وهو الذل
اي تذللا وتملقا وقرئ خفية وعن الحسن رحمه الله تعالى ان الله يعلم القلب التقي والدعاء
الخفي لقد جمع القران وما يشعر به جاره وان كان الرجل ليفقه الفقه الكثير ولا يشعر
الناس به وان كان الرجل ليصلي الصلوة الطويلة وعنده الزور وما يشعر به ولقد
ادركنا اقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون ان يعملوه في السر فيكون علانية ابدا
ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين
ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد اثنى على زكريا فقال اذ
نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا انه لا
يحب المعتدين اي المجاوزين ما امروا به في كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج هو رفع الصوت
بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب في الدعاء وعن
النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني
اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم
قرا قوله تعالى انه لا يحب المعتدين ان رحمة الله قريب من المحسنين كقوله تعالى واني لغفار

لمن تاب وآمن وعمل صالحا وانما ذكر قريب على تاويل الرحمة بالرحم او الترحم او لانه
صفة موصوف محذوف اي شيء قريب او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول
كما شبه ذلك به فقيل قتلاء واسراء او على انه بزنة المصدر الذي هو
النقيض والضغيب او لان تانيث الرحمة غير حقيقي قرئ نشرا وهو مصدر نشر
وانتصابه اما لان ارسل ونشر متقاربان فكانه قيل نشرها نشرا واما على الحال
بمعنى منتشرات ونشرا بتخفيف نشر كرسل ورسل وقراء مسروق نشرا
بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كنقض وحسب ومنه قولهم ضم نشره وبشرا جمع
بشير وبشرا بتخفيفه وبشرا بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشره اي باشرات
وبشرى بين يدي رحمته امام نعمته وهي الغيث الذي هو اجل النعم واحسنها
اثرا اقلت حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى ما
يرفعه قليلا سحابا ثقالا سحابت ثقالا بالماء جمع سحابة سقناه الضمير للسحاب
على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا
لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه وقرئ ميت فانزلنا به بالبلد او
السحاب او بالسوق وكذلك فاخرجنا به كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج
الثمرات مخرج الموتى لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين
اذ كل واحد منهما اعادة للشيء بعد انشائه البلد الطيب الارض العذاة الكريمة التربة
والذي خبث الارض السبخة التي لا تنبت ما ينتفع به باذن ربه بتيسيره
وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع في مقابلة
نكدا والنكد الذي لا خير فيه وقرئ يخرج نباته اي يخرجه البلد وينبته وقوله
والذي خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف
المضاف اليه الذي هو الراجع الى البلد مقامه الا انه كان مجرورا بارزا فانقلب
مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل او يقدر ونبات الذي خبث وقرئ نكدا
بفتح الكاف على المصدر اي ذا نكد ونكدا باسكانها للتخفيف كقوله نزه عن الريب
بمعنى نزه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شيء
من ذلك وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله

بعقله

والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا

بعقله فوعاه وانتفع به كالارض الطيبة اصابها الغيث فانبتت والكافر بخلاف ذلك
وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق
الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة
الله وهم المؤمنون ليفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرف بالياء اي يصرفها الله لقد
ارسلنا جواب قسم محذوف فان قلت ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد
وقل عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة كاذب لناموا قلت انما كان ذلك لان الجملة
القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى
التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل ارسل نوح وهو ابن خمسين
سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس النبي صلى
الله عليه وسلم وقرئ غيره بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله غيره والجر
على اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من اله الا الله كقولك ما في الدار من احد الا
زيدا وغير زيد فان قلت ما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت الاولى بيان لوجه
اختصاصه بالعبادة والثانية بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذور عقابه
دون من كان يعبدونه من دون الله واليوم العظيم يوم القيمة او يوم نزول العذاب
عليهم وهو الطوفان الملأ الاشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء في ضلال
في ذهاب عن طريق الصواب والحق ومعنى الرؤية رؤية القلب فان قلت لم قال ليس بي
ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا قلت الضلالة اخص من الضلال فكانت ابلغ في نفي الضلال
عن نفسه كانه قال ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل الك تمر فقلت ما لي تمرة فان قلت
كيف وقع قوله ولكني رسول استدراكا للانتفاء عن الضلالة قلت كونه رسولا من الله
مبلغا رسالاته ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكا
للانتفاء عن الضلالة وقرئ ابلغكم بالتخفيف فان قلت كيف موقع قوله ابلغكم قلت فيه
وجهان ان يكون كلاما مستانفا بيانا لكونه رسول رب العالمين والثاني ان يكون صفة
لرسول فان قلت كيف جاز ان يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب قلت جاز
ذلك لان الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب فكان في معناه كما قال انا الذي سمتني امي
حيدره رسالات ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة من الاوامر

والنواهي والمواعظ والزواجر والبشاير والنذاير ويجوز ان يريد رسالاته اليه والى
الانبياء قبله من صحف ادريس وهي ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون
صحيفة وانصح لكم يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على
امحاض النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب
نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة امحض من نصيحة
الله ورسله واعلم من الله ما لا تعلمون اي من صفات الله واحواله يعني قدرته الباهرة
وشدة بطشه على اعدايه وان باسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم
حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي الله او اراد واعلم من جهة
الله اشيا لا علم لكم بها قد اوحي الي بهذه او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف
والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر موعظة من
ربكم على رجل منكم على لسان رجل منكم كقوله تعالى ما وعدتنا على رسلك وذلك انهم كانوا
يتعجبون من نبوة نوح عليه الصلوة والسلام ويقولون ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين
يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملايكة لينذركم ولتتقوا ليحذركم عاقبة
الكفر ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار ولعلكم ترحمون ولترحموا بالتقوى
ان وجدت منكم والذين معه قيل كانوا اربعين رجلا وامراة وقيل تسعة وهم بنوه
سام وحام ويافث وستة ممن آمن به فان قلت في الفلك بم يتعلق قلت هو متعلق
بمعه كانه قيل والذين استقروا معه في الفلك او صبحوه في الفلك ويجوز ان يتعلق
بفعل الانجاء اي انجيناهم في السفينة من الطوفان عمين عمي القلوب غير مستبصرين
وقرئ عامين والفرق بين العمي والعامي ان العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث ونحوه
قوله تعالى ضايق به صدرك اخاهم واحدا منهم من قولك يا اخا العرب للواحد منهم وانما جعل
واحدا منهم لانهم افهم عن رجل منهم واعرف بحاله في صدقه وامانته وهو هود بن شالخ بن
ارفخشد بن سام بن نوح واخاهم عطف على نوحا وهودا عطف بيان له فان قلت
لم حذف العاطف من قوله تعالى قال يا قوم ولم يقل فقال كما في قصة نوح قلت هو على تقدير
سوال سايل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال الملاء فان قلت
لم وصف الملاء بالذين كفروا دون الملاء من قوم نوح قلت كان في اشراف قوم هود من
آمن

آمن به منهم مرثد بن سعد الذي اسلم وكان يكتم اسلامه فاريدت التفرقة بالوصف ولم
يكن في اشراف قوم نوح مومن ونحوه وقال الملاء من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء
الآخرة ويجوز ان يكون وصفا واردا للذم لا غير في سفاهة في خفة حلم وسخافة
عقل حيث تهجر دين قومك الى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز ارادوا
انه متمكن فيها غير منفك عنها وفي اجابة الانبياء عليهم الصلوة والسلام من نسبهم الى
الضلال والسفاهة بما اجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة
بما قالوا لهم مع علمهم ان خصومهم اضل الناس واسفههم ادب حسن وخلق عظيم وحكاية
الله تعالى ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون اذيالهم على
ما يكون منهم ناصح امين اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فما حقي ان اتهم او انا لكم ناصح
فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في الارض
او جعلكم ملوكا في الارض قد استخلفكم فيها بعدهم في الخلق بسطة فيما خلق من اجرامكم ذهابا
في الطول والبدانة قيل كان اقصرهم ستين ذراعا واطولهم ماية ذراع فاذكروا آلاء الله
في استخلافكم وبسطة اجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الآلاء الى ونحوه اني
واناء وضلع واضلاع وعنب واعناب فان قلت اذ في قوله تعالى اذ جعلكم خلفاء ما
وجه انتصابه قلت هو مفعول به وليس بظرف اي اذكروا وقت استخلافكم اجيتنا
لنعبد الله وحده انكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الاباء في
اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا لما نشاوا عليه والفا لما صادفوا اباءهم يتدينون به
فان قلت ما معنى المجيء في قوله اجيتنا قلت فيه اوجه ان يكون لهود عليه الصلوة
والسلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرا
قبل المبعث فلما اوحي اليه جاء قومه يدعونهم وان يريدوا به الاستهزاء لانهم كانوا يعتقدون
ان الله لا يرسل الا الملايكة فكانهم قالوا اجيتنا من السماء كما يجي الملك وان لا يريدوا حقيقة
المجي ولكن التعرض بذلك والقصد يقال ذهبت تشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا
قصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك فاتنا بما تعدنا استعجال منهم للعذاب
قد وقع عليكم اي حق عليكم ووجب او قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع
ونحوه قولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان ذلك وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور

ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين

وهو طفل فجاء يبكي فقال يا بني ما لك قال يسعني طوير كانه ملتف في بردي حبرة
فضمه الى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر والرجس العذاب من الارتجاس
وهو الاضطراب في اسماء سميتموها في اشياء ما هي الا اسماء ليس تحتها مسميات لانكم
تسمونها الهة ومعنى الالهية فيها معدوم محال وجوده وهذا كقوله ما تدعون من دونه
من شيء ومعنى سميتموها سميتم بها من قولك سميته زيدا وقطع دابرهم استيصالهم
وتدميرهم عن آخرهم وقصتهم ان عادا قد تسلطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت
وكانت له اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا نبيا
وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم
القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه
عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاود
بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا
منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية
بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا
عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما راى طول
مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري
وهاولاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم
عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال
معاوية الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما
فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما فلما غنتا به قالوا
ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا
لقومكم فقال له مرثد بن سعد والله لا يسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم
وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن
معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم
اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشاء الله تعالى سحابات ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء
ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء
فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها

وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمومنون معه
فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا فان قلت ما فايدة نفي الايمان عنهم في قوله وما كانوا
مومنين مع اثبات التكذيب بايات الله قلت هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد
ومن نجا مع هود عليه الصلاة والسلام كانه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم
يكونوا مثل من آمن منهم ليوذن ان الهلاك خص المكذبين ونجى الله المومنين قرى الى ثمود بمنع
الصرف بتاويل القبيلة والى ثمود بالصرف بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم
الاكبر وهو ثمود بن عاد بن ارم بن سام بن نوح اخو ادريس وقيل سميت ثمود لقلة مائها
من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى
قد جاءتكم بينة اية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتي وكانه قيل ما هذه البينة فقال
هذه ناقة الله لكم اية واية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى
الفعل كانه قيل اشير اليها آية ولكم بيان لمن هي له اية موجبة عليه الايمان خاصة
وهم ثمود لانهم عاينوها وساير الناس اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كانه قال لكم
خصوصا وانما اضيفت الى اسم الله تعالى تعظيما لها وتفخيما لشانها وانها جاءت من عنده
مكونة من غير فحل وطروقة آية من اياته كما تقول اية الله وروي ان عادا لما
اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل
كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء
من العيش فعتوا على الله تعالى وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا
وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم
مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسالوه اية فقال اية اية تريدون قالوا تخرج
معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فندعوا الهك وندعوا الهتنا فان استجيب
لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها
الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية
الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء
والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليه
الصلوة والسلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتومنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعى

ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبرا كما
وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظمها وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم
فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة
مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت راسها
في البئر فما ترفعه حتى تشرب كلما فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤا حتى تمتلي اوانيهم
فيشربون ويدخرون قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة
فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها
انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت بطن الوادي فتهرب مواشيهم الى
ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امراتان ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت
به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق
سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى
ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفتحت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم
صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث
ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله
الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع
فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا تاكل في ارض الله اي الارض ارض الله والناقة
ناقة الله فذروها تاكل في ارض ربها فليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات من انباتكم
ولا تمسوها بسوء لا تضربوها ولا تضردوها ولا تربوها بشيء من الاذى اكراما لاية الله
ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن
احد منكم القرية ولا يشربوا من مائها ولا يدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين
ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال صلى الله عليه وسلم يا علي اتدري من اشقى الاولين
قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الاخرين قال قاتلك وقرا
ابو جعفر في رواية تاكل في ارض الله وهو في موضع الحال بمعنى اكلة وبوأكم ونزلكم
والمباءة المنزل في الارض في ارض الحجر بين الحجاز والشام من سهولها قصورا
اي تبنونها من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والاجر وقرا الحسن

وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كقوله تنباع من ذفرى اسيل حرة
فان قلت علام انتصب بيوتا قلت على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر
هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب
والقصبة قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في
الصيف والجبال في الشتاء للذين استضعفوا للذين استضعفهم رؤسا الكفار
واستذلوهم ولمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا فان قلت الضمير في منهم راجع الى
ماذا قلت الى قومه او الى الذين استضعفوا فان قلت هل لاختلاف المرجعين اثر في
اختلاف المعنى قلت نعم وذلك ان الراجع اذا رجع الى قومه فقد جعل من آمن مفسرا لمن
استضعف منهم فدل ان استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين واذا رجع الى الذين استضعفوا
لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل ان المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين اتعلمون ان
صالحا مرسل من ربه شيء قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة اتعلمون
ان الله فوق العرش فان قلت كيف صح قولهم انا بما ارسل به مؤمنون جوابا عنه قلت
سالوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله امرا معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كانهم قالوا
العلم بارساله وبما ارسل به لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وانارته وانما الكلام
في وجوب الايمان به فيخبركم انا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة انا بالذي آمنتم
به كافرون فوضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما واخذوه
مسلما فعقروا الناقة اسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم وان لم يباشره الا
بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم وعتوا عن امر
ربهم وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله عاتين وامر ربهم ما امر به على لسان صالح
عليه الصلوة والسلام من قوله فذروها تاكل في ارض الله او شان ربهم وهو دينه ويجوز
ان يكون المعنى وصدر عتوهم عن امر ربهم كان امر ربهم كان امر ربهم كان هو السبب في
عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن امري ابينا بما تعدنا ارادوا من العذاب وانما
جاز الاطلاق لانه كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم به لذلك عاقلوه بما هم به كافرون
وهو كونه من المرسلين الرجفة الصيحة التي زلزلت لها الارض واضطربوا لها في دارهم
او في مساكنهم جاثمين هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم اي قعود لا حراك بهم ولا

ينبسون نبسة ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوايمها
لترى وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسالوا الايات فقد
سالها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من
هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروي ان صالحا
كان بعثه الى قوم يخالف امره وروي انه مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا
قالوا الله ورسوله اعلم فذكر قصة ابي رغال وانه دفن ها هنا ودفن معه غصن
من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن فتولى عنهم الظاهر
انه كان مشاهدا لما جرى عليهم وانه تولى عنهم بعد ما ابصرهم جاثمين تولى مغتم متحسر
على ما فاته من ايمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد بذلت فيكم وسعي ولم الكم جهدا في
ابلاغكم والنصيحة لكم ولكنكم لا تحبون الناصحين ويجوز ان يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم
منكر لاصرارهم حين راى العلامات قبل نزول العقاب روي ان عقرهم الناقة كان يوم
الاربعا ونزل بهم يوم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مايه وعشرة من المسلمين وهو يبكي
فالتفت فراى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمايه دار وروي انه
رجع بمن معه فسكنوا ديارهم فان قلت كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين
قلت قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يسمع منه حتى القى بنفسه
في التهلكة يا اخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية
حال ماضية ولوطا ارسلنا لوطا واذ ظرف لارسلنا او واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى
واذكر وقت قال لقومه اتاتون الفاحشة اتفعلون السيئة المتمادية في القبح
ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها
قبله ومنه قوله عليه الصلوة والسلام سبقك بها عكاشة من احد من العالمين من الاولى
زايدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض فان قلت ما موقع
هذه الجملة قلت هي جملة مستانفة انكر عليهم اولا بقوله اتاتون الفاحشة ثم وبخهم عليها
فقال انتم اول من عملها او على انه جواب لسوال مقدر كانهم قالوا لم لا ناتيها فقال ما سبقكم
بها احد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به اينكم لتاتون الرجال بيان لقوله اتاتون الفاحشة
والهمزة مثلها في اتاتون للانكار والتعظيم وقرئ ايكم على الاخبار المستانف لتاتون الرجال

من اتى المراة اذا غشيها شهوة مفعول له اي للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد
الشهوة من غير داع آخر ولا ذم اعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمية وانهم لا داعي لهم
من جهة العقل البتة لطلب النسل ونحوه او حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة
غير ملتفتين الى السماحة بل انتم مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال
التي توجب ارتكاب القبائح وتدعوا الى اتباع الشهوات وهو انهم قوم عادتهم الاسراف
وتجاوز الحدود في كل شي فمن ثم اسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد
الى غير المعتاد ونحوه بل انتم قوم عادون وما كان جواب قومه الا ان قالوا يعني
ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه الصلوة والسلام من انكار الفاحشة
وتعظيم امرها ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاوا بشي آخر
لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المومنين من قريتهم صحرا بهم
وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم وقولهم انهم اناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من
الفواحش وافتخار بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض
الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف واريحونا من هذا المتزهد واهله
ومن يختص به من ذويه ومن المومنين من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم اي بقوا
فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كفار موالية لاهل سدوم وروي
انها التفتت فاصابها حجر فماتت وقيل كانت المؤتفكة خمس مداين وقيل كانوا اربعة
الاف بين الشام والمدينة فامطر الله تعالى عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين
منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي
ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه
فان قلت اي فرق بين مطر وامطر قلت يقال مطرتهم السماء وواد ممطور وفي نوابغ الكلم
جرى غير ممطور جرى ان يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم اصابتهم بالمطر كقوله غاثتهم ووبلتهم
وجادتهم ورهمتهم ويقال امطرت عليهم كذا بمعنى ارسلته ارسال المطر فامطر علينا
حجارة من السماء وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا
عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة الا ترى الى قوله تعالى فساء مطر المنذرين كان
يقال لشعيب خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين قد

قوم

جاءتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة بصحة نبوتي اوجبت عليكم الايمان بي والاخذ بما
آمركم به والانتهاء عما انهاكم عنه فاوفوا ولا تبخسوا فان قلت ما كانت معجزته قلت
قد وقع العلم بانه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولانه لا بد لمدعي النبوة من
معجزة تشهد له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبيا لا نبيا غير ان معجزته لم تذكر
في القران كما لم يذكر اكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فيه ومن معجزات شعيب عليه
الصلوة والسلام ما روي عصا موسى التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع
خاصة حين وعده ان يكون له الدرع من اولادها ووقوع عصا ادم على يده في المرات
السبع وغير ذلك من الايات لان هذه كلها كانت لشعيب فان قلت كيف قيل الكيل والميزان
وهل لا قال المكيال والميزان كما في سورة هود قلت اريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال
او سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به او اريد فاوفوا الكيل ووزن
الميزان ويجوز ان يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ويقال بخسته حقه
اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي امثالهم تحسبها حمقا باخس وقيل
اشياءهم لانهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم او كانوا مكاسين لا يدعون
شيئا الا مكسوه كما يفعل امراء الحرمين وروي انهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا
دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف وقطعوها قطاعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر او اعطوه
بدلها زيوفا بعد اصلاحها بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا فيها بعد ما اصلح فيها
الصالحون من الانبياء واتباعهم العاملين بشرائعهم واضافته كاضافة قوله بل مكر
الليل والنهار بمعنى بل مكركم في الليل والنهار او بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف
ذلكم اشارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في الارض او الى العمل
بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى خير لكم يعني في الانسانية وحسن الاحدوثة وما
تطلبونه من التكسب والتربح لان الناس ارغب في متاجرتكم اذا عرفوا منكم الامانة
والسوية ان كنتم مؤمنين ان كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم ولا تقعدوا بكل صراط
ولا تقعدوا بالشياطين في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط
اي بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على ان المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون
عن سبيل الله ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال اي ولا تقعدوا موعدين

وصادين عن سبيل الله وباغيها عوجا فان قلت صراط الحق واحد وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط قلت صراط
الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام كثيرة مختلفة فكانوا اذا
راوا احدا يشرع في شيء منها اوعدوه وصدوه فان قلت الى م ترجع الى الضمير في آمن
به قلت الى صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر
الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح امرهم ودلالة على عظم ما يصدون
عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم
عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين
وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا اي تصفونها للناس بانها سبيل معوجة
غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها او يكون تهكما بهم وانهم يطلبون لها ما
هو محال لان طريق الحق لا يعوج واذكروا اذ كنتم قليلا ان مفعول به غير ظرف اي واذكروا
على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم قيل ان مدين بن ابراهيم
تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز اذ كنتم مقلين
فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين او كنتم اقلة اذلة فاعزكم بكثرة العدد والعدد
عاقبة المفسدين اخر امر من افسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا
قريبين العهد مما اصاب المؤتفكة فاصبروا فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا اي
بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام
الله منهم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون او هو عظة للمؤمنين وحث على الصبر
واحتمال ما كان يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز ان يكون
خطابا للفريقين اي ليصبر المؤمنون على اذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من ايمان
من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين لان حكمه حق وعدل
لا يخاف منه الحيف اي لتكونن احد الامرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر فان قلت كيف
خاطبوا شعيبا عليه الصلوة والسلام بالعود في الكفر في قولهم او لتعودن في ملتنا وكيف
اجابهم بقوله ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها والانبياء لا
يجوز عليهم من الصغائر الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر قلت لما قالوا

لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك فعطفوا على ضميره الذين خلوا في الايمان منهم بعد
كفرهم بالوا العود في غلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عايدين اجراءً للكلام على حكم
الغلبة وعلى ذلك أجرى شعيب عليه الصلوة والسلام جوابه فقال ان عدنا في ملتكم بعد
اذ نجانا الله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما
اجراءً لكلامه على حكم الغلبة فان قلت ما معنى قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان
يشاء الله والله تعالى منزه ان يشاء ردة المؤمنين وعودهم في الكفر قلت معناه الا ان
يشاء الله خذلانا ومنعا الالطاف لعلمه انها لا تنفع فينا وتكون عبثا والعبث
قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شيء علما اي هو عالم بكل شيء ما كان
وما يكون فهو يعلم احوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تقلب وكيف ينقسوا بعد
الرقة ويمرض بعد الصحة ويرجع الى الكفر بعد الايمان على الله توكلنا في ان يثبتنا
على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ويجوز ان يكون قوله الا ان يشاء الله حسما
لطمعهم في العود لان مشيئة الله لعودهم في الكفر محال خارج عن الحكمة او لو كما كان هنا
الهمزة للانكار يستفهمهم والواو واو الحال بمعنى انعيد وننا في ملتكم في حال كراهتنا
ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغي لنا وما يصح ربنا افتح بيننا احكم بيننا والفتاحة
الحكومة او اظهر امرنا حتى ننفتح ما بيننا وبين قومنا وتنكشف بان تنزل عليهم عذابا
يتبين معه انهم على الباطل وانت خير الفاتحين كقوله وهو خير الحاكمين فان قلت كيف
اسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم قلت هو اخبار مقيد بالشرط
وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا فيه معنى التعجب كانهم قالوا اما اكذبنا
على الله ان عدنا في الكفر بعد الاسلام لان المرتد ابلغ في الافتراء من الكافر لان الكافر قد
مفتر على الله الكذب حيث زعم ان لله ندا او لا ند له والمرتد مثله في ذلك وزايد عليه
حيث زعم انه قد تبين له ما خفي على من لم يتبين له من الحق والباطل والثاني ان يكون
قسما على بعد بحذف اللام بمعنى والله لقد افترينا على الله كذبا وقال الملاء الذين
كفروا من قومه اي اشرافهم الذين دونهم بتبطونهم عن الايمان لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا
لخاسرون لاستندالكم الضلالة بالهدى كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما
ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين باتباعه نوايد التحسر والتطفيف لانه ينهاكم عنها وتحملكم

على

قوله وفي هذا الابتداء يعني ان اختصاص عذاب الاستيصال بهم مقتضى المقام واليه اشار بقوله لان الذين اتبعوا شعيبا كانوا هم المعدودين في الاشراف وسيأتي بيان ذلك
كما قال في قوله تعالى الا بعدا لمدين في سورة الرعد عليه وعلى نبينا الصلوة والسلام بعد ان بسط الرزق دون غيره وقوله مبالغة في الرد على الاشعري وسيأتي بيانه
الكلام هؤلاء الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها فقوله الا ابتداء وعطف تفسيري للاشارة الى انها جملة مستانفة لتمام حكاية ما جرى عنده قوله فاصبحوا في دارهم جاثمين
وقد تكلم كما قال الملاء كما شياعهم ليتمكن تحكم شعيب الهم الخاسرون وقوله فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين كان الفاء الداخلة على ان كذبوا هم وعادهم
اوجب نزول العذاب بهم واستيصالهم والمقول الموذن الى العذاب والاستيصال هو ما يتفرع على ما بلغ في الرد بقوله الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها اذ معناه انه تخالف

على الايفاء والتسوية فان قلت ما جواب القسم الذي وطأته اللام في لئن اتبعتم وجواب
الشرط قلت قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد الجوابين الذين كذبوا شعيبا مبتداء
خبر كان يغنوا فيها وكرر لك كانوا هم الخاسرين في هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه
قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا واستوصلوا كانهم لم يقيموا في ديارهم
لان الذين اتبعوا شعيبا فاز بجامع الله الذين كذبوا شعيبا هم الخاسرون العظيم دون
اتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الاستيناف والابتداء وهذا الذكر مبالغة في ردّ مقالة
الملاء لاشياعهم وتسفيه لرايهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم
الا اسى شدة الحزن قال العجاج والحلبت عيناه من فرط الاسا اشد حزنه على قومه
ثم انكر نفسه فقال فكيف اشتد حزني على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم
ما نزل بهم ويجوز ان يريد لقد اعذرت اليكم في ابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم
تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف اسى عليكم يعني انه لا اسى عليهم لانهم ليسوا احقاء بالاسا
وقراء يحيى بن وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة الا اخذنا اهلها بالبأساء بالمكروه والعقر
والضراء بالضر والمرض باستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم يتضرعون ليتضرعوا
وينذللوا ويخضعوا اردبة الكبر والعزة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطينا هم
بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة كقوله تعالى ويلوناهم
بالحسنات والسيئات حتى عفوا كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات
وعفا الشعر والوبر اذا كثروا ومنه قوله عليه الصلوة والسلام وأعفوا اللحى وقال الخطيئة
بمستاسد القريان عاف نباته وقال ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات اللحى
قوم وقالوا قد مس ابانا الضراء والسراء يعني وابطرتهم النعمة وآثروا فعالوا هذه
عادة الدهر يعاقب بين الباس والنعماء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو ابتلاء من
الله لعباده فلم يتنبهوا بعد انتلاههم بالسيئات والحسنات الا ان ياخذهم بالعذاب فاخذناهم
اشد الاخذ وافظعه وهو اخذهم فجاءة من غير شعور منهم اللام في القرى اشارة الى القرى
التي دل عليها قوله تعالى وما ارسلنا في قرية من نبي كانه قال ولو ان اهل تلك القرى الذين كذبوا
وأهلكوا امنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
لأتيناهم بالخير من كل وجه وقل اداد المطر والنبات ولكن كذبوا فاخذناهم بسوء كسبهم يجوز

قطب الدين الشيرازي

ان يكون اللام في القرى للجنس فان قلت ما معنى فتح البركات عليهم قلت تيسيرها
عليهم كما يتيسر امر الابواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارى اذا تعذرت
عليه القراة فيسرتها عليه بالتلقين البيات يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه
قوله تعالى فجاءها باسنا بياتا او هم قايلون ويكون بمعنى التبييت كالسلم بمعنى التسليم
يقال بيته العدو بياتا فيجوز ان يراد ان يأتيهم باسنا بايتين او وقت بيات او
مبيتا او مبيتين او يكون بمعنى تبييتا كانه قيل ان يبيتهم باسنا بياتا وضحا نصب على
الظرف يقال اتانا ضحى وضحيا وضحيا والضحى في الاصل اسم لضوء الشمس اذا اشرقت وارتفعت
والفاء والواو في افاء من وأو أمن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الانكار فان قلت ما
المعطوف عليه ولم عطفت الاولى بالفاء والثانية بالواو قلت المعطوف عليه قوله فاخذناهم
بغتة وقوله تعالى ولو ان اهل القرى الى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه
وانما عطف بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة أبعد ذلك أمن اهل القرى
ان يأتيهم باسنا بياتا وامنوا ان يأتيهم باسنا ضحى وقرئ أو أمن على العطف باو وهم
يلعبون يشتغلون فان قلت فلم رجع فعطف بالفا قوله افامنوا مكر الله قلت هو تكرير لقوله
أفامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاخذة العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه
فعلى العاقل ان يكون في خوف من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات
والغيلة وعن الربيع بن خثيم ان بنته قالت له مالي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا ابنتاه
ان اباك يخاف البيات اراد قوله ان يأتيهم باسنا اذا قرئ اولم يهد بالياء كان ان لو نشا مرفوعا
بانه فاعله بمعنى اولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم من ديارهم ويرثونهم ارضهم هذا الشان وهو
انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين كما اهلكنا الموروثين واذا
قرئ بالنون فهو منصوب كانه قيل اولم نهد للوارثين هذا الشان بمعنى اولم نبين لهم انا
لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وانما عدي فعل الهداية باللام لانه بمعنى
التبيين فان قلت بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم قلت فيه اوجه ان يكون معطوفا على ما
دل عليه معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم او على يرثون الارض
او يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم فان قلت هل يجوز ان يكون ونطبع بمعنى وطبعنا
كما كان لو نشا بمعنى لو شينا ويعطف على اصبناهم قلت لا يساعد عليه المعنى لان القوم

كانوا

بياتا

كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والاصابة
بها وهذا التفسير يؤدي الى خلوهم عن هذه الصفة وان الله لو شا لا تصفوا بها تلك
القرى نقص عليك من انبائها كقوله تعالى هذا بعلي شيخا في انه مبتدا وخبر وحال
ويجوز ان يكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا وان يكون القرى نقص خبرا بعد خبر
فان قلت ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا قلت هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال
كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم فان قلت ما معنى الاخبار عن القرى
بنقص عليك من انبائها قلت معناه ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها ولها انبا
غيرها لم نقصها عليك فما كانوا ليؤمنوا عند مجي الرسل بالبينات بما كذبوه من ايات الله من
قبل مجي الرسل او فما كانوا الى آخر اعمارهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل اي استمروا
على التكذيب من لدن مجي الرسل الى ان ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم
وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الايات ومعنى اللام تاكيد النفي وان الايمان كان
منافيا لحالهم في التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كذلك
مثل ذلك الطبع الشديد يطبع على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد الضمير للناس على
الاطلاق اي وما وجدنا لاكثر الناس من عهد يعني ان اكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الايمان
والتقوى وان وجدنا وان الشان والحديث وجدنا اكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة
مارقين والاية اعتراض ويجوز ان يرجع الضمير الى الامم المذكورين وانهم كانوا اذا عاهدوا
الله في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنؤمنن ثم نجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه الصلوة
والسلام لئن كشفت عنا الرجس لنؤمنن لك الى قوله اذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم
من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك
الا في المبتداء والخبر والافعال الداخلة عليهما من بعدهم الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم
رسلهم او للامم فظلموا بها فكفروا باياتنا اجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم
عظيم او فظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها واذوا من آمن بها ولانه اذا
وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها اي كفروا بها واضعين
الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة
فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان حقيق على ان لا اقول على

ليؤمنوا صح

الله الا الحق فيه اربع قرآت المشهورة وحقيق علي ان لا اقول وهي قراة نافع وحقيق ان لا اقول
وهي قراة عبد الله وحقيق بان لا اقول وهي قراة ابي وفي المشهورة اشكال ولا تخلوا من
وجوه احدها ان يكون مما يقلب من الكلام لا من الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة
طرة الحمر ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق علي ان لا اقول وهي قراة نافع والثاني
ان ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق اي لازما
له والثالث ان يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب
والرابع وهو الاوجه الادخل في نكت القران ان يغرق موسى عليه السلام في وصف نفسه
بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد روي ان عدو الله فرعون قال له لما قال اني رسول رب العالمين
كذبت فيقول انا حقيق على قول الحق اي واجب علي قول الحق ان اكون انا قايله والقايم به
ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض
المقدسة التي هي وطنهم ومولد ابائهم وذلك ان يوسف عليه الصلوة والسلام لما توفي وانقرضت
الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فانقذهم الله تعالى بموسى وكان بين اليوم الذي
دخل يوسف عليه الصلوة والسلام واليوم الذي دخله موسى اربعمائة عام فان قلت كيف قال له فات
بها بعد قوله ان كنت جئت باية قلت معناه ان كنت جئت من عند من ارسلك باية فاتني بها
واحضرها عندي لتصح دعواك وتثبت صدقك ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان
وروي انه كان ثعبانا ذكرا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل
في الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من
سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس
فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى
خذه فانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصى فان قلت ثم يتعلق
للناظرين قلت يتعلق ببيضا والمعنى فاذا هي بيضاء للناظرة ولا يكون بيضا للنظارة
الا اذا كان بياضها عجيبا خارجا عن العادة تجتمع الناس للنظر اليه كما تجتمع النظارة للعجايب
وذلك ما روي انه اري فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه
مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس
وكان موسى عليه الصلوة والسلام ادم شديد الادمة ان هذا لساحر عليم اي عالم بالسحر ماهر

فيه

فيه قد اخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل اليهم العصا حية والادم
ابيض فان قلت قد عزي هذا الكلام الى فرعون في سورة الشعراء وانه قال للملا وعزي
ها هنا اليهم قلت قد قاله هو وقالوه هم فحكى قوله ثم وقولهم ها هنا او قاله ابتداء فتلقته
منه الملاء فقالوه لاعقابهم او قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى
الواحد منهم الراي فيكلم به من يليه من الخاصة ثم تبلغه الخاصة للعامة والدليل
عليه انهم اجابوه في قولهم ارجئه واخاه وارسل في المداين حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم
وقرئ سحار اي يأتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة او بخير منه وكانت هذه مؤامرة
مع القبط وقولهم فماذا تامرون من امرته فامرني بكذا اذا شاورته فاشار عليك براي
وقيل فماذا تامرون من كلام فرعون قاله للملاء لما قالوا له ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم
كانه قيل فماذا تامرون قالوا ارجئه واخاه ومعنى ارجئه واخاه اخرهما واصدرهما
عندك حتى ترى رايك فيهما وتدبر امرهما وقيل احبسهما وقرئ ارجئه بالهمز وارجه
من ارجاه وارجاه فان قلت هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا قلت هو على تقدير سايل
سال ما قالوا اذ جاؤه فاجيب بقوله قالوا اين لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة وقرئ ان لنا
لاجرا على الاخبار واثبات الاجر العظيم وايجابه كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم
كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة فان قلت وانكم لمن المقربين ما
الذي عطف عليه قلت هو معطوف على محذوف سد مسد حرف الايجاب كانه قال ايجابا
لقولهم ان لنا لاجرا نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر بكم على الثواب
وحده وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لان المثاب انما يتهنا بما
يصل اليه ويغتبط به اذا نال معه الكرامة والرفعة وروي انه قال لهم تكونون اول من
يدخل علي وآخر من يخرج وروي انه دعا برؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد
عملنا سحرا لا تطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وروي
انهم كانوا ثمانين الفا وقيل سبعين الفا وقيل بضعة وثلاثين الفا واختلفت الروايات
فمن مقل ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى
الا بما هو منه يعني السحر تخييرهم اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل اهل الصناعات
اذا التقوا كالمتناظرين قبل ان يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل ان يتاخذوا للصراع

وقولهم اما ان نكون نحن الملقين فيه ما يدل على ان رغبتهم في ان يلقوا قبله من تاكيد ضميرهم
المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر او تعريف الخبر واقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا
فيه ازدراء بشانهم وقلة مبالاة بهم وفيه بما كان بصدده من التاييد السماوي وان
المعجزة لن تغلبها سحر ابدا سحروا اعين الناس اروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها
ما الحقيقة بخلافه كقوله يخيل اليه من سحرهم انها تسعى روي انهم القوا حبالا غلاظا
وخشبا طوالا فاذا امثال الحيات قد ملات الارض وركب بعضها بعضا واسترهبوهم
وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم بسحر عظيم في باب السحر روي انهم
لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزيبق ما يافكون ما
موصولة او مصدرية بمعنى ما يافكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه او
افكهم تسمية للمافوك بالافك روي انها لما تلقفت ملاء الوادي من الخشب والحبال ورفعها
موسى صلى الله عليه وسلم فرجعت كما كانت واعدم الله تعالى بقدرته تلك الاجرام العظيمة
او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق
فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم اي فاثر فيها من قولهم فاس وقيع وانقلبوا
صاغرين وصاروا اذلاء مبهوتين والقي السحرة وخروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة
خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما راوا فكانهم القوا عن قتادة كانوا اول النهار كفارا سحرة وفي
آخره شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد في الاسلام ونشا بين المسلمين يبيع دينه بكذا
وكذا وهولاء كفار نشاوا في الكفر يذلوا انفسهم لله آمنتم به على الاخبار اي فعلتم هذا الفعل
الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وقرئ آمنتم بحرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد ان
هذا لمكر مكرتموه في المدينة ان صنعكم هذا لحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر وهو
ان تخرجوا منها القبط وتسكنوا بني اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس
لان لا يتبعوا السحرة في الايمان وروي ان موسى عليه الصلوة والسلام قال للساحر الاكبر
اتؤمن بي ان غلبتك قال لاتين بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لاومنن بك وفرعون يسمع
فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون وعيد اجمله ثم فصله بقوله لاقطعن وقرئ لاقطعن بالتخفيف
وكذلك لاصلبنكم من خلاف من كل شق طرفا وقيل اول من قطع من خلاف وصلب لفرعون انا الى ربنا
منقلبون فيه اوجه ان يريدوا انا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا
منك

منك ومن لقائك او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب او انا
جميعا يعنون انفسهم وفرعون ينقلب الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون منقلبون
الى الله فما تقدر ان تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا الا ان آمنا وما تعيب منا الا
الايمان بآيات الله اراد وا وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان ومنه
قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم افرغ علينا صبرا هب لنا صبرا واسعا واكثره علينا
حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغا وعن بعض السلف ان احدكم ليفرغ على اخيه
ذنوبا ثم يقول قد مازحتك اي يغمره بالحياء والخجل او صب ما يطهرنا من اوضار الاثام
وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا انهم اذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة
لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام ويذرك عطف على يفسدوا لانه اذا تركهم ولم يمنعهم
وكان ذلك مؤديا الى ما دعوه فسادا والى تركه وترك آلهته فكانه تركهم لذلك او هو جواب
للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء
والنصب باضمار ان بقدره ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك والهتك وقرئ ويذرك والهتك
بالرفع عطفا على اتذر بمعنى اتذره وايذرك اي اتطلق له ذلك او يكون مستانفا او حالا على
معنى اتذره وهو يذرك والهتك وقرا الحسن ويذرك بالجزم كانه قيل يفسدوا كما قرئ
واكن من الصالحين كانه قيل اصدق وقرا انس رضي الله تعالى عنه ونذرك بالنون والنصب
اي يصرفنا عن عبادتك فيذرها وقرئ ويذرك والاهتك اي وعبادتك وروي انهم قالوا له ذلك
لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة الف نفس فارادوا بالفساد في الارض ذلك وخافوا ان
يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما تعبد عبدة
الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى سنقتل ابناءهم يعني
سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم
مقهورون تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم
العامة انه هو المولود الذي يحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن
طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر بعد قال موسى لقومه استعينوا قال لهم ذلك حين
قال فرعون سنقتل ابناءهم فجزعوا منه وتضجروا يسكنهم ويسليهم ويعدهم النصرة عليهم ويذكر
لهم ما وعد الله بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم فان قلت لم اخليت هذه

الجملة عن الواو وادخلت على التي قبلها قلت هي جملة مبتداة مستانفة واما وقال الملاء
فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملاء من قوم فرعون وقوله تعالى ان الارض لله يجوز ان
يكون اللام للعهد ويراد ارض مصر خاصة كقوله واورثنا الارض وان يكون للجنس فيتناول ارض
مصر لانها من جنس الارض كما قال ضمرة انما المرء باصغريه فاراد بالمرء الجنس وغرضه
ان يتناوله تناولا اوليا والعاقبة للمتقين بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط
وان المشية متناولة لهم وقرا والعاقبة للمتقين بالنصب ابي وابن مسعود عطفا على الارض
اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جيتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولد موسى الى ان
استنبي واعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم
والمهن ويمسون به من العذاب عسى ربكم ان يهلك عدوكم تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل
وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في ارض مصر فينظر كيف تعملون فيرى الكاين
منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن
عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مايدته رغيف او رغيفان فطلب زيادة
لعمرو فلم يوجد فقرا عمرو هذه الاية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر
كيف تعملون بالسنين بسني القحط والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك
وقد اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم بمعنى اقحطوا وقال ابن عباس اما السنون فكانت
لبادتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكانت في امصارهم وعن كعب ياتي على الناس زمان لا
تحمل النخلة الا تمرة لعلهم يذكرون فيتنبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم لايات
الله ولان الناس في حال الشدة اضرع خدودا والين اعطافا وارق افئدة وقيل عاش
فرعون اربع مائة سنة ولم ير مكروها في ثلاث مائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع
او جوع او حمى لما ادعى الربوبية فاذا جاتهم الحسنة من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه
اي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك
الجل للفرس وان تصبهم سيئة من ضيق وجدب يطيروا بموسى ومن معه يتطيروا بهم
ويتشاءموا ويقولوا هذه بشومهم ولولا مكانهم لما اصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم هذه من عندك فان قلت كيف قيل فاذا جاتهم الحسنة باذا وتعريف الحسنة
وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة قلت لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته

واتساعه

١٩

واتساعه واما السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا تقع الا شيء منها ومنه قول بعضهم وقد عددت
ايام البلاء فهل عددت ايام الرخاء طايرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه
ومشيته والله هو الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شوم احد ولا يمنه
بسبب فيه كقوله تعالى قل كل من عند الله ويجوز ان يكون معناه الا انما سبب شومهم عند الله
وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم
الله في قوله تعالى النار يعرضون عليها الاية ولا طاير اشام من هذا وقرا الحسن انما طيرهم عند
الله وهو اسم لجمع طاير غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند ابي الحسن هو تكسير مهما هي ما
المتضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما الزايدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج اخرج
اينما تكونوا يدرككم الموت فاما نذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير
المتجانسين وهو المذهب السديد البصري ومن الناس من زعم ان مه هو الصوت
الذي يصوت به الكاف وما للجزاء كانه قيل كف ما تاتنا به من اية لتسحرنا
بها فما نحن لك بمومنين فان قلت ما محل مهما قلت الرفع بمعنى ايما شيء تاتنا او النصب
بمعنى ايما شيء تحضرنا تاتنا به ومن اية تبيين لمهما والضميران في به وبها راجعان الى
مهما الا ان احدهما ذكر على اللفظ والثاني انث على المعنى لانه في معنى الاية نحو قول
زهير ومهما يكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم وهذه الكلمة في
عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها في غير موضعها ويحسب
مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جيتني اعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع
العربية في شيء ثم يذهب فيفسر مهما تاتنا به من اية بمعنى الوقت فيلحد في ايات
الله وهو لا يشعر وهذا وامثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه فان
قلت كيف سموها اية ثم قالوا لتسحرنا بها قلت ما سموها اية لاعتقادهم انها اية وانما
سموها اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهي الطوفان ما طاف بهم
وغلبهم من مطر او سيل قيل طغى الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة
شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج من داره وقيل ارسل الله عليهم السماء
حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق
ولم يدخل بيوت بني اسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء

والتصرف ودام عليهم سبعة ايام وعن ابي قلابة الطوفان الجدري وهو اول عذاب وقع
فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف
عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلاء والزرع ما
لم يعهد بمثله فاقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زرعهم وثمارهم ثم اكلت
كل شيء حتى الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء ففزعوا
الى موسى ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة ايام خرج موسى صلى الله عليه وسلم الى الفضا
فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن
بتاركي ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان في قول ابي عبيدة كبار
القردان وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد
بن جبير السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده
فيمصه وكان ياكل احدهم طعاما فيمتلي قملا وكان يخرج احدهم عشرة اجربة الى
الرحا فلا يرد منها الا يسيرا وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى
بعصاه فصار قملا فاخذت في ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم وجلودهم
كانه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان
انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت
بيوتهم وامتلات منها انيتهم واطعمتهم فلا يكشف احد شيئا من ثوب ولا طعام ولا شراب
الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل اذا اراد ان يتكلم وثبت الضفدع الى فيه وكانت
تمتلي منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي
وفي التنانير وهي تفور فبكوا الى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا ان نتوب
التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد
فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم فكان
يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما
ويسقيان من اناء واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي الماء حتى ان المراة القبطية
تقول لجارتها الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما
وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك فكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها

الطيب

الطيب ملحا اجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف
وروي ان موسى عليه الصلوة والسلام مكث فيهم بعد ما غلب السحرة يريهم هذه الايات وروي
انه لما اراهم اليد والعصا ونقص النفوس والثمرات قال يا رب ان عبدك هذا قد علا في الارض
فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي اية فحينئذ بعث
الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم وقراء الحسن والقمل بفتح القاف
وسكون الميم يريد القمل المعروف ايات مفصلات نصب على الحال ومعنى مفصلات مبينات
ظاهرات لا يشكل على عاقل انها من ايات الله التي لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم
ونقمة على كفرهم او فصل بين بعضها وبعض بزمان يمتحن فيه احوالهم وينظر
ايستقيمون على ما وعدوا من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة عليهم بما عهد عندك ما مصدرية
والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء اما ان تتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما
اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة او ادع الله لنا
متوسلا اليه بعهده عندك واما ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن اي اقسمنا بعهد الله عندك
لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة
فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون
جواب لما يعني فلما كشفناه عنهم فاجؤا النكث وبادروه لم يؤخروه ولكن لما كشف
عنهم نكثوا فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام فاغرقناهم واليم البحر الذي لا يدرك قعره وقيل
هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المستنقعين به يقصدونه
بانهم كذبوا باياتنا اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالايات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها
القوم الذين كانوا يستضعفون هم بنوا اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه والارض
ارض مصر والشام ملكها بنوا اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاؤا في
اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق كلمة ربك
الحسنى قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا الى قوله كانوا يحذرون والحسنى تانيث
الاحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بني اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على
الامر اذا مضى عليه بما صبروا بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من
قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت

ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا الاية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم
يرزن رزانة اولى الصبر وقرا عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من
ايات ربه الكبرى ما كان يصنع فرعون وقومه ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات
وبناء القصور وما كانوا يعرشون من الجنات وهو الذي انشاء جنات معروشات وما
كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وقرى يعرشون بالكسر
والضم وذكر اليزيدي ان الكسر افصح وبلغني انه قراء بعض الناس يغرسون من غرس
الاشجار وما احسبه الا تصحيفا منه وهذا آخر ما اقتص الله من نباء فرعون والقبط
وتكذيبهم بايات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص نباء بني اسرائيل وما احدثوه
بعد انقاذهم من ملكة فرعون واستعبادهم ومعاينتهم الايات العظام ومجاوزتهم البحر
من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال
الانسان وانه كما وصفه ظلوم كفار جهول كنود الا من عصمه الله تعالى وقليل من عبادي
الشكور وليسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم مما راى من بني اسرائيل بالمدينة وروي انه عبر
بهم يوم عاشورا بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله فاتوا على قوم فمروا
عليهم يعكفون على اصنام لهم يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل
بقر وذلك اول شان العجل وقيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا قوما من الكنعانيين
الذي امر موسى بقتالهم وقرى وجوزنا بمعنى اجزنا يقال اجاز المكان وجوزه وجاوزه
بمعنى جازه كقولك اعلاه وعلاه وعالاه وقرى يعكفون بضم الكاف وكسرها اجعل لنا الها
صنما نعكف عليه كما لهم الهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت
الجملة بعدها وعن علي رضي الله تعالى عنه ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال
قلتم اجعل لنا الها ولما تجف اقدامكم انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما راوا من الاية
العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق واكده لانه لا جهل اعظم مما راى منهم ولا اشنع
ان هاولاء يعني عبدة تلك التماثيل متبر ما هم فيه مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم اناء متبر
اذا كان فضاضا ويقال لكسار الذهب التبر اي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي
ويحطم اصنامهم هذه يتركها رضاضا وباطل ما كانوا يعملون اي عملوا شيئا من عبادتها
فيما سلف الا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وان كان في زعمهم تقربا الى الله كما قال وقدمنا

الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي ايقاع هاولاء اسما لان وتقديم خبر
المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون
للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا
ويبغض اليهم ما احبوا اغير الله ابغيكم الها اغير المستحق للعبادة اطلب لكم
معبودا وهو فعل بكم ما فعل دون غيره من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها احدا
غيركم لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الانكار والتعجب من طلبتهم
مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله يسومونكم سوء العذاب يبغونكم شدة العذاب
من سام السلعة اذا طلبها فان قلت ما محل يسومونكم قلت هو استيناف لا محل له
ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين او من ال فرعون وذلك اشارة الى الانجاء او الى العذاب
والبلاء النعمة او المحنة وقرى يقتلون بالتخفيف روي ان موسى عليه الصلوة والسلام
وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما ياتون
وما يذرون فلما هلك فرعون سال موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي
القعدة فلما اتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك
فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره
الله تعالى ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وقيل امره الله بان يصوم ثلاثين يوما
وان يعمل فيها ما يقربه من الله ثم انزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها ولقد اجمل ذكر الاربعين
في سورة البقرة وفصلها هاهنا وميقات ربه ما وقت له من الوقت وضربه له اربعين
ليلة نصب على الحال اي تم بالغا هذا العدد وهرون عطف بيان لاخيه وقرى بالضم على النداء
اخلفني فيهم واصلح وكن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل ومن دعاك منهم الى
الافساد فلا تتبعه ولا تطعه لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا ومعنى اللام الاختصاص
فكانه قيل واختص مجيئه بميقاتنا كما تقول اتيته لعشر خلون من الشهر وكلمه ربه من
غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا
في اللوح وروي ان موسى كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس اربعين يوما واربعين ليلة
وكتب له الالواح وقيل انما كلمه في اول الاربعين ارني انظر اليك باني مفعول ارني محذوف اي ارني
نفسك انظر اليك فان قلت الرؤية عن النظر فكيف قال ارني انظر اليك قلت معنى ارني اجعلني متمكنا

قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني

من رؤيتك بان تجلى لي فانظر اليك واراك فان قلت فكيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الي لقوله
انظر اليك قلت لما قال ارني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الادراك علم ان الطلبة
هي الرؤية لا النظر الذي لا ادراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر الي فان قلت
كيف طلب موسى عليه الصلوة والسلام ذلك وهو من اعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه
وما لا يجوز وتعاليه عن الرؤية التي هي ادراك ببعض الحواس وذلك انما يصح فيما كان في
جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال ان يكون في جهة ومنع المجبرة احالته في العقول
غير لازم لانه ليس باول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين اخذت الرجفة
للذين قالوا ارنا الله جهرة اتهلكنا بما فعل السفهاء منا الى قوله تضل من تشاء فتبرأ
من فعلهم ودعاهم سفها وضلالا قلت ما كان طلبه الرؤية الا ليبكت هؤلاء الذين
دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرؤية
انكر عليهم واعلمهم الخطاء ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك
حتى نراه فاراد ان يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا
وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب ارني انظر اليك فان قلت فهلا قال
ارهم ينظروا اليك قلت لان الله سبحانه وتعالى انما كلم موسى عليه الصلوة والسلام وهم
يسمعون كلام رب العزة ارادوا ان يرى موسى ذاته فيبصروه معه كما اسمعه كلامه
فسمعوه معه ارادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى ارني انظر اليك ولانه اذا
زجر عما طلب وانكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله وقيل له ان يكون ذلك
كان غيره اولى بالانكار ولان الرسول امام امته فكان ما يخاطب به راجعا اليهم وقوله
انظر اليك وما فيه معنى الفاعلية التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على انه ترجمة
عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجل صاحب الجمل ان يجعل الله منظورا اليه مقابلا بحاسة
النظر فكيف بمن هو اعرف بمعرفة الله تعالى من واصل بن عطا وعمرو بن عبيد والنظام وابي
الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين فان قلت ما معنى لن قلت تاكيد النفي التي تعطيه لا
وذلك لان لا تنفي المستقبل تقول لا افعل غدا فاذا اكدت نفيها قلت لن افعل غدا
والمعنى ان فعله ينافي حالي كقوله تعالى لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله تعالى لا تدركه
الابصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تاكيد وبيان لان المنفي مناف لصفاته

فان قلت كيف اتصل الادراك في قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل بما قبله قلت اتصل به على
معنى ان النظر الي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو ان تنظر الى الجبل الذي يرجف
بك وبمن طلبت الرؤية لاجلهم كيف افعل به وكيف اجعله دكا بسبب طلبك الرؤية
لتستعظم ما اقدمت عليه بما اريك من عظم اثره كانه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية
ما مثله عند نسبة الولد اليه في قوله تعالى وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فان استقر
مكانه كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته فسوف تراني تعليق لوجود الرؤية بوجود
ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالارض وهذا كلام مدمج
بعضه في بعض وارد على اسلوب عجيب ونمط بديع الا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة
الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشرطية في وجود
الرؤية اعني قوله تعالى فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره
وتصدى له امره وارادته جعله دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك
والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكا والدكاء اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة
او ارض دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبي قال
قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء اي مدها مستوية وقرأ يحيى بن وثاب دكا اي
قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا من هول ما راى وصعق من باب فعلته ففعل يقال
صعقه فصعق واصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه اذا ضربه على رأسه
ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروي ان الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه
فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة فلما افاق
من صعقته قال سبحانك انزهك ما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت اليك من طلب
الرؤية وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس فان قلت ان كان طلب
الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب قلت من اجرائه تلك المقالة العظيمة وان كان لغرض
صحيح على لسانه من غير اذن فيه من الله فانظر الى اعظام الله امر الرؤية في هذه الاية
وكيف ارجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف اصعقهم ولم تخل كلمة من نفيان ذلك
مبالغة في اعظام الامر وكيف سبح ربه ملتجئا اليه وتاب من اجراء تلك الكلمة على لسانه
وقال انا اول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة كيف

جعله دكا

خذوا اهذه العطمة مذهبا ولا يغرنك تستروهم بالبلكفه فانه من منضوعات اشياهم
والقول ما قال بعض العدليه فهم لجماعه سموا موامم سينة وجماعة حمر لعمري موكفه
وهو ص قد شبههم بخلقه وتخوفوا شئ الورى فتستروا بالبلكفه وتفسير آخر ان يريد بقوله
ارني انظر اليك عرفني نفسك تعرفا واضحا جليا كانها ارأة في جلاها فانه مثل ايات
القيامه التي تضطر الخلق الى معرفتك انظر اليك اعرفك معرفه اضطرار كاني انظر اليك كما
جاء في الحديث ستوون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية
هي في الجلاء كانظاركم القمر اذا امتلا واستوى قال لن تراني لن تطيق معرفتي على
هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الاية المضطرة ولكن انظر الى الجبل فاني اوردة
عليه واظهر له ايه من ملكي الايات فان ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم تندكدكه فسوف
تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل قل ما ظهر له ايه من ايات قدرته وعظمته
جعله دكا وخر موسى صعقا لعظم ما راى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك مما اقترحت
وتجاسرت واما اول المومنين بعظمتك وجلالك وان سبيا لا تقوم لبطشتك وباسك
اصطفيتك على اهل زمانك وانزلتك عليهم برسالتي وفي اسفار التوريه وبكلامي وتكليمي
اياك فخذ ما اتيتك ما اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمه
في ذلك فهي من اجل النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطي التوريه يوم النحر قال قلت
كيف قتل اصطفيتك على الناس وكان هرون مصطفى مثله ونبيا قلت اجل ولكنه كان تابعا
له وردءا ووزيرا والكليم هو موسى والاصيل في حمل الرسالة ذكروا في عدد الالواح وفي
جوهرها وطولها انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد
جاء بها جبريل وقيل من زبرجد خضراء بانونه حمرا وقيل امر الله تعالى موسى بقطعها
من صخرة صماء ليتناله فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب
نزلت من السماء فيها التوريه وان طولها كان عشرة اذرع وقوله من كل شئ في محل النصب
مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا منه والمعنى كتبنا له كل شئ كان بنو اسرائيل محتاجين اليه
في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل نزلت التوريه وهي سبعون وقر بعير تقرا
الجزء منه في سنة لم يثنوا الا الاربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى صلوات الله عليهم اجمعين
كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي

كاذبين فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذ ما
فعلنا له خذ ما عطفا على كتبنا ويجوز ان يكون بدلا من قوله فخذ ما آتيتك وادكر في فخذها
للالواح او لكل شئ لانه في معنى الاشياء او للرسالات او للتوراة ومعنى قوة بجد وعزم
فعل اولى العزم من الرسل ما خذوا باحسنها اي فيهما ما هو حسن واحسن كالاقتصاص والعفو
والانتصار والصبر فرهم ان يحملوا على انفسهم في الاخذ بما هو ادخل في الحسن واكثر في الثواب
كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وقيل ياخذوا بما هو واجب وندب بلانه احسن من
المباح ويجوز ان يراد ما خذوا بما امروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف احر من الشتاء
سأريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كما قال اقفرت منهم ودمروا لفسقهم
لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم ونزل منازل عاد وثمود والقرون
الذين اهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليهم في اسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقراءة
الحسن سأورثكم وهي لغة واشيه بالمجاز يقال اورثني كذا واورثته ووجهه ان يكون من
اورث لزيد كان المعنى بينه لي وانزله لاستبينه وقرئ سأوردكم وهي قراءة حسنة
يصححها قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون سأصرف عن اياتي بالطبع على قلوبهم
المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة عنها وانهماكا بما شغلهم
عنها من شهواتهم وعن العضيل بن عياض كونا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت
امتي الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا
بركة الوحي وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون ان يبطل اية موسى
بان جمع لها السحرة فابى الله الا علو الحق وانكاس الباطل ويجوز سأصرفهم عنها وعن الطعن
فيها والايمان بها وسميتها سحرا باطلا كهم وفيه انذار للخاطئين من عاقبة الذين
يصرفون عن الايات لتكبرهم وكفرهم بها ليلا يكونوا مثلهم فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق صفة
ان يكونوا حالا بمعنى متكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده وان يكون صلة لفعل التكبر
اي يتكبرون بما ليس بحق وعابهم عليه من دنهم وان يروا كل اية من الايات المنزلة عليهم لا يومنوا
بها وقراءة مالك بن دينار وان يروا بضم الياء وترى سبيل الرشد والرشاد كقولهم السقم
والسقم والسقام وما اسقمه من مركب المفازة فان راى طريقا مستقيما اعرض عنه وتركه
وان راى معتسفا مرديا اخذ فيه وسلكه وفاعل نحو ذلك في دنه اسفه ذلك في محل الرفع

بسم الله الرحمن

والذين كفروا بآياتنا وقاء الآخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون واتخذ قوم موسى من بعدهم من حليهم عجلا جسدا له خوار
الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا

او النصب على معنى ذلك الصرف لسبب كذبهم او صرفهم الله ذلك الصرف لسبب كفرهم ولقاء الآخرة
يجوز ان تكون من اضافة المصدر الى المفعول به اى ولقائهم للآخرة وشاهدتهم احوالها
ومن اضافة المصدر الى الظرف يعنى ولقاما وعد الله في الآخرة من بعث من بعد فراقه
اياهم الى الطور فان قلت لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامري قلت فيه وجهان
احدهما ان ينسب الفعل اليهم لان رجلا منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم
قالوا كذا وفعلوا والعامل والفاعل واحد لأنهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكانهم
اجتمعوا عليه والثاني ان تراد واتخذ وه الهًا وعبدوه وقرئ من حليهم بضم الحاء والتشديد
جمع حلي كثدي وثدي ومن حليهم بالكسر للاتباع كدلي ومن حليهم على التوحيد والحلي
اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة فان قلت لم قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم
انما كانت عواري في ايديهم قلت الاضافة تكون بأدنى ملابسة وكونها عواري في ايديهم
كفى به ملابسة على انهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من املاكهم الا ترى الى قوله
عز وعلا فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل
جسدًا بدنًا ذا لحم ودم كسائر الاجساد والخوار صوت البقر قال الحسن ان السامري
قبض قبضة من تراب اثر فرس جبريل يوم قطع البحر فقذفه في فم العجل فكان عجلا
له خوار وقراءة علي رضي الله تعالى عنه خوار بالجيم والهمزة من جأر اذا صاح واستصاب
جسدًا على البدل من عجلا الم يروا حين اتخذوه الهًا انه لا يقدر على كلام ولا على هداية
سبيل حتى لا اختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان كلماته وملوا الذي
اهدى الخلق الى سبيل الحق ومنهاجه بما ركز في العقول من الادلة وبما انزل في كتبهم ابتداء
فقال اتخذوه اى اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر المنكر وكانوا ظالمين واضعين كل شيء
في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكيرهم ولما سقط في ايديهم ولما
اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من شان من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده
غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مستعملا في ايديهم وملوما بها
الكناية وقراءة ابو السميفع سقط في ايديهم على تسمية الفاعل اى وقع العض فيها فقال
الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم اى في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده مكروه
وان كان محالا ان يكون في اليد لشبهها لما يحصل في القلب وفي النفس مما يحصل في اليد

نسقط

ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم والقى الالواح

وتوى بالعين وزاي الانتقام فلضلوا وتليتوا اضلالهم تبتًا كانهم ابصروه بعيونهم وقرأ ان لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا
بغفرلنا وترحمنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما قال ادم وحواء
عليهما السلام وان لم تغفر لنا وترحمنا الآسف المتبدد الغضب فلما آسفونا انتقمنا منهم
وقيل هو الحزين خلفتموني فيمن خلفتموني من بعدي وهذا الخطاب اما ان يكون
لعبدة العجل من السامري واشياعه او لوجوه بني اسرائيل وهم هارون عليه الصلوة والسلام
والمؤمنون معه ويدل عليه قوله اخلفتموني والمعنى بئس ما خلفتموني حيث عبدتم
العجل مكان عبادة الله واجتلبتم تكفروا من عبدكم غير الله فان قلت ان ما تقتضيه بئس
من الفاعل والمخصوص بالذم قلت الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم
محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافكم فان قلت اى معنى لقوله من
بعدي بعد قوله خلفتموني قلت معناه من بعد ما رأيتم مني توحيد الله ونفي الشركاء عنه
واخلاص العبادة له او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم عما طبعت تحوج
ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا كما لهم الهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا
بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه وكم من مخلف من بعدهم خلف اى من بعد اولئك الموصوفين
بالصفات الحميدة يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تمم عليه وعجله عنه غيره
ويتضمن معنى يسبق فيعدى تعديته فعال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وفوت
انتظار موسى خاطفين لعهده وما وصاكم به فبدتم الامر على ان الميعاد قريب اخر ولم
ارجع اليكم محمد ثم انفسكم بموتي فغيرتم كما تغير الامم انبيائهم وروي ان السامري
قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال هذا الهكم والهموسى ان موسى ليرجع وانه قد مات
وروي انهم عدوا عشرين يومًا بليلتها فجعلوا ارعن منهم احدثوا ما احدثوا والقى الالواح
وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبًا
لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدًا شديد الغضب وكان هارون الين منه جانبًا
ولذلك كان احب لبني اسرائيل من موسى وروي ان التوراة كانت سبعة اسباع فلما القى
الالواح تكسرت ورفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل
كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة واخذ برأس اخيه اى شعر راسه جر اليه بذؤابته
وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي يستفز وذهب بفطنته وظنا باخيه انه فرط في

الكف ابن ام قراء بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح بالاضافة وابن امي بالياء
وابن ام بكسر الهمزة والميم وقيل كان اخاه لابيه فان صح فانما اضافه الى الام اشارة الى
انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم للحق الواجب ولانها كانت مؤمنة
فاعتد بنسبها ولانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدايد فذكره بحقها ان القوم
استضعفوني يعني انه لم يال جهدا في كفهم بالوعظ والانذار وبما بلغته طاقته من بذل
القوة في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق الا ان يقتلوه فلا تشمت بي الاعداء
فلا تفعل بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة الي وقرئ فلا يشمت بي الاعداء
على نهي الاعداء عن الشماتة والمراد ان لا يحل به ما يشمتون به لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين
ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا او ولا تعتقد اني واحد من الظالمين
مع براءتي منهم ومن ظلمهم لما اعتذر اليه اخوه وذكر له شماتة الاعداء قال رب اغفر لي ولاخي
ليرضى اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما
فرط منه الى اخيه ولاخيه ان عسى فرط في حسن الخلافة وطلب ان لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال
منتظمة لهما في الدنيا والاخرة غضب من ربهم وذلة الغضب ما امروا به من قتل انفسهم والذلة
خروجهم من ديارهم لان ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال ابناءهم وهم بنو قريظة
والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية المفترين المتكذبين على
الله ولا فرية اعظم من قول السامري هذا الهكم واله موسى ويجوز ان يتعلق في الحياة الدنيا
بالذلة وحدها ويراد سينالهم غضب في الاخرة وذلة في الحياة الدنيا كقوله وضربت عليهم الذلة
والمسكنة وباؤا بغضب من الله والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا
ثم رجعوا من بعدها الى الله واعتذروا اليه وامنوا واخلصوا الايمان ان ربك من بعد تلك العظائم
لغفور لستور عليهم محاء لما كان منهم رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته
متخذوا العجل ومن عداهم عظم جنايتهم اولا ثم اردفها بعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب
وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اعظم واجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي
وجوب التوبة والانابة وما وراءه طمع فارغ واشعبية باردة لا يلتفت اليها حازم
ولما سكت عن موسى الغضب هذا مثل كان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل
لقومك كذا والق الالواح وجر براس اخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء ولم

يستحسن

رابع

٢٥

يستحسن هذه الكلمة يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح الا كذلك ولانه من
قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد
عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ ولما سكت اي اسكته الله
او اخوه باعتذاره اليه وتنصله والمعنى ولما طفي غضبه اخذ الالواح التي القاها
وفي نسخها وفيما نسخ منها اي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة لربهم يرهبون
دخلت اللام لتقدم المفعول لان تاخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه ويا
تعبرون ويقول لك ضربت واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل
الفعل كقوله منا الذي اختير الرجال سماحة قيل اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط
حتى تتاموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل
اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يصب الا ستين شيخا واوحى الله اليه ان يختار
من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا
الاربعين فذهب عنهم الجهل والصبا فامرهم موسى عليه الصلوة والسلام ان يصوموا ويتطهروا
ويطهروا ثيابهم ثم خرج الى طور سينا لميقات ربه وكان امره ربه ان ياتيه في سبعين
من بني اسرائيل فلما دنى موسى عليه الصلوة والسلام من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل
كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا
فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فطلبوا
الرؤية فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال
رب ارني انظر اليك يريد ان يسمعوا الرد والانكار من جهته فاجيب بلن تراني ورجف بهم
الجبل فصعقوا ولما كانت الرجفة قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي
وهذا تمن منه للاهلاك قبل ان يرى ما راى من تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم على
الامر اذا راى سوء المغبة لو شاء الله لاهلكني قبل هذا اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني
اتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم لانه انما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوه سفها
وجهلا ان هي الا فتنتك محنتك اي ابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على
الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء تضل

بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل
[illegible] اضلالا من الله وهدى منه لان محنته لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا
فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام انت ولينا مولانا القائم بامورنا
واكتب لنا واثبت لنا واقسم لنا في هذه الدنيا حسنة عافية وحياة طيبة او
توفينا في الطاعة وفي الاخرة الجنة هدنا اليك تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع
وتاب والهود جمع هائد وهو التائب ولبعضهم يا راكب الذنب هد هد واسجد كانك هد هد
وقرا ابو وجزة السعدي هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه وامالة
ويحتمل امرين ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى حركنا اليك انفسنا واملناها او
حركنا اليك واملنا على تقدير فعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة
ويجوز عدت بالاشمام وعدت باخلاص الضمة فيمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على
هذه اللغة ان يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده عذابي من حاله وصفته اصيب
به من اشياء اي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه
مفسدة واما رحمتي فمن حالها وصفتها انها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر
ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمتي وقراء الحسن من اساء من الاساءة فساكتب
هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يكونون في اخر الزمان من امة محمد
صلى الله عليه وسلم الذين هم بجميع اياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول
الذي يوحى اليه كتابا مختصا وهو القران النبي صاحب المعجزات الذي يجدونه يجد نعته
اولئك الذين يتبعونه من بني اسرائيل مكتوبا عندهم في التورية والانجيل ويحل لهم الطيبات
ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها او ما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر
اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث من
نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به او ما خبث في الحكم كالربا والرشوة وغيرهما
من المكاسب الخبيثة الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وهو
مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الانفس في صحة توبتهم وكذلك الاغلال
مثل لما كان في شرائعهم من الاشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان او خطاء
من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب

خالصة

واحراق

واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت وعن عطا كانت بنو اسرائيل اذا قامت
تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها
طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ اصارهم على
الجمع وعزروه ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف واصل العزر المنع ومنه
التعزير الضرب دون الحد لانه منع من معاودة القبيح الى ترى الى تسمية الحد والحد
هو المنع والنور القران فان قلت ما معنى قوله انزل معه وانما انزل مع جبريل قلت معناه
انزل مع نبوته لان استنباءه كان مصحوبا بالقران مشفوعا به ويجوز ان يتعلق
باتبعوا اي واتبعوا القران المنزل مع اتباع النبي والعمل سنته وبما امر به ونهى عنه او
واتبعوا القران كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه فان قلت كيف انطبق هذا الجواب
على قول موسى صلوات الله عليه ودعائه قلت لما دعى لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو
على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله تعالى وعلى كفرهم بايات الله العظام الذي
اجراها على يد موسى وعرض بذلك في قوله والذين هم باياتنا يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصاف
اعقابهم الذين امنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به كعبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه
وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح وفي ان يحشروا معهم
ولا يفرق بينهم وبين اعقابهم عن رحمة الله تعالى وسعت كل شيء اني رسول الله اليكم جميعا قيل بعث
كل رسول الى قوم خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن وجميعا نصب على
الحال من اليكم فان قلت الذي له ملك السموات والارض قلت الاحسن ان يكون منتصبا
باضمار اعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز ان يكون جرا على الوصف وان فصل بين الصفة
والموصوف بقوله اليكم جميعا وقوله لا اله الا هو بدل من الصلة التي هي له ملك السموات والارض
وكذلك يحيي ويميت وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة
وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالهية لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره
وكلماته وما انزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الافراد
وهي القران او اراد جنس ما كلم به وعن مجاهد اراد عيسى بن مريم وقيل هي الكلمة التي تكون عنها
عيسى وجميع خلقه وهي قوله تعالى كن وانما قيل ان عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم لانه لم يكن لكونه

سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى لعلكم تهتدون ارادة ان تهتدوا فان قلت هلا
قيل فامنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم قلت عدل عن الضمير الى الاسم الظاهر لتجري عليه
الصفات التي اجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم ان الذي وجب
الايمان به هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا
او غيري اظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه ومن قوم موسى امة هم المؤمنون
الثابتون من بني اسرائيل لما نزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى قدموا على العظيمتين عبادة العجل
واستجازة رؤية الله تعالى ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم
على الاستقامة ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون او اراد الذين وصفهم ممن
ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وامن به في اعقابهم وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا
وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسالوا الله تعالى ان يفرق بينهم
وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء
الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل
ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا
محمد النبي الامي فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه مني
السلام فرد محمد على موسى عليهما الصلوة والسلام السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة
ولم يكن فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا مسبتون فامرهم ان يجمعوا
ويتركوا السبت وعن مسروق قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل اني منهم فقال عبد الله يعني لمن كان
في مجلسه من المؤمنين وهل تريد صلحا وكم عليهم شيئا من يهدي بالحق وبه يعدل وقيل لو
كانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين وهذا من باب
الفرض والتقدير والا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى كل افق وتغلغل في كل
نفق ولم يبق الله اهل صدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الارض ومغاربها
الا وقد القاه اليهم وملأ به مسامعهم وللزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيمة
وقطعناهم وصيرناهم قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم وقرئ وقطعناهم
بالتخفيف اثنتي عشرة اسباطا كقولك اثنتي عشرة قبيلة والاسباط اولاد الولد جمع سبط وكانوا
اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد يعقوب عليه الصلوة والسلام فان قلت مميز ما عدا

العشرة

العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا قلت لو قيل ذلك لم
يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط فوضع اسباطا
موضع قبيلة ونظيره بين رماحي مالك ونهشل وامما بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم
امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم
خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تأتلف وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين فانبجست فانفجرت
والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج وكيف غربي دالج تبجسا
فان قلت هلا قيل فضرب فانبجست قلت لعدم الالباس وليجعل الانبجاس مسببا عن
الايحاء بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء
الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به وقوله كل اناس نظير قوله اثنتي عشرة اسباطا
يريد كل امة من تلك الامم اثنتي عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثناء وتؤام
واخوات لها ويجوز ان يقال ان الاصل والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت في
نحو سكارى وغيارى من الفتحة وظللنا عليهم الغمام وجعلناه ظليلا عليهم في التيه
وكلوا على ارادة القول وما ظلمونا وما رجع ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا يضرون انفسهم
ويرجع وبال ظلمهم اليهم واذ قيل لهم واذكروا اني قيل لهم والقرية بيت المقدس فان قلت كيف
اختلفت العبارة ها هنا وفي سورة البقرة قلت لا باس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك
تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية فكلوا منها وبين قوله وكلوا لانهم اذا
سكنوا القرية فتسبب سكناهم للاكل منها فقد جمعوا في الوجودين سكناها والاكل منها
وسواء قدموا الحطة على دخول الباب او اخروها فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك
ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران
وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استيناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران
فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون
من واد واحد وقرئ نغفر لكم خطيئاتكم وتغفر لكم خطاياكم وخطيئاتكم وخطيئتكم على البناء للمفعول
وسلهم وسل اليهود وقرئ واسألهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم
لحدود الله تعالى والاعلام بان هذا من علومهم التي لا تعلم الا بكتاب او وحي فاذا اعلمهم به من لم يقرأ
كتابهم علم انه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك اعدوتم في السبت

والقرية أيلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن ابي عمرو بن العلا
ما رايت قرويين افصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من اهل المدن حاضرة البحر قريبة
منه راكبة لشاطئه اذ يعدون في السبت اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم
في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدون بمعنى يعتدون ادغمت التاء في الدال ونقلت
حركتها الى العين ويعدون من الاعداد وكانوا يعدون الات الصيد يوم السبت وهم مامورون
بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اذا عظمت سبتها بترك
الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله تعالى يوم سبتهم
معناه يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله تعالى ويوم لا يسبتون وقراءة عمر بن عبد العزيز
ويوم اسباتهم وقرئ لا يسبتون بضم الياء وقراءة علي رضي الله عنه لا يسبتون بضم الياء
من اسبتوا وعن الحسن لا يسبتون على البناء للمفعول اي لا يدار عليهم السبت ولا يومرون
بان يسبتوا فان قلت اذ يعدون واذ تاتيهم ما محلها من الاعراب قلت اما الاول فمجرور بدل
من القرية والمراد بالقرية اهلها كانه قيل وسلهم عن اهل القرية وقت عدوانهم في
السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا بكانت او بحاضرة واما الثاني فمنصوب
بيعدون ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل والحيتان السمك واكثر ما تستعمل العرب الحوت
في معنى السمك شرعا ظاهرة على وجه الماء وعن الحسن يشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض
يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف علينا وشرعت على فلان في بيته فرايته
يفعل كذا كذلك نبلوهم مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم واذ قالت معطوف على
اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب امة منهم جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا
الصعب والذلول في موعظتهم حتى ايسوا من قبولهم الاخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم لم
يعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا لتماديهم
في الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة الى ربكم اي موعظتنا
ابلاء عذر الى الله ولئلا ننسب في النهي عن المنكر الى بعض التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا
في ان يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب اي وعظناهم معذرة الى ربكم او اعتذرنا
معذرة فلما نسوا يعني اهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه
انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الظالمين الراكبين للمنكر فان قلت الامة الذين

قالوا

اليهود

قالوا لم يعظون من اي الفريقين هم امن فريق الناجين ام المعذبين قلت من فريق الناجين
لانهم من فريق الناهين وما قالوا الا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا
صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي حال المنهي وان النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما
وجب الترك لدخوله في باب العبث الا ترى انك لو ذهبت الى المكاسين القاعدين على الماصر
او الى الجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا
للتلهي بك واما الاخرون فانما لم يعرضوا عنهم اما لان ياسهم لم يستحكم كما استحكم ياس الاولين
ولم يخبروهم كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم في امرهم كما وصف الله رسوله صلى الله عليه وسلم في
قوله تعالى فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون
منا قوما تزعمون ان الله مهلكهم او معذبهم وعن ابن عباس انه قال ليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين
قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم
وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان
وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان وروي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم
الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت
الحيتان تاتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كانها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون
لا تاتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت
فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدروا على الخروج منها وتاخذونها
يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد
فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت
القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لم يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين
الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحو اثني عشر الفا وثلث لم يعظون قوما وثلث هم
اصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين
باب ولعنهم داود عليه الصلوة والسلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المتعدين احد
فقالوا ان للناس شانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود
انسباءها من الانس ولا يعرفون انسباءهم فجعل القرد ياتي بسببه فيشمر ثيابه ويبكي فيقول
الم ننهكم فيقول براسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن اكلوا والله اوخم

قالوا

اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الاخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه
قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر بئيس شديد
يقال بؤس يبؤس باسا اذا اشتد فهو بئيس وقرئ بيس بوزن حذر وبيس على تخفيف
العين ونقل حركتها الى الفاء كما يقال كبد في كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب على
فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيّس بوزن ريّس على قلب همزة بييس يا وادغام الياء فيها وبيس على
تخفيف بيّس كهين في هيّن وبايس على فاعل فلما عتوا عما نهوا عنه فلما تكبروا عن ترك ما نهوا
عنه كقوله تعالى وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة عبارة عن مسخهم قردة كقوله تعالى انما
امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والمعنى ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا
بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله تعالى فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ تاذن ربك
عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث به نفسه ويؤذنها
بفعله واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به القسم وهو قوله
ليبعثن والمعنى واذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم
سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها
عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى اخر الدهر ومعنى ليبعثن ليسلطن عليهم كقوله بعثنا
عليكم عبادا لنا اولي باس شديد وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من
فرقة منهم منهم الصالحون الذين امنوا منهم بالمدينة او الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس
دون ذلك الوصف منحطون عنهم وهم الكفرة والفسقة فان قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع
وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا الا له مقام معلوم
بمعنى وما منا احد الا له مقام وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم ينتهون
فينيبون فخلف من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب
التورية بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل
والتحريم ولا يعملون بها ياخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به
منها وفي قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب
واما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا ياخذونه من الرشا في الاحكام وعلى تحريف الكلم
للتسهيل على العامة ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما اخذنا وفاعل سيغفر الجار والمجرور

وهو

وهو لنا ويجوز ان يكون الاخذ الذي هو مصدر ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الواو للحال
اي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة
والمصر لا غفران له الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التورية من ارتكب ذنبا عظيما فانه
لا يغفر له الا بالتوبة ودرسوا ما فيه في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه
المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار رحمه الله تعالى عليه ياتي على الناس زمان ان
قصروا عما امروا به قالوا سيغفر لنا لم نشرك بالله شيئا كل امرهم الى الطمع خيارهم فيه
المداهنة فهاولاء من هذه الامة اشباه الذين ذكرهم الله تعالى وتلا الاية والدار الاخرة خير
من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشا ومحارم الله وقرئ ورثوا الكتاب والا تقولوا بالتاء
وادارسوا بمعنى تدارسوا وافلا يعقلون بالياء والتاء فان قلت ما موقع قوله تعالى ان لا تقولوا على
الله الا الحق قلت هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب
وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله تعالى وتقول عليه ما
ليس بحق وان فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان الا تقولوا مفعولا له ومعناه لئلا تقولوا
ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا تقولوا نهيا كانه قيل الم يقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق فان قلت
علام عطف قوله ودرسوا ما فيه قلت على الم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكانه قيل اخذ عليهم ميثاق
الكتاب ودرسوا ما فيه والذين يمسكون بالكتاب فيه وجهان احدهما ان يكون مرفوعا بالابتداء
وخبره انا لا نضيع اجر المصلحين والمعنى انا لا نضيع اجرهم لان المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب
كقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا والثاني ان يكون مجرورا عطفا
على الذين يتقون ويكون قوله انا لا نضيع اعتراضا وقرئ يمسكون بالتشديد وقراءة ابي والذين مسكوا
بالكتاب فان قلت التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها اقامة الصلوة فكيف افردت
قلت اظهارا لمزية الصلوة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والايمان وقرا ابن مسعود والذين
استمسكوا بالكتاب واذ نتقنا الجبل فوقهم قلعناه ورفعناه كقوله تعالى ورفعنا فوقهم الطور
ومنه نتق السقا اذا نقصه ليقتلع الزبدة منه والظلة كل ما اظلك من سقيفة او سحاب
وقرئ بالطاء من اطل اذا اشرف وظنوا انه واقع بهم وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا
احكام التورية لغلظها وثقلها فرفع الله تعالى الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا وقيل
لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر

وملوا نظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسحر الا على حاجبه الأيسر
ويقولون هي السحاب التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا
شجر ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يقرأ علة التوراة الا اهتز ولا ينفصل لها راسه خذوا
ما اتيناكم على ارادة القول اي وقلنا خذوا ما اتيناكم او قائلين خذوا ما اتيناكم بقوة وعزم على
احتمالي مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي ولا تنسوه واذكروا ما فيه من التعريض
للثواب العظيم فارغبوا فيه وجوز ان يراد خذوا ما اتيناكم من الاية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه
كقوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على
القدرة الباهرة والانذار لعلكم تتقون ما انتم عليه وقرأ ابن مسعود وتذكروا وقرئ واذكروا
بمعنى وتذكروا من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل ومعنى اخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم
من اصلابهم نسلا بعد نسل واشهادهم على انفسهم وقوله الست بربكم وقالوا بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل
ومعنى ذلك انه نصب الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها
فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكانه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال الست بربكم
وكانهم قالوا انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم وفي كلام العرب ونظيره قوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فقال لها
وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله اذ قالت الانساع للبطن الحق قالت له ريح الصبا
قرقار ومعلوم انه لا قول ثم وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى ان يقولوا مفعول له اي فعلنا ذلك من نصب
الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه
او كراهة ان يقولوا انما اشرك ابآؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاتقتدينا بهم لان نصب الادلة على
التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء
كما لا عذر للآباء في الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم فان قلت بنو آدم وذرياتهم منهم قلت عنى ببني
آدم اسلاف اليهود الذين كشوكوا بالله حتى قالوا عزير بن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اخلافهم المقتدين بآبائهم والدليل على انهما في المشركين واولادهم قوله او تقولوا انما
اشرك آباؤنا من قبل والدليل على انها في اليهود الآيات التي عطفت عليها وهي على نظمها واسلوبها وذلك
قوله وسئلهم عن القرية واذ قالت امة منهم واذ نادى ربك واذ سفنا الجبل فوقهم وانزل عليهم نبأ الذي
آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فمثل الفوم الذين كذبوا بآياتنا
فمثل الكلب في خسة الحال وسوء الحال وفي ان ذلك صفة لازمة له في جميع احواله سواء حمل عليه
او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا
حمل عليه وحرك والكلب يتصل لهثه في الحالين جميعا وكان حق الكلام ان يقال
ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل
الكلب في خسيس احواله واذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس الكلب منفطع الفؤاد بلهث ان حمل عليه
او لم يحمل عليه وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته
فتسعى لهث وان تركته على حاله لهث فان قلت ما محل الجملة الشرطية قلت النصب على الحال
كانه قيل كمثل الكلب في ملازمة هذه الحالة الذليلة لاهثا في الحالين وقيل لما دعا بلعم على موسى صلوات الله
وسلامه عليه خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا
من اليهود بعد ما قرأوا ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه ولبشروا

بلى ص

لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ تفصيل الآيات كلها ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا عن
شركهم تفصيلها وقرئ ذريتهم على التوحيد وان يقولوا بالياء وابل عليهم على اليهود نبأ الذي آتيناه
اياتنا فانسلخ منها هو عالم من علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعور او قيل علم بعض
كتب الله تعالى فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها ونبذ وراء ظهره فاتبعه الشيطان فلحقه
الشيطان وادركه وصار قرينا له او فاتبعه خطواته وقرئ فاتبعه بمعنى فتبعه فكان
من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى ومن معه
فابى وقال كيف ادعو على من معه الملايكة فالحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل ولو شئنا
لرفعناه بها لعظمناه ورفعناه الى منازل الابرار من العلماء بتلك الآيات ولكنه اخلد الى الارض
مال الى الدنيا ورغب فيها وسفل مال الى السفالة فان قلت كيف علق رفعه بمشية
الله ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها
لرفعناه بها وذلك ان مشيئة الله رفعة تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد
ما هي تابعة له ومسببة عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله تعالى ولكنه
اخلد الى الارض فاستدرك المشيئة باخلاده الذي هو فعله فوجب ان تكون ولو شئنا في
معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب ان يقال ولو شئنا له رفعناه ولكنا لم
نشاء فمثله كمثل الكلب في صفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في
الخسيس احواله واذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه اي شد عليه
فصيح طرد او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا
هيج منه وحرك والالم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالين جميعا وكان حق الكلام ان يقال
ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل
الكلب في خسيس احواله واذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس الكلب منفطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه
او لم يحمل عليه وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته
فتسعى لهث وان تركته على حاله لهث فان قلت ما محل الجملة الشرطية قلت النصب على الحال
كانه قيل كمثل الكلب في ملازمة هذه الحالة الذليلة لاهثا في الحالين وقيل لما دعا بلعم على موسى صلوات الله
وسلامه عليه خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا
من اليهود بعد ما قرأوا ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا

الكاسبين ما تقرأ بعضه وكانوا يستفتحون به فاقصص قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون
فيحذرون مثل عاقبته اذ سارعوا نحو سيرته وذاغوا شبّه زيغه ويعلمون انك علمته من جهة
الوحي فيزدادوا ايقانا بك وتزداد المحنة لزوما لهم ساء مثلا القوم اي مثل القوم او ساء
اصحاب مثل القوم وقرأ الحذري ساء مثل القوم وانفسهم كانوا يظلمون انما ان يكون معطوفا على كانوا
فدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما
مستقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وعدم المفعول به للاختصاص كأنه
قيل وخصوا انفسهم بالظلم بتعدّيها الى غيرها نحو المهتدي حمل على اللفظ واولئك هم الخاسرون
حمل على المعنى كثيرا من الجن والانس هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله تعالى انهم لالطفهم وجعلهم
في انهم لا يلقون اذهانهم الا معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم الا ما خلق الله نظرا اعتبار ولا
يسمعون ما تتلى عليهم من آيات الله سماع تدبّر كانهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون
واستماع الاذان وجعلهم لاغرافهم في الكفر وشدة شكايتهم فيه وانه لا يأتي منهم الا افعال اهل
النار مخلوقين للنار دالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم بما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب
عمر رضي الله تعالى عنه الى خالد بن الوليد بلغني ان اهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر والخمر
لا طعنكم ذرء النار ويقال لمن كان غير بقاني بعض الامور ما خلق فلان الا لكذا والمراد وصفهم بالجهود
في عظم ما اقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم انه النبي الموعود وانهم من جملة
الكثير الذين لا يكاد الايمان ثناني منهم كانهم خلقوا للنار اولئك كالانعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار
والاستماع للتدبر بل هم اضل من الانعام عن الفقه والاختبار والتدبّر اولئك هم الغافلون الكاملون
في الغفلة وقيل الانعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصر وما ولاء الكتم مع علم انه معاند
يقدم على النار وسد الاسماء الحسنى التي هي احسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس
ويخرج لك فادعوه بها فسمّوا تلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا اسمنة الذين يميلون
عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك انا سموه بما لا يجوز عليه كما سمّينا
البدو نقولون جهلهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا نخي او بان يأتوا تسمية بعض اسمائه الحسنى كأن
نقولوا يا سخي ولا نقولوا يا رحيم ودل قال الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء
الحسنى ويجوز ان يراد وسد الاوصاف الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير والاحسان وانفي
شبه الخلق يوصفون بها وذروا الذين يلحدون في اوصافه فيصفونه بمشبهة القبائح وعلى الجملة

والمنكر وما يدخل في التشبيه كالوثنية وكقولهم وقتل الحادثهم في اسمائه تسميتهم الاصنام
الهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز لما قال ذرانا لجهنم كثيرا فاخبر تعالى ان كثيرا
من المخلوقين عاملون باعمال اهل النار اتبعه قوله ومن خلقنا امة يهدون بالحق وعن النبي صلى
الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة
يهدون بالحق وعنه عليه الصلوة والسلام ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم
الذين امنوا من اهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين الاستدراج استفعال من
الدرجة بمعنى الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة قال الاعشى

فلو كنت في جبّ ثمانين قامة ورقّبت اسباب السماء بسلّم

ليستدرجنك القول حتى تهرّه وتعلم اني عنكم غير معجم ومنه درج الصبي اذا قارب
بين خطاه وادرج الكتاب طواه شيا بعد شي ودرج القوم مات بعضهم في اثر بعض ومعنى
سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث
لا يعلمون ما يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة
ازداد وابطرا وجدّد وا معصية فيندرجون في المعاصي بسبب تواتر النعم ظانين ان
مواترة النعم اثرة من الله تعالى وتقريب وانما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله نعوذ
بالله منه واملي لهم عطف على سنستدرجهم ومو داخل في حكم السين ان كيدي متين سمّاه
كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان ما بصاحبهم
محمد صلى الله عليه وسلم من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة ان النبي صلى
الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا فحذرهم بأس الله وقال يا بني ان صاحبكم هذا
ليس بمجنون بات يهوّن الى الصباح اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض فيما
يدلان عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شي وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم
الشي من اجناس لا تحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف وان عسى ان مخففة من الثقيلة
والاصل وانه عسى على ان الضمير ضمير الشان والمعنى اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون
قد اقترب اجلهم وللعلم يموتون عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما بينهم قبل مفاجئة
الاجل وحلول العقاب ويجوز ان يراد باقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشان فان قلت

الاجل

م متعلق قوله فبای حدیث بعده یومنون قلت یقوله عسی ان یکون قد اقترب اجلهم کانه قیل لعل اجلهم قد اقترب فبای حدیث بعد القرآن قبل الموت وما یشعرون بعد وضوح الحق وبای حدیث احق منه یؤمنون ان یومنوا فتوی ویذرهم بالیاء والنون والجزم عطفا علی محل فلا هادی له کانه قیل من یضلل الله لا یحقق احد ویذرهم یسالونک قیل ان قوما من الیهود قالوا یا محمد اخبرنا متی الساعة ان کنت نبیا فانا نعلم متی هی وکان ذلک امتحانا مع علمهم ان الله تعالی قد استاثر بعلمها وقیل السایلون قریش والساعة من الاسماء الغالبة کالنجم للثریا وسمیت القیامة بالساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او علی العکس لطولها اولانه عند الله علی طولها کساعة من الساعات عند الخلق ایان بمعنی متی وقیل استفاقه من ای فلان منه لان معناه ای وقت وای فعل من اویت الله لان البعض اوی الی الکل منساق الیه قاله ابن جنی وابی ان یکون من ان لانه زمان وابن مکان وقراء السلمی ایان بکسر الهمزة مرساها ارساؤها او وقت ارسائها ای اثباتها او اقرارها وکل شیء ثقیل رسو ثبات وارساء ومنه رسی الجبل وارسی السفینة والمرسی لا نجر الذی ترسی به ولا اثقل من الساعة بدلیل قوله تعالی ثقلت فی السموات والارض والمعنی متی یرسیها الله انما علمها عند الله ای علم وقت ارسائها عندهم وقد اخبرنا بانه لم یخبر به احدا من ملک مقرب ولا نبی مرسل یکاد یخفیها من نفسه لتکون ذلک ادعی الی الطاعة وازجر عن المعصیة کما اخفی الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلک لا یجلیها لوقتها الا هو ولا تزال تخفیه لا یظهر امرها ولا یکشف خفا علمها الا هو وحده اذا جاءها امره وقتها بغتة لا یجلیها الا الخبر عنها قبل مجیئها احد من خلقه لاستمرار الخفا بها علی غیره الی وقت وقوعها ثقلت فی السموات والارض ای کل من اهلها من الملائکة والثقلین اهم شان الساعة وبوده ان یتجلی له علمها وشق علیه خفاوها وثقل علیه او ثقلت فیها لان اهلها یتوقعونها ویخافون شدایدها وامورها اولان کل شیء لا یطیقها ولا تقوم لها فهی ثقیلة الا بغتة الا تجیء علی غفلة منکم وعن النبی صلی الله علیه وسلم ان الساعة تخیج بالناس والرجل یصلح حوضه والرجل یسقی ماشیته والرجل یقوم سلعته فی سوقه والرجل یخفض میزانه یرفعه کانک حفی عنها کانک عالم بها وحقیقته کانک بلیغ فی السوال عنها لان من بالغ فی المسئلة عن الشیء والتفتیش عنه استحکم علمه فیه ورصن وهذا الترکیب معناه المبالغة ومنه اخفاء الشارب واخفاء البظر استیصاله واحفی فی المسئلة اذا الحف وحفی نعلان وکفی به بالغ فی

حصة بدل من ان لانه لو جوز علیه اذ هو غایر کبعض حصان وفضله والا جوز لنا ان نسمی ما جوز علیه مخلوقا وان لا نسمی الله خالقا لغیره کذلک الضمیر فی انها للساعة وذکرها لتاویلها بالبعث والنشور وفاسده واظهر منا عمه ووقفنا الی الادب مع منصب الربوبیة ومنه وکرمه

البرية وعن مجاهد اخفيت عنها السوال حتى علمت وقراءة ابن مسعود كانك حفي بها اى عالم
بها فلبغ في العلم بها وقيل عنها متعلق بيسالونك عنها كانك حفي اى عالم بها وقل ان تردنشا قالوا
لما ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسالونك عنها كانك حفي تبحفي بهم فتختصهم بتعليم
وقتها لاجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم ولو اخبرت بوقتها المصلحة عرفها الله في اخبار كثيرة
لكنت مبلغة القريب والبعيد من غير تخصيص كسايرما اوحي اليك وقيل كانك حفي بالسوال عنها
تحبه وتوثر يعني انك تكثر السوال عنها لانها من علم الغيب الذي استاثر الله به ولم يوته احدا من
خلقه فان قلت لم كرر يسالونك وانما علمها عند الله قلت للمبالغة ولما جاء به من زيادة قوله كانك
حفي عنها وعلى هذا انكر بعض العلماء الحذاق في كتبهم لا تخلون المكرر من فائدة زايدة منهم محمد بن الحسن صاحب
ابي حنيفة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها قل لا املك هو اظهار للعبودية
والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب اي انا عبد ضعيف لا املك لنفسي جلب نفع ولا دفع
ضر كما المماليك والعبيد الا ما شاء ربي وما لكي من النفع لي والدفع عني ولو كنت اعلم الغيب لكان تحت طلبي
على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء
منها ولم اكن عالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحروب وربحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطيا
في الذاهبين انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شانى ان اعلم الغيب لقوم يومنون يجوز
ان يتعلق بالنذير والبشير جميعا لان النذارة والبشارة انما ينفعان فيهم او يتعلق بالبشير وحده
ويكون المتعلق بالنذير محذوفا اى للانذر للكافرين وبشير لقوم يومنون من بيس واحاد وهي نفس آدم
وجعل منها زوجها وهي حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من اضلاعه او من جنسها كقوله جعل
لكم من انفسكم ازواجا ليسكن اليها ليطمين اليها ويميل ولا ينفر لان الجنس الى الجنس اميل وبه آنس
واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان الى ولده ومحبة نفسه لكونه
بضعة منه وقال ليسكن وذكر بعد ما انث في قوله واحاد منها زوجها ذهابا الى معنى النفس لتبين
ان المراد بها آدم ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويغشاها فكان الذكر احسن طباقا للمعنى
والغشى كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما
تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقله ولد تسمع بعضهن
تقول في ولدها ما كان اخفه علي حين حملته فمرت به فمضت به الى وقت ميلاده من غير
اخلاج ولا ازلاق وقيل حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت

ليعلم انه قليل واجب الادب والتبجيل لقوله كانك حفي بها
خلاف ما هي عليه بل حاله انه يكفر الحوادث ويرجئها في الصحيح كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اجود ما يكون في رمضان
فوارد كان ركان ضعيفا عند الاخفش للاخبار الكثيرة الدالة على خلافه حتى قولهم
ولو كنت بالغيب عالما لاكثرت من الخير ومما يدل على فساد هذا الوجه قوله
الى ان مسني الضر لا يكون الا بعد ما مسه بالفعل ولا يجوز ان يقال
اعلم ان مسني الضر وشيكا فاستكثر من الخير
موتنم لان السامع عرف ان الصلاح وهو مناسب لان من لا يخاف
الحقايا من ومغلوبا اخرى في الحروب ورد بان
عمر حين طعنه قاتله الله ابو لؤلؤة فانه امر بقتله قبل ان يموت
قائلا كما في حاله ما اردت الله بهذا احد خير
الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الاسلام
واجب ورسوله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول ان ادنى الخطايا
الصحيح اذا احيى الوطيس ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنكات
ممدود وحنين اسم الموضع بينه وبين مكة ليلتان
محمدا ان الله قد اجارك من ان تقول باطلا او تكذب
طوعا متصل الياء بالهاء في الخط
انتظم ان تكون باجاد اذا ما سلم داعيا ان
وانما عارض ذا ليزاوج الكلام
الغرض فانه اذا ثبت ان الكلام
اثنانيه عارض ذا ليزاوج الكلام
طوعا متصل الياء بالهاء في الخط
انتظم ان تكون باجاد اذا ما سلم داعيا ان
وانما عارض ذا ليزاوج الكلام

وقرا ابن عباس فلما استمرت به وقرا الحسن تمرفرت به بالتخفيف وقرا غيرهما فمارت به المرية
كقوله افتمرونه وافتمارونه ومعناه فوتع في نفسها ظن الحمل وارتابت به فلما اثقلت جاز
وقت تثقل حملها كقولك اقربت وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اى اثقلها الحمل دعوا الله
دعا آدم وحواء ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعا وللتجاء الله وقالا لئن آتيتنا ابنا
وهبتنا صالحا ولدا سويا فدصلح بدنه وقوى وفصل ولدا ذكرا لان الذكور من الصلاح
والجودة والضمير في آتيتنا وليكونن لطهما ولكل من مثنا سل من ذريتهما فلما اتاهما
طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء اى جعل اولادهما له شركا على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك فيما اتاهما اى آتى اولادهما وقد دل على ذلك بقوله
تعالى لله عما يشركون حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما
اتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد منافة وعبد شمس وما اشبه ذلك وكان عبد الله
وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الى قوله فتصدقنا معبد نبا لقصي ما زوى
الله عنكم به من فخار لابائكم وسودد ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل
من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما اتاهما ما طلبا من الولد الصالح
السوي جعلا له شركاء فيما اتاهما حيث سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى
وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما
في الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه وقرئ شركا اى ذوي شرك ومعنى الشركا في
احدنا اشراكا في الولد اجرت الاصنام مجرى اولي العلم في قوله ومم يخلقون شبههم اعتقادهم
فيها وتسميتهم اياها الهة والمعنى ايشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما خلق الله وهم
يخلقون لان الله خالقهم اولا يقدر على اخلاق شيء لانه جماد ومم يخلقون لان عبدتهم يخلقونهم
فهم اعجز من عبدتهم ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فمدفعون عنها
ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم مم الذين يدفعون عنهم ويحامون وان تدعوهم وان تدعوا
هذه الاصنام الى الهدى اى الى ما هو هدى ورشاد والى ان يهديكم والمعنى وان تطلبوا
منهم كما يطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم لبغيتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله
تعالى ودل عليه قوله تعالى فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين سواء عليكم ادعوتموهم

آم صمتم عن دعايهم في انه لا افلاح معهم فان قلت على ما قيل ام صمتم ولم وضعت الجملة
الاسمية موضع الفعلية قلت لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون اصنامهم لقوله
تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون ان كلمتهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل ان
دعوتموهم لم تعرف الحال بين احد امرين دعاءكم وسكوتكم اى انتم على عادة صمتكم عن
دعايهم ان الذين تدعون من دون الله اى عبدونهم ويسمونهم الهة من دون الله عبادا امثالكم
وقوله عبادا امثالكم ايستهزاء بهم اى قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان بنية ذلك فهم
عبادا امثالكم لا بد افضل بينكم ام ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم فقال لهم ارجل ممشون بها وقيل
عبادا امثالكم مملوكون امثالكم وقراء سعيد بن جبير ان الذين تدعون من دون الله عبادا
امثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا امثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم
على اعمال ان المخففة عمل ما الحجازية قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدوني
جميعا انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فاني لا ابالي بكم ولا بتقول هذا الا واثق بعصمة الله تعالى وكانوا
قد خوفوه الهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء
فعال لهم اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ان وليي الله ان ناصري عليكم
الله الذي نزل الكتاب الذي اوحى الي كما تولى رسالته وهو يتولى الصالحين ومن عادته ان
ينصر الصالحين من عباده وانبياءه ولا تخذلهم تنظرون اليكم تشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا
اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى شيء ينظر اليه وهم لا يبصرون وهم لا يدركون المرئي العفو ضد
الجهد اى خذ ما عفا لك من افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تطلب
منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا تنفروا كقوله عليه الصلوة والسلام يسروا ولا تعسروا وقال
خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب وقيل خذ العفو وما تسهل
من صدقاتهم وذلك قبل نزول اية الزكوة فلما نزلت امر بان ياخذ منهم ما طوعا او كرها والعرف المعروف
والجميل من الافعال واعرض عن الجاهلين ولا تكافيء السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض
على ما يسوءك منهم وقيل لما نزلت الاية سال جبريل فعال لا ادري حتى اسال ثم رجع فعال يا محمد ان ربك
امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن ظلمك وعن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه امره
الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق وليس في القران اية اجمع لمكارم الاخلاق منها
واما ينزغنك من الشيطان نزغ واما تخسنك منه تخس بان يحملك بوسوسة على خلاف ما امرت به

فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس كانه ينخس الناس حين يغريهم على
المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده وروى انها لما نزلت قال قال رسول الله صلى
عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل واما ينزغنك ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء
الغضب كقول ابي بكر رضي الله تعالى عنه ان لي شيطانا يعتريني طيف من الشيطان لمة
منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا قال اني الم بك الخيال يطيف او هو
تخفيف طيف فيعل من طاف يطيف كلين او من طاف يطوف كهين وقرئ طايف وهو يحتمل
من الامرين الايضا وهذا تاكيد وتقرير لما تقدم وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان
وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسة تذكروا
ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم ولم يتبعوه
انفسهم واما اخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم في الغي
اي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم
ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اعوانهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله واخوانهم يمدونهم كقوله
قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها في ان الخبر جار على غير ما هو له ويجوز ان يراد بالاخوان
الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على غير ما هو له والاول
اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا فان قلت لم جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد
قلت المراد به الجنس كقوله اوليا وهم الطاغوت اجتبى الشي بمعنى جباه لنفسه اي
جمعه كقوله اجتمعه او جبي اليه فاجتباه اي اخذه كقولك جليت اليه العروس فاجتلاها
ومعنى لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا
لافك مفترى او هلا اخذتها منزلة عليك مقترحة قل انما اتبع ما يوحى الي ولست بمفعل
للايات او لست بمقترح لها هذا بصاير هذا القران بصاير من ربكم اي حجج بينة تعود
المومنون بها بصراء بعد العمى او هو بمنزلة بصاير القلوب واذا قرئ القران فاستمعوا له
وانصتوا ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراة القران في صلاة وغير صلاة
وقيل كانوا يتكلمون في الصلوة فنزلت ثم صارت سنة في غير الصلوة ان ينصت القوم
اذا كانوا في مجلس يقرا فيه القران وقيل معناه واذا تلي عليكم الرسول القران عند نزوله
فاستمعوا له وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه واذكر ربك في نفسك هو عام

في الاذكار من قراة القران والدعا والتسبيح والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا
وخائفا ودون الجهر ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب الى حسن
التفكر بالغدو والاصال لفضل هذين الوقتين او اراد الدوام ومعنى بالغدو باوقات الغدو
وهي الغدوات وقرئ والايصال من اصل اذا دخل في الاصيل كاقصر واعتم وهو مطابق للغدو
ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه ان الذين عند ربك هم الملايكة
صلوات الله عليهم ومعنى عند دنو الزلفة والقرب من رحمة الله تعالى وفضله لتوفرهم على
طاعته وابتغاء مرضاته وله يسجدون ويخصونه بالعبادة ولا يشركون به غيره وهو تعريض بمن
سواهم من المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة
بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة سورة الانفال مدنية ست وسبعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطايه قال لبيد
ان تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زايدا على سهمه من المغنم وهو
ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه قال لسرية ما اصبتم
فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد منه وعند
الامام الشافعي في احد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف من المسلمين في غنايم بدر وفي قسمتها
فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها اللمهاجرين ام للانصار ام لهم
جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشا ليس لاحد غيره
فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم ان ينفله فتنازع شبانهم حتى قتلوا سبعين
واسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن
المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون
اليها ان انهزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم المغنم قليل والناس كثيرون ان تعط هاولاء ما
شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت وعن سعد بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به
سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجيت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في
القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سالتني السيف وليس لي وانه

الانفال

قد صار لي فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر اصحاب بدر حين
اختلفنا وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على
السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة لرسوله واصلاح ذات البين وقرأ ابن محيصن يسألونك
عن الانفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام وقرأ ابن مسعود
يسألونك الانفال اي يسألك الشبان ما شرطت لهم من الانفال فان قلت ما معنى الجمع بين ذكر الله
والرسول في قوله قل الانفال لله وللرسول قلت معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله
بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول صلى الله عليه وسلم امر الله فيها وليس الامر في
قسمتها مفوضا الى راي احد والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله وامر به رسوله صلى الله عليه
وسلم ان يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم
على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين من
التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين في الله
واصلحوا ذات بينكم وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطا كان الاصلاح
بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم
على بعض فان قلت ما حقيقة قوله ذات بينكم قلت احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال
حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله تعالى بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت
الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا انائك يريدون ما في الاناء من الشراب وقد
جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم ان
كلام الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين ان كنتم كاملي الايمان واللام في
قوله تعالى انما المؤمنون اشارة اليهم اي انما الكاملون الايمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل
عليه قوله تعالى اولئك هم المؤمنون حقا وجلت قلوبهم فزعت وعن ام الدرداء الوجل في القرآن
كاحتراق السعفة انما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فان الدعاء يذهبه
يعني فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة
وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر
رأفته ورحمته وثوابه وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع
وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله فرقت زادتهم ايمانا

ازدادوا

ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لان ظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل
على زيادة العمل وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه الايمان سبع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان
لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز
ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان
وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه جمع بين اعمال القلوب
من الخشية والاخلاص والتوكل بين اعمال الجوارح من الصلوة والصدقة حقا صفة للمصدر المحذوف
اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله
حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا سأله أمؤمن انت قال الايمان ايمانان فان كنت سألتني عن
الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن
وان كنت سألتني عن قول الله انما المؤمنون فوالله لا ادري امنهم انا ام لا وعن الثوري من زعم انه
مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعني
كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثني في
الايمان وكان ابو حنيفة ممن لا يستثني فيه وحكي عنه انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك
قال اتباعا لابراهيم صلوات الله عليه في قوله والذي اطمع ان يغفر لي فقال هلا اقتديت به في قوله
اولم تؤمن قال بلى درجات شرف وكرامة وعلو منزلة ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق
كريم نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب كما اخرجك
ربك فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال
كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك
للحرب والثاني ان ينتصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله تعالى الانفال لله والرسول
اي الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من
بيتك وهم كارهون ومن بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي في
اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق اي اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذي
لا محيد عنه وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير
قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص
وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير

لكثرة الخير وقلة النفير فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل
مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد ومن معه ابدا ولن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت
اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت ان ملكا نزل من السما
فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة
فحدثها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبأ احدى نساءهم فخرج من مكة
بجميع اهل مكة وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت
طريق الساحل فارجع فابى وقال لا والله لا نكون ذلك ابدا حتى نحضر الجزور ونشرب الخمور
ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بخروجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد
اعترضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع له لسوقهم يوما في السنة ونزل
جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكما احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي
صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال لهم ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير
احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا
يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر
رضي الله تعالى عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت
حتى تعلن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار وقال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك
الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا
ها هنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا
له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت
في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه آباءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يخوف ان لا تكون
الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ رضي الله تعالى
عنه فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت
به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما
اردت فنحن معك والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف
منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء لعل

الله

الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشط رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه
قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الآن
انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك
بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم
قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك الله ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله
وان فريقا من المؤمنين والحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقي النفير لايثارهم
على تلقي العير بعد ما تبين بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم منصورون وجدالهم ما
كان خروجنا الا للعير وهل الا قلة لنا فنستعد وننأهب وذلك لكراهتهم القتال لم شبه
حالهم في فوط فزعهم وذعرهم ومم يساربهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتال
ويساق الى الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا شك فيها وقيل
كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروي انه ما كان فيهم الا فارسان اذ منصوب بإضمار
اذكروا وانها لكم بدل من احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة العير
لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة
المستعار من واحدة الشوك وبعاب شوكي الفتى لشباته ومنها قولهم شاك السلاح
اي تتمنون ان يكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة
الاخرى ان يحق الحق اي يثبته ويعليه بكلماته بآية المنزلة في محاربة ذات الشوكة امر
الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر والدابر الاخر
فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابر الطير وقطع الدابر عبارة عن الاستيصال يعني انكم
تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الامور وان لا تلقوا ما برزاكم في ابدانكم واحوالكم والله عز
وعلا يريد معالي الامور وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان
ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قلوبهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم
واعزكم واذلهم وحصل لكم ما لا تعارض اذناه العير وما فيها وتوفى بكلمته على التوحيد فان قلت
لم علق قوله تعالى ليحق الحق قلت بمحذوف يقدر ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله لا لهما
وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه فان قلت اليس هذا تكريرا قلت لا ان المعنيين
متباينان وذلك ان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات

الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وانه ما نصرهم وما خذل اولئك الا لهذا الغرض الذي هو سيد
الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف متاخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل
قد يعلق بيقطع فان قلت بم يتعلق اذ تستغيثون قلت هو بدل من اذ يعدكم وقيل
بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون
الله يقولون اي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله تعالى عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل
القبلة ومد يديه يدعوا اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد
في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه
وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك اني ممدكم اصله باني ممدكم
فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن ابي عمرو انه قرا اني ممدكم بالكسر على
ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول فان قلت هل قاتلت
الملائكة يوم بدر قلت اختلف فيه فقيل نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها
ابو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب في صور الرجال عليهم ثياب
بيض وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل
يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي
كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروي ان رجلا
من المسلمين بينا هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه
فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء وعن ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين
لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وانما
كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا كلهم
فان جبريل اهلك بريشة من جناحه مداين قوم لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح
بصيحة واحدة وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه اذا تبعه ومنه قوله
تعالى ردف لكم بعض الذي تستعجلون بمعنى ردفكم واردفته اياه اذا اتبعته ويقال
اردفته كقولك اتبعته اذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من ان يكون بمعنى متبعين

او

او متبعين فان كان بمعنى متبعين فلا يخلو من ان يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا او متبعين
بعضهم لبعض او بمعنى متبعين اياهم اي يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم او متبعين لهم
يشيعونهم ويقدمونهم بين ايديهم وعلى ساقتهم ليكونوا على اعينهم وحفظهم او بمعنى متبعين
انفسهم ملائكة آخرين او متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل
عمران بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ومن قرا مردفين
بالفتح فهو بمعنى متبعين وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصله مرتدفين
اي مترادفين او متبعين من ارتدفه فادغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان تحركت
الراء بالكسر على الاصل او على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدي بالالف من الملائكة
على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران فان قلت بم يعتذر لمن قرا على التوحيد ولم يفسر المردفين
بارداف الملائكة ملائكة اخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم قلت بان المراد بالالف من قاتل
منهم او الوجوه منهم الذين من سواهم اتباع لهم فان قلت الام يرجع الضمير في وما جعله قلت
الى قوله اني ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم فان قلت فيمن قرا بالكسر قلت الى
قوله اني ممدكم لانه مفعول القول المضمر فهو معنى القول ويجوز ان يرجع الى الامداد الذي يدل
عليه ممدكم الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل يعني انكم استغثتم وتضرعتم
لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما
النصر الا من عند الله يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة او وما
النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله اذ يغشاكم بدل ثان
من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر
وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل وامنة مفعول له
فان قلت اما وجب ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا قلت بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم
النعاس تنعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون امنة بمعنى امنا
اي لامنكم ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من الله فان قلت فعلى غير القراءة قلت يجوز ان
يكون الامنة بمعنى الايمان اي ينعسكم ايمانا منه او على يغشيكم النعاس فتنعسون امنا فان قلت
هل يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اي يغشاكم النعاس لامنة على ان
اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على انه انامكم في وقت

المؤمنين صح

هذه صح

كان من حق التعاكس في مثل ذلك الموقف المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة
حاصلة له من الله تعالى بغشيكم على طريقة التمثيل والتخييل قلت لا تبعد فصاحة
القرآن عن احتماله وله نظائر وقد آلم به من قال تهابك النوم ان يغشى عيونا
تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة بسكون الميم وتخفيف النون وهو
اسم امنة كرحم رحمة والمعنى ان ما كان بهم من الخوف كان بمنعهم من النوم فلما طمأن الله
قلوبهم وآمنهم رقدوا وعن ابن عباس رضي الله عنهما في القتال آمنة من الله وفي الصلوة
وسوسة من الشيطان وينزل قرئ بالتخفيف والتثقيل وقراءة الشعبي ما ليطهركم
به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حروف الجر بما جر فكانه قال ما للطهور
ورجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها
من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك ان ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم
الى الماء ونزل المؤمنون في كثيب اعفر فسوخ فيه الاقدام على غير ماء ونامو ا
فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير
وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون
بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا
وسانوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا
ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الحياض على عدوة
الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو
حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير به
للماء ويجوز ان يكون للربط لان القلب اذا امكن فيه الصبر والجرأة ثبتت القدم في مواطن
القتال اذ يوحي يجوز ان يكون بدلا ثالثا من اذ يعدكم وان نصب بيثبت الى معكم مفعول يوحي
وقرئ اني بالكسر على ارادة القول او على اجراء يوحي مجرى يقول كقوله اني معكم والمعنى اني معينكم
على التثبيت فثبتوهم وقوله فاضربوا يجوز ان يكون تفسيرا لقوله اني معكم فثبتوا ولا معونة
اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة والتثبيت الحاقهم من ضرب اعناقهم واجتماعهم غاية
النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد بالتثبيت ان تحضروا بانفسكم ما تقوى به قلوبهم
وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وان يظهروا لهم انهم يمدون بالملائكة وقيل

كان

كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي فيقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن
حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول استرو اوان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء
لا يعبدونه وقرئ الرعب بالتثقيل فوق الاعناق اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل
فكان ايقاع الضرب فيها حزا او تطييرا للرؤوس وقيل اراد الرؤس لانها فوق الاعناق يعني ضربها
واضربوا منه البطل المشيح عشيته وهوني جاؤا باسلين غضبا اصاب سواء
الراس فانخلعا والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على
مقتل او غير مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون قوله سالقي الى قوله كل بنان عقيب
قوله فثبتوا الذين امنوا ملقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قال قولوا لهم قولي سالقي في قلوب الذين
كفروا الرعب وكانهم قالوا كيف يثبتهم فقيل قولوا لهم قولي سالقي والضاربون على هذا هم المؤمنون وذلك
اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الدفع على الابتداء وبانهم خبره
اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين في شق
خلاف شق صاحبه وسئلت في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا في عدوة وذاك في عدوة
كما قيل المخاصمة والمشاقة لان هذا في خصم اي في جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق
والكاف في ذلك لخطاب الرسول عليه الصلوة والسلام او لخطاب كل احد وذلكم للكفرة على طريقة الالتفات
ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب او العقابة ذلكم فذوقوه ويجوز ان يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك
زيدا فاضربه وان للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه او نصب على الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا
العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وفيه الحسن وان للكافرين
بالكسر حقا حال من الذين كفروا والزحف الجيش الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب
دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا
لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تولوهم في العدد او تنسابوهم او
حال من الفريقين اي لقيتموهم متزاحفين هم وانتم او حال من الموصول كانهم اشعروا بما كان سيكون منهم
يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الوحوف اثنا عشر الفا وتولهم نهي لهم عن الفرار يومئذ وفي
قوله ومن يولهم يومئذ ما مر غير مرة الا متحرفا لقتال وهو الكر بعد الفر يخيل على انه تحيز وهو
عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها او متحيزا او منحازا الى فيئة الى جماعة اخرى من المسلمين سوى
الفيئة التي هو فيها وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما خرجت سرية وانا فيهم فحرروا فلما رجعوا الى المدينة

استجيبوا لله وللرسول يقتلك يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا
فيئتكم وانهزم رجل من الغاد سبية فاتى المدينة الى عمر رضى الله تعالى عنه فقال يا امير المومنين
فررت من الزحف فقال عمر رضى الله تعالى عنه انا فئتك وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الفرار
من الزحف من اكبر الكبائر فان قلت ثم انتصب الامتحرفا قلت على الحال والا لغوا وعلى الاثبات
من المولين اى ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا وقرا الحسن ومتحيز بتشديد الياء
متحيز متفيعل لانه من جار يجوز فيه متفعل منه متحوز لما كسروا ما قبل ملكة وقيلوا واسروا
وأقبلوا على الغنائم فرجعوا فكان الفاتل يقول قتلت واسرت ولما طلعت فرقة من الرماة
عليه وسلم هزمتهم فرقة حتى رايت النساء هاربات رافعات عن سوقهن قد بدت خلاخيلهن
جبريل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان فقال علي رضى الله تعالى عنه اعطاني
قبضة من حصباء الوادي فرميهم بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم مشرك
الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المومنون يقتلونهم ويأسرونهم فقتل الله فلم يقتلوهم
والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
لانه هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وتناء النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب
عنها الفزع والجزع وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي
رميتها لم تبلغ بقوتك ولا بكف لو رميتها لما بلغ اثرها الا ما تبلغه اثر رمي البشر
ولكنها كانت رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي لا يطيقها البشر فعل
الله عز وعلا فكان الله هو الفاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول صلى الله
عليه وسلم اصلا وقرى ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعدهما وليبلي المومنين
وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير فابلاهما خير البلاء الذي
يبلو والمعنى وللاحسان الى المومنين فعل ما فعل وما فعل الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليهم
باحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اى الغرض ذلكم وان الله موهن معطوف
على ذلكم يعني ان الغرض ابلاء المومنين وتوهين كيد الكافرين وقرى موهن بالتشديد وقرى على
الاضافة وعلى الاصل الذي هو التنوين والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة
على سبيل التهكم وذلك انهم حين اراد وا ان ينصروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم

انصر

انصر افرانا للضيف واوصلنا للرحم وافكنا للعاني ان كان محمد على حق فانصره وان كنا
على حق فانصرنا وروي انهم قالوا اللهم انصر اعلا الجندين واهدى الفيئتين واكرم الحزبين
وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم ايّنا كان اهجر وافطع للرحم فاحنه اليوم اى فاهلكه
وقيل ان تستفتحوا خطاب للمومنين وان تنتهوا للكافرين يعني وان تنتهوا عن عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم
وان الله نوى بالفتح على وقيل ان الله مع المومنين كان ذلك وقرى بالكسر وهن او جه
وبعضها قراءة ابن مسعود والله مع المومنين وقرى ولن يغني عنكم بالياء للفصل ولا تولوا
وقرى بطرح احدى التاءين وادغامها والضمير في عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان
المعنى واطيعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة
الرسول طاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احدهما
كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اى
ولا تتولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعون اى ولا تتولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا تخالفوه وانتم تسمعون اى تصدقون لانكم مومنون ليست كالصم المكذبين من الكفرة
ولا يكونوا كالذين قالوا سمعنا اى ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم
غير سامعين والمعنى انكم بصدقون بالقران والنبوة فاذا تولّيتم عن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم
في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق وانتم بمنزلة من لا
يومن وقال ان شر الدواب ان شر ما يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم
صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من البهائم ثم جعلهم شرها ولو علم الله في ما ولاء الصم البكم
خيرا اى انتفاعا بالطف لاسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا
يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد
ذلك وكفروا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير
وسويبط بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لا نسمعه ولا
نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن
اهل الكتاب اذا دعاكم وحده الضمير ايضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
كاستجابته وانما يذكر احدهما مع الاخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة

أبي بن صح

البعث والتحريض وروى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على باب كعب فناداه
وهو في الصلوة فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر
فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وفيه قولان احدهما
ان هذا مما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التاخير
فاذا وقع مثله للمصلي فله ان يقطع صلوته لما يحييكم من علوم الديانات والشرائع لان العلم
حياة كما ان الجهل موت ولبعضهم لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن وقيل
لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص وقيل للشهادة
لقوله بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يعني انه يميته فتفوته
الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه وعلله ورده
سليما كما يريده الله تعالى فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله تعالى ورسوله
واعلموا انكم اليه تحشرون فثبتكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة وقيل
معناه ان الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويفتر نياته ومقاصده
ويبدله بالخوف امنا وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك
مما هو جائز على الله تعالى فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا والمجبرة
على انه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا امن تعالى عما يقول
الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه انه يطلع على كل ما يخطره المرء بباله لا يخفى عليه
شيء من ضمائره فكانه بينه وبين قلبه وقرئ بين المر بتشديد الراء ووجهه
انه قد حذف الهمزة والقى حركتها على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول
مررت بعمر فتنة ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين اظهرهم وقيل افتراق الكلمة
وقيل فتنة عذابا وقوله تعالى لا تصيبن لا يخلوا من ان يكون جوابا للامر او نهيا بعد
امر او صفة لفتنة فاذا كانت جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة
ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر تقديرا فعمهم الله تعالى بالعذاب
واذا كانت نهيا بعد امر فكانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم
فتصيب العقاب او اثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة
على ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله حتى اذا

جن

جن الظلام واختلط جاءوا بمذق هل رايت الذئب قط اي بمذق مقول فيه هذا القول
لانه سمار فيه لون الورقة وهي لون الذئب ويعضد المعنى الاخير قراءة ابن مسعود لتصيبن
على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة
قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن
السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروي ان الزبير كان يساير رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوما اذ اقبل علي رضي الله عنه فضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
حبك لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي كحبي لوالدي او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت
اليه تقاتله فان قلت كيف جاز ان يدخل النون المؤكدة في جواب الامر قلت لان فيه معنى
النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا تحطمنكم
فان قلت فما معنى من في قوله تعالى الذين ظلموا منكم قلت التبعيض على الوجه الاول والتبيين
على الثاني لان المعنى لا يصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم اقبح منكم من ساير الناس
اذا انتم نصبه على انه مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة مستضعفون
في الارض ارض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا
جميعا لهم اعداء منافين مضادين فاواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار
وبامداده الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم وعن قتادة
كان هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا يوكلون
فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا معنى الخون النقص كما ان
معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا تنقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت
الرجل في شيء فقد ادخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان
المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكانه لم يف له ومنه قوله تعالى وتخونوا اماناتكم
والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله صلى الله عليه وسلم بان لا تستنوا به
واماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم
تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن
الحسن وروي ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا
الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اذرعات واريحاء من ارض الشام فابى رسول الله

لولدي

ارادة ان يشكروا صح

ولا ياكلون

صلى الله عليه وسلم الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة
مروان بن عبد المنذر وكان منا صحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا
له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماى
حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشددت نفسه على سارية من سواري المسجد
وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام
حتى خر مغشيا عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول
الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده الكريمة فقال ان من تمام توبتي ان
اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه الصلوة والسلام
يجزيك الثلث ان تتصدق به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وقيل
انما نهاكم الله عليه من فريضة وحدوده فان قلت وتخونوا جزم هو ام نصب قلت
يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله تعالى ويكتموا الحق وقراءة
مجاهد وتخونوا اماناتكم على التوحيد جعل الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع
في الفتنة وهي الاثم او العذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده
والله عنده اجر عظيم فعليكم ان تتوطوا بطلبه وبما تودي اليه همتكم وتزهدوا في الدنيا
ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلهما كقوله المال والبنون
الاية وقيل هي من جملة ما نزل في ابي لبابة ومانورط منه لاجل ماله وولده فرقانا
نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر بالخذلان بخزيه والاسلام باعزاز اهله ومنه
قوله تعالى يوم الفرقان او بيانا وظهورا يشهره امركم وبث صيتكم واثاركم في اقطار الارض
من قولهم بث فعل كذا حتى سطع الفرقان اي طلع الفجر او مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا
للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والاخرة
لما فتح الله عليه ذكر مكر قريش حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم وكيدهم
عليه وما اتاح لله له من حسن العاقبة والمعنى واذكر اذ يمكر بك وذلك ان قريشا لما اسلمت
الانصار وبايعوه فرقوا ان تنفاقم امره فاجتمعوا في دار الندوة منتشاورين في امره فدخل
عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد ما اتاني من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم
فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تجلسوا في بيت

ونشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا
به ريب المنون فقال ابليس لعنه الله بئس الراي رايكم من نقاتلكم من قومه ونخلصه من ايديكم فقال
هشام بن عمرو وكان شيخا جليلا من اشراف قريش ورأيي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واستريحتم
فقال ابليس لعنه الله الراي ما رأى هشام فانظروا غيره فقال ابو جهل لعنه الله والله لاشيرن عليكم برأي ما اراكم
اخذتم به بعد فقلت وما هو قال ابو جهل انا نختار من كل بطن من بطون قريش غلاما نهدا جسيما فتى
فينا ثم نعطي كل واحد منهم سيفا صارما فيضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه
في القبائل فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا
فقال الشيخ صدق الفتى هو الرأي فتفرقوا على رأيه فاتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فامره ان لا يبيت في مضجعه واذن له في الهجرة فامر
عليا رضي الله تعالى عنه فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردي فانه لن يخلص اليك امر
تكرهه وباتوا متربصين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب
الله تعالى سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم ليثبتوك ليثخنوك او يوثقوك او تخنوك
بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى اثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا وترى
ليثبتوك بالتشديد وقرأ النخعي ليثبتوك من الثبات وعن ابن عباس ليقيدوك وهو دليل
لمن فسره بالاثاق ويمكرون ويخفون المكايد له ومكر الله وتخفي الله ما اعد لهم حتى يأتيهم بغتة
والله خير المكارين اي مكر من مكر غير وابلغ ما شيرا او لانه لا ينزل الا ما هو حق وعدل ولا
يصيب الا بما هو مستوجب لو نشاء لقلنا مثل هذا تعاجزا منهم وصلف تحت الرعاة فانهم
لم يقدروا في مشيتهم لو ساعدتهم الاستطاعة والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين ان يمشوا واغلبة
من تحلامهم وتوعدهم بالحرب حتى يغوذوا بالقليح المعلى دونه مع فرط انفتهم وايستنكافهم ان يغلبوا
في باب البيان خاصة وان يأتوا واحدا فيقتلوه بامتناع المشية ومع ما علم وظهر ظهور
الشمس من حرصهم على ان يقصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهاكهم عن ان يغروه وقتل قابله
النضر بن الحارث المقتول صبرا حين سمع انتصاص الله احاديث القرون ليشبث لعلك مثل هذا
وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم ان هذا مثل ذلك وانه من
جملة تلك الاساطير وهو القائل ان كان هذا هو الحق وهذا اسلوب من الحدود بليغ يعني ان كان القرآن
هو الحق فما قبنا على انكار بالتسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او بعذاب اخر مراده نفي كونه
حقا واذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكر عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد

انه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وقوله هو
الحق تهكم ممن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق وقراءة الاعمش هو الحق بالرفع
على ان هو مبتدا غير فصل وهي في القراءة الاولى فصل ويقال امطرت السماء كقولك اثجمت
واسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الامطار في معنى العذاب فان قلت ما
فايدة قوله تعالى من السماء والامطار لا تكون الا منها قلت كانه اريد ان يقال فامطر علينا
السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول
صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا بعذاب اليم اي بنوع آخر من جنس العذاب الاليم يعني
ان امطار السجيل بعض العذاب الاليم فعذبنا به او بنوع آخر من انواعه وعن معاوية انه
قال لرجل من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امراة قال اجهل من قومي قومك قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق فامطر علينا
حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له اللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم
وانت بين اظهرهم غير مستقيم في الحكمة لان عادة الله وقضية حكمته ان لا يعذب قوما
عذاب استيصال ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر
عنهم والدليل على هذا الاشعار قوله وما لهم الا يعذبهم وانما يصح هذا بعد اثبات التعذيب
كانه قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم الا يعذبهم وهم
يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم اي لو كانوا ممن يؤمن ويستغفر
من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا
يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم
المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين وما لهم
ان لا يعذبهم الله واي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا
محالة وكيف لا يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم عام الحديبية واخراجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من الصد وكانوا
يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء وما كانوا اولياءه وما
استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا ولاة امره وارباب ان اولياؤه الا
المتقون من المسلمين ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح لان يلي امره انما يستاهل ولايته من كان

برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة الاصنام ولكن اكثرهم لا يعلمون كانه استثنى من كان يعلم وهو
يعاند ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم المكاء فعال بوزن
الثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكا كانه سمي بذلك لكثرة مكائه واصله الصفة
نحو الوضاء والقراء وقرئ مكى بالقصر ونظيرهما البكا والبكاء والتصدية التصفيق
تفعلة من الصد او من صد يصد اذا قومك منه يصدون وقراءة الاعمش وما كان
صلاتهم على تقديم خبر كان على اسمه فان قلت ما وجه هذا الكلام قلت هو من قوله
وما كنت اخشى ان يكون عطاؤه اذا هم سودا او محدرجة سمرا والمعنى انه وضع القيود
والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلوة وذلك انهم كانوا يطوفون
بالبيت عراة الرجال والنساء مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا
يفعلون نحو ذلك اذا قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلوته يخلطون عليه فذوقوا
عذاب القتل والاسر يوم بدر بسبب كفرهم وافعالهم التي لا تقدم عليها الا الكفرة قيل
نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد كل يوم عشر جزائر وقيل قالوا لكل من كانت
له تجارة في العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا بما اصيب منا
ببدر وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استاجر ليوم احد الفين من الاحابيش سوى من
استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا ليصدوا عن
سبيل الله تعالى اي كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وهو سبيل الله
وان لم يكن عندهم كذلك ثم تكون عليهم حسرة اي تكون عاقبة انفاقها وحسرة فكان ذاتها تصير
ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين تقديره فحق او
واجب ان لله خمسه وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر وتقويه قراءة النخعي فلله
خمسه والمشهور اكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال
به والتفريط من حيث انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب
لازم وما اشبه ذلك كان اقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون فان قلت كيف
قسمة الخمس قلت عند ابي حنيفة انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة
اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس
وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول

الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا
بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه الصلوة والسلام
انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه
وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء
ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل واما عند الامام الشافعي
فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه من مصالح
المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم
يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك ابن انس الامر فيه مفوض
الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين هؤلاء وان راى اعطاه بعضهم دون بعض وان راى غيرهم
اولى واهم فغيرهم فان قلت ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه قلت يحتمل ان يكون
معنى لله وللرسول لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان
يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب وان يراد بقوله تعالى فان
لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة
تفضيلا لها على غيرها كقوله تعالى وجبريل وميكال فعلى الاحتمال الاول مذهب الامامين
وعلى الثاني ما قال ابو العالية انه يقسم على ستة اسهم سهم لله تعالى يصرف الى رتاج الكعبة وعنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ الخمس فيضرب بيده فيه فياخذ منه قبضة فيجعلها
للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل ان سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب
مالك ابن انس وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه
حتى قبض صلى الله عليه وسلم فاجرى ابو بكر الخمس على ثلاثة وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء
وروي ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان نعطي فقيركم ونزوج ايمكم
ونخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى من الصدقة شيئا
ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما كذلك قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا نركب منه
البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي رضي الله عنه انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى
والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه

لولي الامر من بعده وعن الكلبي ان الاية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة
بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة فان قلت
بم تعلق قوله ان كنتم آمنتم بالله قلت بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا
ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقنعوا بالاخماس الاربعة وليس
المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لامر الله تعالى لان العلم المجرد يستوي فيه
المؤمن والكافر وما انزلنا معطوف على بالله ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عبدنا
كقوله تعالى وعبد الطاغوت بضمتين يوم الفرقان يوم بدر والجمعان الفريقان من المسلمين
والكافرين والمراد ما انزل عليه من الايات والملائكة والفتح يومئذ والله على كل شيء قدير يقدر
على ان ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ بدل من يوم الفرقان
والعدوة شط الوادي بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لان بينها
وبين الكسر حاجزا غير حصين كما في الضبة والدنيا والقصوى تانيث الادنى والاقصى فان قلت
كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احديهما بالياء والثانية بالواو قلت القياس هو قلب الواو
ياء كالعليا واما القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا الا ان استعمال القصوى
اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب واغيلت مع اغالت والعدوة الدنيا مما يلي المدينة
والقصوى مما يلي مكة والركب اسفل منكم يعني الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل
منكم بالساحل واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لانه خبر
المبتدا فان قلت ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وان العير كانت اسفل منهم قلت
الفائدة فيه الاخبار عن الحال الدالة على قوة شان العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب
الغلبة له وضعف المسلمين والتياث امرهم وان غلبتهم في مثل هذه الحال ليست الا صنعا من الله
ودليلا على ان ذلك امر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوة القصوى
التي اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا باس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ
فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت
الحماية دونها تضاعف حميتهم وتسجد في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى
الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وان
لا يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم وتوطن نفوسهم على

ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبدلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير
ما دبر سبحانه من امر وقعة بدر ليقضي امرا كان مفعولا من اعزاز دينه اعلا كلمته
حين وعد المسلمين احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير
راغبين في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب حتى اناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء
بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان ولو
تواعدتم انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم
قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين
فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله تعالى وسبب له ليقضي متعلق بمحذوف اي ليقضي امرا
كان واجبا ان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل منه
واستعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام اي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة
شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر الاسلام من اسلم ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق
والذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان من وقعة بدر الايات الغر المحجلة التي من كفر
بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي باظهار التضعيف لسميع
عليم يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي مصالحكم او لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه
اذ يريكهم الله نصبه باضمار اذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بقوله لسميع عليم اي
يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في منامك في رؤياك وذلك ان الله تعالى اراهم اياه في رؤياه قليلا
فاخبر بذلك اصحابه تثبيتا وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لانها مكان
النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما احسب الرواية
صحيحة عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام
ولتنازعتم في الراي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم
اي عصم وانعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون
فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع واذ يريكموهم الضميران مفعولان يعني واذ يبصركم اياهم
وقليلا نصب على الحال وانما قللهم في اعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعاينوا
ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا حتى قلت

الرجل الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا له كم كنتم قال الفا ويقللكم
في اعينهم حتى قال قائل منهم انما هم اكلة جزور فان قلت الغرض من تقليل الكفار في اعين المؤمنين
ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في اعينهم قلت قد قللهم في اعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده
ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم
يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم راي العين وليلا يستعدوا لهم وليعظم
الاحتجاج عليهم في استيضاح الاية البينة من قلتهم اولا وكثرتهم آخرا فان قلت باي طريق يبصرون
الكثير قليلا قلت بان يستر الله عنهم بعضه بساتر او يحدث في عيونهم ما يستقلون له
الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون له الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين
وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا ارى هذين الديكين اربعة اذا لقيتم فئة اذا حاربتم جماعة
من الكفار ترك ان يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم للقتال فاثبتوا لقتالهم
ولا تفروا واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم
اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار
بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان يكون نفسه مجتمعة لذلك
وان كانت متوزعة عن غيره مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعاني وبليغات
المواعظ والنصائح دليلا على انهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله تعالى شاغل وان تفاقم ولا تنازعوا قرئ بتشديد
التاء فتفشلوا منصوب باضمار ان او مجزوم لدخوله في حكم النهي ويدل على التقديرين قراءة من قرأ ويذهب
ريحكم بالتاء والنصب وقراءة من قرأ ويذهب ريحكم بالياء والجزم والريح الدولة شبهت في نفوذ امرها
وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دلت له الدولة ونفذ امره ومنه قوله
انتظران قليلا ريث غفلتهم ام تعدوان فان الريح للعادي وقيل لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله تعالى وفي
الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور حذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الراي نحو ما وقع لهم
باحد لمخالفتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فشلهم وذهاب ريحهم كالذين خرجوا من ديارهم هم اهل مكة
حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى
ابو جهل وقال نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك
بطرهم ورياؤهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كاس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان
القيان فنهاهم ان يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل التقوى والكآبة والحزن

وناهيك بما في خطب امير المؤمنين في ايام صفين
وفي مشاهده

من خشية الله تعالى مخلصين اعمالهم لله واذكروا اذ زين لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها
في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم
ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان
وتبرأ منهم اي بطل كيده حين نزلت جنود الله تعالى وكذا عن الحسن رحمه الله تعالى عليه
كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش على المسير
ذكرت التي بينها وبين بني كنانة من الحرب فكان ذلك يثبتهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة
بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشياطين معه راية وقال لا غالب
لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحارث
بن هشام فلما نكص قال له الحارث الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون
ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة هزم الناس سراقة فقال والله
ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي الحديث ما رؤي
ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما رؤي
في يوم بدر فان قلت هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا قلت
لو كان لكم مفعولا بغالب بمعنى لا غالبا اياكم لكان الامر كما قلت ولكنه خبر يقدر لا غالب
كائن لكم اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين
وان يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام وعن الحسن هم المشركون
غرها ولاء دينهم يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم وانهم يتقوون به وينصرون من اجله
فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فان
الله عزيز غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي ولو ترى يوم عاينت وشاهدت
لان لو ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال واذ نصب على
الظرف وقرئ يتوفى بالياء والملائكة رفعها بالفعل ويضربون حال لهم ويجوز ان يكون في يتوفى
ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر وعن مجاهد ادبارهم استاههم
ولكن الله كريم يسلني وانما خصوهما بالضرب لان الخزي والنكال في ضربهما اشد ويغلبني عن
اهل الصين ان عقوبة الزاني عندهم ان يصبر ثم يعطي الرجل القوي البطش شيئا عمل من
حديد كهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض فيضربه على دبره ضربة واحدة بقوته

فيجمد

فيجمد في مكانه وقيل يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا معطوف على يضربون على ارادة
القول اي ويقولون ذوقوا عذاب الحريق اي مقدمة عذاب النار او ذوقوا عذاب الاخرة بشارة
لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد كما ضربوا بها التهبت النار او يقال لهم يوم القيمة ذوقوا
وجواب لو محذوف اي لرايت امرا فظيعا منكرا ذلك بما قدمت ايديكم يحتمل ان يكون من كلام الله ومن
كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره وان الله عطف عليه اي ذلك العذاب سببين
سبب كفركم ومعاصيكم وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكافرين من العدل كاثابة المؤمنين
وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد او لان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله
ظلاما بليغ الظلم مقفا قمة الكاف في محل الرفع اي داب هؤلاء مثل داب آل فرعون ودابهم عادتهم
وعملهم الذي دابوا فيه اي داموا عليه وواظبوا وكفروا تفسير لداب آل فرعون وذلك اشارة الى ما
حل بهم يعني ذلك العذاب والانتقام بسبب ان الله لم ينبغ له ولم يصح في حكمته ان يغير نعمته عند قوم
حتى يغيروا ما بهم من الحال فان قلت فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم
يكن لهم حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة قلت كما تغير الحال المرضية الى المسخوطة
تغير الحال المسخوطة الى اسخط منها واولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث
اليهم بالايات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوأ مما
كانت فغير الله ما انعم الله عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب وان الله سميع لما يقول مكذبوا الرسل
عليم بما يفعلون كداب آل فرعون تكرير للتاكيد وفي قوله بايات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود
الحق وفي ذكر الاغراق للاخذ بالذنوب وكل كانوا ظالمين وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم
بالكفر والمعاصي الذين كفروا فهم لا يؤمنون اي اصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان وهم بنو قريظة
عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فنكثوا بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح نسينا واخطانا
ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم الذين عاهدت منهم
بدل من الذين كفروا جعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين
الناكثون للعهود وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار فاما تثقفنهم
فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة
والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم احد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرا ابن مسعود
فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكانه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر بذر ومنه الشذر الملتقط

من المعدن لتفرقة وقرا ابو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورايهم لانه اذا
شرد الذين من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء واوقعه فيه لان الوراء جهة
المشردين فاذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين لعلهم
يذكرون لعل المشردين من ورايهم يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا
بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على سواء على طريق مستو قصد وذلك ان
تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم
الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك ان الله لا يحب الخائنين فلا يكن منك
اخفاء نكث العهد والخداع وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال
كانه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوي او حاصلين على استواء في العلم او العداوة
على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا سبقوا فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون
انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم بالفتح بمعنى لانهم كل واحد من المكسورة
والمفتوحة تعليل الا ان المكسورة على طريقة الاستيناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون
بالتشديد وقرا ابن محيصن يعجزون بكسر النون وقرا الاعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر الباء
وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقرا حمزة ولا يحسبن بالياء على ان الفعل للذين كفروا وقيل
فيه اصله ان سبقوا فحذفت ان كقوله ومن اياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود
انهم سبقوا وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين
اي مفلتين هاربين وقيل معناه ولا تحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما
وقيل ولا تحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الاقاويل كلها متمحلة وليست
هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت من فل المشركين من
قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله وعن
عكرمة هي الحصون والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز ان يسمى بالرباط الذي هو
بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون جمع ربيط كفضيل وفضال وقرا الحسن ومن ربط الخيل بضم
الباء وسكونها جمع رباط ويجوز ان يكون قوله ومن رباط تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل
وميكائيل وعن ابن سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى به الخيل فترابط في

سبيل الله

سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر ان
الحصون الخيل لا مدر القرى ترهبون قرئ بالتخفيف والتشديد وقرئ ابن عباس ومجاهد
تخزون به والضمير في به راجع الى ما استطعتم ترهبون به عدو الله وعدوكم هم اهل مكة
واخرين من دونهم هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدي هم اهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء في
الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان صهيل
الخيل يرهب الجن جنح له واليه اذا مال والسلم يؤنث تانيث نقيضها وهي الحرب قال السلم
تاخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن
عباس ان الاية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم والصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب
او سلم وليس بحتم ان يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وقرا الاشهب العقيلي فاجنح
بضم النون وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم المكر في وجوههم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك
من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد يريد قريظة فان حسبك الله فان محسبك الله قال جرير
اني وجدت من المكارم حسبكم ان يلبسوا حر الثياب ويشبعوا والف بين قلوبهم التاليف
بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية
والعصبية وللانطواء على الضغينة في ادنى شيء والقائه بين اعينهم الى ان ينتقموا لا يكاد
يأتلف فيهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتحدوا وانشأوا يرمون
عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله من الفتهم وجمع من كلمتهم واحدث بينهم من التحاب والتواد فاماط
عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب
فهو يقلبها كما شاء ويصنع فيها ما اراد وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما
اهلك سادتهم ورؤساءهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم امد ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج
الضغائن ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة ان يتجنب هذه ما
آثرته اختها وتكرهه وتنفر عنه فانساهم الله تعالى ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا
وصاروا انصارا وعادوا اعوانا وما ذلك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته ومن اتبعك الواو بمعنى
مع وما بعده منصوب بقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر به لان عطف الظاهر المجرور على المكني ممتنع قال
فحسبك والضحاك عضب مهند والمعنى كفاك وكفى تباعك من المؤمنين الله ناصرا او يكون في محل الرفع اي

كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الاية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس نزلت في
اسلام عمر وعن سعيد بن جبير انه اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست
نسوة ثم اسلم عمر ثم نزلت التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض ويتبالغ
فيه حتى يشفي على الموت او ان يسميه حرضا ويقول له ما اراك الا حرضا في هذا الامر وممرضا
فيه لتهيجه وتحرك منه وقرئ وحرض بالصاد غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرض ويقال
حركه وحرصه وحرشه وحربه بمعنى وهذه عدة من الله تعالى وبشارة بان الجماعة من المؤمنين
ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله تعالى وتاييده ثم قال بانهم قوم لا يفقهون
اي بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم
ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه
ما يستوجب به النصر والاظهار من الله وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد
للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة رضي الله عنه في ثلاثين راكبا فلقي ابا
جهل في ثلثمائة راكب ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم
بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف وقرئ
ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفا جمع ضعيف وقرئ الفعل المسند
الى المائة بالتاء والياء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في
البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك فان قلت لم كرر المعنى الواحد وهو
مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده قلت للدلالة على ان الحال مع القلة
والكثرة واحدة لا تتفاوت لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة
الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين قرئ النبي على التعريف واسارى
وتثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا
اثبتته حتى تثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التي هي الغلظ
والكثافة يعني حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام
ويقومه بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما استقام وكان
هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء وروي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال
قومك

قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر خذلوك
واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا
من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان نسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه الصلوة
والسلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشد قلوب رجال حتى
تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور
رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم
عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم
واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين
اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون
درهما وستة دنانير وروي انهم لما اخذوا الفداء نزلت الاية فدخل عمر على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد
بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة
لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ
لقوله كان الاثخان في القتل احب الي عرض الدنيا حطامها سمي بذلك لانه حذر قليل اللبث
يريد الفداء والله يريد الاخرة يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل وقرئ
يريدون بالياء وقرأ بعضهم والله يريد الاخرة بجر الاخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه
على حاله كقوله ونار توقد بالليل نارا ومعناه والله يريد عرض الاخرة على التقابل يعني ثوابها
والله عزيز يغلب اولياؤه على اعدائه ويتمكنون منهم قتلا واسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم
يؤخر ذلك الى ان يكثروا ويعزوا وهم يعجلون لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته
في اللوح وهو انه لا يعاقب احدا بخطاء وكان هذا خطاء في الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقاءهم
ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم
اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم وافل لشوكتهم وقيل كتابه انه سيحل لهم الفدية التي اخذوها
وقيل ان اهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تاكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم
نهي عن ذلك فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هي اباحة
للفداء لانه من جملة الغنائم واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه فان قلت ما معنى الفاء قلت

التنسيب والمنسوب محذوف معناه فلا تحبث لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم وطلا انتصب على الحال
من المغنوم او صفة للمصدر اى اكلا حلالا او مولة ان الله غفور رحيم معناه انكم اذا اتقيتموه
بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ان يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم في ايديكم
في مللتكم كان الله تكم فاتبضة علهم وقوى من الاسرى في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة
نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافا او يثيبكم في
الاخرة وفي قراءة الاعمش يثبكم خيرا وعن العباس رضي الله تعالى عنه انه قال كنت يسيرا لكنهم
استكثروني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك
فقد كان علينا وكل احد الذين ضمنوا الطعام اهل بدر وخرج بالذهب الذي ذكرت وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال للعباس افد ابني اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك
تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له فاين الذهب الذي دفنته انت وام الفضل وقلت خرج من
مكة وطلبت لها لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك وللعبد
والجعيد لك والفضل فقال العباس والله يدريك قال اخبرني به ربي قال العباس فانا
اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد
دفنته انا في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس
رضي الله تعالى عنه فابدلني الله تعالى خيرا من ذلك الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في
عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال مكة وانا انتظر المغفرة من ربي
وروي انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون الفا فنوضا لصلوة الظهر وما
صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ
مني وارجو المغفرة وقراءة الحسن وشيبة مما اخذ منكم على البناء للفاعل وان يريدوا
خيانتك فقد خانوا الله من قبل من
كفرهم به وبغضهم ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم
ان اعادوا والخيانة وقيل المراد من الخيانة منعهم ما ضمنوا من الفداء الذين هاجروا اى فارقوا اوطانهم
وتوهم حبا لله ورسوله هم المهاجرون والذين آووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم هم
الانصار بعضهم اولياء بعض اى تتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار
يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر اى من تولهم في الميراث وجه الكسر ان يولى بعضهم بعضا

شبه

شبه بالعمل والصناعة كانه تتولاه صاحبه يزاول امرا ويباشر عملا فعليكم النصر واجب
عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم منهم بينكم وبينهم عهد فانه لا يجوز لكم نصرتهم عليهم لانهم لا يبدا ان
بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهر ابانة الموالاة بينهم كقوله
في المسلمين اولئك بعضهم اولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا ومواريثهم واجتناب
مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب وان تتركوا التوارث بين بعضهم وبعضهم قال ان لا يفعلوا اى
ان لا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث بعضيلا لنسبة
الاسلام على نسبة القرابة ولم يقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم يجعلوا قرابتهم كلا قرابة
تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما تصير وا يدا واحدة على الشرك كان
الشرك ظاهرا والفساد زايدا وقوى كثيرة لشا اولئك هم المومنون حقا لانهم صدقوا ايمانهم
وحققوه بتحصيل مقتضياته من جهة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال لاجل الدين
وليس بتكرار لان اهل هذه الاية وارجة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والاولى الاسم
بالتواصل والذين امنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة كقوله والذين جاءوا
من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم به وجعلهم منه
تفضلا منه وترغيبا والوا الارحام اولوا القرابات اولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة
والنصرة بحكم كتاب الله تعالى حكمه ع وقسمته وفصل في اللوح وفصل في القرآن وهو آية المواريث
وبها استدل ابو حنيفة على توريث ذوي الارحام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بري من النفاق واعطي عشر
حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته في
الدنيا

سورة التوبة مدنية وهي مايه وثلاثون وقيل تسع وعشرون آية

سورة براءة

لها عدة اسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المثيرة الحفرية الفاضحة المثيرة الحافرة
المنكلة المدمدمة سورة العذاب لان فيها التوبة على المومنين وهي تقشقش من النفاق
اى تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم
وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه انكم تسمونها
سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه فان قلت هلا صدرت
بابة التسمية كما سايرت السور قلت سال عن ذلك ابن عباس رضي الله تعالى عنه عثمان رضي الله عنه فقال

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزلت عليه السورة او الاية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا اين نضعها وكانت قصتها تشبهها فقبضها فلذلك قرنت بينهما ولم نكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابي بن كعب انهما توأمان وكانتا تدعيان الزهراوين والقرينين وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود وسبيل ابن عيينة فقال ايكم الله سلام وامان فلا تكتبوا في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا فقتل فان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الله فاجاب ودعي الى الحرمة فاجاب وقد اتبع الهدى واما النبذ انما هو البراءة والقتال فاهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يعالون ولا يقرون ولا يخفر ومترس ولا باس بهذا امان كله وقيل سورة الانفال والتوبة كلتاهما سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطوال وهي سبع وما بعدها وما بعد المائون وهذا قول ظاهر لانهما معا مائتان وست فيهما منزلة احدى الطوال وقيل اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة

براءة خبر مبتدإ محذوف اي هذه براءة ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان يكون براءة مبتداء للتخصيص بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار وروي براءة بالنصب على اسمعوا براءة وقراءة اهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد بريا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم فان قلت لم عدي البراءة بالى ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت لان في الله في معاهدة المشركين اولا ما تفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد بريا مما عاهدتم به المشركين وهي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر آمنين اين شاوا لا يتعرض لهم احد وهي الاشهر الحرم في قوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر

الحرم

الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي الله تعالى عنه راكب العضباء ليقرأ على اهل الموسم فعل لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يودي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال اميرا وما مورا قال مامورا وروي ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل فقال يا محمد لا يبلغ عنك الا رجل منك فارسل عليا فرجع ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اشيء نزل من السماء قال نعم فسر بذلك على الموسم وعلي ينادي بالاي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدث الناس عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فعالوا بما ذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية من براءة وعن مجاهد بلاث عشرة ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقال عند ذلك ابا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا الطعن بالرماح وضرب بالسيف وقيل انما امر ان لا يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتها في نقض عهودها ان تتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما يورث فينا في نقض العهود فاريحت عليهم بتوليه ذلك عليا رضي الله عنه فان قلت الاشهر الاربعة ما هي قلت عن الزهري ان براءة نزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الاخر وكانت حرما لانها اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسي الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة فان قلت ما وجه اطباق العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الاشهر الحرم وقد صانها الله تعالى عن ذلك قلت قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وابيح قتل المشركين فيها غير معجزي الله لا يفوتونه وان امهلكم وملوحزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالعذاب واذان ارتفاع عمله كارتفاع براءة على الوجهين الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك ذهب زيد وقام وعمرو قاعد والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان بمعنى الايمان والاعطاء فان قلت الخوف من

معنى الجملة الاولى والثانية قلت تلك اخبار بثبوت البراة وهذه اخبار بوجوب الاعلام
بما ثبت فان قلت لم علقت البراة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس قلت لان
البراة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم واما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم
يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج الاكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه
تمام الحج ومعظم افعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله تعالى عنه ان رجلا اخذ
بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر قال يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر
ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او جعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه
معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان اريد به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم
افعال الحج فهو الحج الاكبر وعن الحسن سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته
لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مومن وكافر حذفت التا
التي في صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر لان الاذان في معنى القول ورسوله عطف
على المنوي في برئ او على محل ان المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو
بمعنى مع اي برئ معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله تعالى لعمرك ويحكى ان اعرابيا
سمع رجلا يقراوها فقال ان كان الله بريا من رسوله فانا منه بريء فلببه الرجل الى عمر فحكى
الاعرابي قراته فعندها امر عمر بتعلم العربية فان تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم
وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي والاعراض عن الاسلام والوفا فاعلموا انكم غير سابقين
الله ولا فايتين اخذه وعقابه فان قلت مم استثنى قوله الا الذين عاهدتم قلت وجهه
ان يكون مستثنى من قوله تعالى فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براة من الله
ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا
فاتموا اليهم عهدهم والاستثنى بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم
ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ان الله يحب المتقين يعني
ان قضية التقوى ان لا يستوي بين القبيلين فاتقوا الله في ذلك لم ينقصوكم شيئا لم
يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة
عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على
رسول

حلف ابينا وابيك الاتلدا

رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده لاهم اني ناشد محمدا ان قريشا اخلفوك الموعدا
ونقضوا ذمامك المؤكدا هم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا ركعا وسجدا فقال عليه الصلوة
والسلام لا نصرت ان لم انصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة اي لم ينقضوا عهدكم
ومعنى فاتموا اليهم فادوه اليهم تاما كاملا قال ابن مسعود بقي لحي من كنانة من عهدهم
تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم انسلخ الاشهر كقولهم انجرد الشهر وسنة جرداء والاشهر
الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا
عليكم حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم
وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه حصرهم ان يحال
بينهم وبين المسجد الحرام كل مرصد كل ممر ومجتاز يرصدونهم به وانتصابه على الظرف
كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم
ولا تتعرضوا لهم كقوله خل السبيل لمن يبني المنار به وعن ابن عباس رضي الله عنه دعوهم
وايتان المسجد الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر احد مرتفع بفعل
الشرط مضمرا يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك ولا يرتفع بالابتداء
لان ان عوامل الفعل لا تدخل على غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر
لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستامنك ليسمع ما تدعوا اليه من التوحيد والقران ويتبين ما
بعثت له فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك
داره التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في
كل وقت وعن الحسن هي محكمة الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه جاء رجل من المشركين
الى علي رضي الله تعالى عنه فقال ان اراد الرجل ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام
الله او ياتيه لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك الاية وعن السدي
والضحاك هي منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين ذلك اي ذلك الامر بالاجارة في قوله فاجره بسبب
انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعوا اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا
ويفهموا الحق كيف استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد لان يكون للمشركين عهد عند رسول
الله وهم اضداد وغرة صدورهم يعني محال ان يثبت لها ولا عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به
نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين عاهدتم اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند

كملا خ عباس

المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا بهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا
لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين معنى ان التربص بهم من اعمال المتقين
كيف تكرار الاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحلف الفعل لكونه معلوما كما قال
وحديثها ان أنما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب يريد فكيف يهلك اى كيف يكون
لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم يعدما سبق لهم تاكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا في
حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا منكم الا ولا ذمة يراعوا حلفا وقيل قرابة والنشد
لحسان لعمرك ان إلمك من فرائش كابل ليست بسهلة ذات التعاهم وقيل الا الاما وقرئ
ايلا بمعناه وقيل جبريل وجبرائيل من ذلك وقيل منه استق الايل بمعنى القرابة كما
اشتقت الرحم من الرحمة لوجه ان اشتقاق الايل بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم الحلف
لانهم اذا ما سحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه من الايل وهو الجؤار وقيل الايل
اسمى انين يرفع به صوته ودعت اليها اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت
به القرابة عند الرجلين من حيث ما لا يعقله الميثاق ترضونكم كلام مبتدا في وصف
حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد اثباتهم على العهد وابائهم القلوب
مخالفة مانيها من الاضغان لما تجرونه على المستهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون
متمردون خلعا لامروءة نزعهم ولا شمايل مرضية تردعهم كما وجد ذلك في بعض الكفرة
من التفادي عن الكذب والنكث والعفف عما تسلم الغرض وتجر احدوثة السوء اشتروا استبدلوا
بايات الله بالقران والاسلام ثمنا قليلا ومواتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله تعدلوا
عنه او صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم هم المعتذرون النجاوزين
الغاية في الظلم والشرارة فان تابوا عن الكفر ونقض العهد فاخوانكم فهم اخوانكم على حذف
المبتداء كقوله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم ونفصل الايات ونبينها وهذا اعتراض كانه قيل
وان من تامل تفصيلها فهو العالم بحتا وحريضا على تاملها فصل من احكام المشركين المعاهدين
وعلى المحافظة عليها وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم فوضع ائمة
الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا كانوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء
من العرب هم آمنوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا
فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وتعدوا بطعنهم في دين الله

ويقولون ليس دين محمد شيئا فهم ائمة الكفر ودوا الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر
غبارهم وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه
على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة انهم لا ايمان لهم جمع يمين وقرئ لا
ايمان لهم اى لا اسلام لهم اولا يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل الله فان قلت
كيف ابتظم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم قلت اداة ايمانهم التي اظهروها
ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة واعانهم ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة على ان
يمين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعي يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل
انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اى ليكن غرضكم في مقاتلتهم
بعد ما وجد منهم ما وجد من العظايم ان تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من
غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد فان قلت كيف لعظائم قلت همزة بوما
همزة بين بين اى بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمز بين قراءة مشهورة وان لم تكن بمقبولة
عند البصريين واما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز ان تكون ومن صرح بها فهو لاحن محرف
الا تقاتلون دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا على انتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة
نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في امره في دار الندوة
حتى اذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدؤكم اول مرة اى وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها
الى القتال فهم البادئون بالقتال والبادي اظلم فما منعكم من ان تقاتلوهم مثله وان تصدوهم بالشر
كما صدوكم وكفهم عن قتالهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويغري ان كان في مثل
صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بان لا تترك مصادمته
وان يوخ من فرط فيها الخشونهم تقرير على الخشية منهم وتوبيخ عليها فالله احق ان تخشوه فيقاتلوا
اعداءه ان كنتم مؤمنين معنى ان قضية الايمان الصحيح ان لا تخشى المؤمن ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله
تعالى ولا تخشون احدا الا الله ولما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم
ليثبت قلوبهم ويصح نياتهم انه يعذبهم بايديهم قتلا وكبتهم اسرا وبولهم النصر والغلبة عليهم ويشف
صدور طايفة مؤمنة ممن ومن خزاعة قال ابن عباس يطئون من اليمن وسبا فدوا مكة فاسلموا
قلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج

قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقيتم منهم من المكروه وقد حصل لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك
دليلا على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام
واخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ
ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة فيما اجيب به الامر من طريق المعنى والله عليم والله يعلم
ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها
اي في ام التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين الخلص
منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة اي بطانة من الذين يضادون
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك وايضاحه
متوقع كاين وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف
على جاهدوا داخل في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير
المتخذين وليجة دون حده والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم
نفي المعلوم كقول القايل ما علم مني ما قيل في يريد ما وجد ذلك مني ما كان للمشركين ما صح لهم وما
استقام ان يعمروا مسجد الله يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام واما القراءة
بالجمع ففيها وجهان احدهما ان يراد المسجد الحرام وانما قيل مساجد لانه قبلة المساجد
كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد والثاني ان يراد
جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام
الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو اكد لان طريقته طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا
يقرا كتب الله كنت انفي لقراءته القران من تصريحك بذلك وشاهدين حال من الواو في يعمروا
والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله
وبعبادته ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم وانه نصبوا اصنامهم
حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصي
وكلما طافوا شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك
وقيل قد اقبل المهاجرون والانصار على اسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي
بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه يوبخ العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة
الرحم واغلظ له في القول العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا اولكم محاسن

قالوا نعم ونحن افضل منكم اجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني
فنزلت حبطت اعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة واذا هدم الكفر او
الكبيرة الاعمال الثابتة الصحيحة اذا تعقبها فما ظنك بالمقارن والى ذلك اشار بقوله
تعالى شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على انهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على انفسهم
في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم انما يعمر مساجد الله وقرئ بالتوحيد اي انما يستقيم
عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها
بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو اجله واعظمه وصيانتها
مما لم تبن له المساجد من احاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ياتي في آخر الزمان ناس من امتي ياتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب
الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما
ياكل البهيمة الحشيش وقال عليه الصلوة والسلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد
وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم
زايره وعنه من الف المسجد الفه الله وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد
فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملايكة وحملة العرش
تستغفر له ما دام في المسجد ضوءه فان قلت هلا ذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم
قلت لما علم وشهر ان الايمان بالله قرينته الايمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة والاذان
والاقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كانهما شيء واحد غير منفك احدهما عن صاحبه
انطوى تحت ذكر الايمان بالله الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلوة
وايتاء الزكوة فان قلت كيف وقيل ولم يخش الا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا
يخشاها قلت هي الخشية والتقوى في ابواب الدين وان لا يختار على رضى الله رضا غيره لتوقع
مخوف واذا اعترضه امران احدهما حق الله والاخر حق نفسه ان يخاف الله فيؤثر حق الله على
حق نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك
ان يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم
التي استعظموها وافتخروا بها واملوا عاقبتها بان الذين امنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرايع مع
استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون انهم مهتدون

ونايلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمومنين في ترجيح الخشية على الرجا
ورفض الاغترار بالله السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية
ولابد من مضاف محذوف تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله
وتصدقه قراة ابن الزبير وابي وجزه السعدي وكان من القراة سقاة الحاج وعمرة
المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمومنين واعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة
وان يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة
الحجيج وعمار المسجد الحرام فنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت لهم اليهود انتم افضل وقيل ان
عليا رضي الله عنه قال للعباس يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس
ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه الصلوة والسلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا
هم اعظم درجة عند الله من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفايزون لا انتم والمختصون
بالفوز دونكم قرى يبشرهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراصفة الواصف
وتعريف المعرف وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه
الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفر ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من
خالفنا في الدين قطعنا ابانا وابنانا وعشايرنا وذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا
وخربت ديارنا وبقينا ضايعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل ياتيه ابنه او ابوه او اخوه
او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في
السبعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله تعالى عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم
احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب
الناس اليه وقرى عشيرتكم وعشيراتكم وقرا الحسن وعشايركم فتربصوا حتى ياتي الله بامره
وعيده وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه هو فتح مكة وعن الحسن عقوبة عاجلة وآجلة وهذه
آية شديدة لا ترى اشد منها كانها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب
حبل اليقين فلينصف اورع الناس واتقاهم من نفسه هل تجد عنده من التصلب في ذات
الله والثبات على دين الله ما يسحب له ذيله على الاباء والابناء والاخوان والعشاير والمال
والمساكين وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لاجله ام يزوي الله عنه احقر شي منها لمصلحته فلا يدري

اي طرفيه اطول ويفوته الشيطان عن اجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كانما وقع على انفه ذباب
فطيره مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال وكم موطن لولاي طحت كما هوى باحرامه من قلة
النيق منهوي وامتناعه من الصرف لانه جمع على صيغة لم يات عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات
بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة فان قلت كيف عطف الزمان على المكان
وهو يوم حنين على المواطن قلت معناه وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز ان
يراد بالمواطن الوقت كمقتل الحسين على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا
الظاهر وموجب ذلك ان قوله اذ اعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان
كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي ان يكون ناصبه فعلا خاصا به
الا اذا نصبت اذ باضمار اذكر وحنين بين مكة والطايف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر
الفا الذين حضروا فتح مكة منضما اليهم الفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم اربعة الاف
فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قاتلها
وقيل ابو بكر وذلك قوله تعالى اذ اعجبتكم كثرتكم واقتتلوا قتالا شديدا وادركت المسلمين كلمة الاعجاب
بالكثرة وزل عنهم الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه الا عمه العباس اخذا بلجام دابته وابو سفيان
ابن الحارث بن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة جاشه
وما هي الا من آيات النبوة وقال يا رب ايتني بما وعدتني وقال العباس وكان صيتا صيح بالناس
فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون
لبيك لبيك ونزلت الملايكة عليهم البياض على خيول بلق فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين
فقال هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا
قال العباس لكاني انظر الى رسول الله يركض خلفهم على بغلته بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع رحبها
وحقيقته ملتبسة برحبها على ان الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر اي
ملتبسا بها لم احلها يعني مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا يستصلحونه فهربكم اليه
ونجاتكم لفرط الرعب فكانها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم سكينته رحمته التي سكنوا بها
وامنوا وعلى المومنين الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب
وانزل جنودا يعني الملايكة وكانوا ثمانية الاف وقيل خمسة الالف وقيل ستة عشر الفا وعذب الذين

فيمن ضامهم من احد الاسارير العرب وكانوا الجم الغفير
رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان صح
اي مع

كفروا بالعقل والاسر وسبى النساء والذراري كم تنوب الدار منكم بعد ذلك يا بني فمنهم ودوى ان
ناسا منهم جاوا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس
وابر الكاسبين وقد سبى اهلونا واولادنا واخذت اموالنا فمتى سبى يومئذ ستة الا نفس
وأخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان عندى ما ترون ان خير القول اصدقه فاختاروا اما ذراريكم
ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان
هاولاء جاوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيا فمن كان
بيده شي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب
شيا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم
فليرفعوا ذلك الينا فرفعوا الينا العرفاء ان قد رضوا وقوله النجس مصدر يقال نجس نجسا وقذر
قذرا ومعناه ذو نجس لان معظم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون
ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم او جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم
بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضا واعاد
المذهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كانه
قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء نابيا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد
وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية بعد عامهم
هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله تعالى عنه على الموسم وهو مذهب ابي حنيفة
واصحابه ويدل عليه قول علي كرم الله تعالى وجهه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا
هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند
الامام الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد
وعن عطا ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهى المشركين
ان يفعلوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام
والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وقوله وان خفتم عيلة اى فقرا بسبب منع المشركين
من الجلب وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله
من عطايه او من تفضيله بوجه اخر فارسل السماء عليهم مدرارا فاغزر بها خيرهم واكثر
مبرتهم فاسلم اهل تباله وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما تعاش به وكان ذلك عودا عليهم مما

خافوا الغيلة لعوانة وعن ابن عباس القى الشيطان في طوهم الخوف وقال من اين تاكلون
فارهم الله تعالى امل الكتاب واغنامهم بالجزية وقيل فتح البلاد والغنايم وقرئ عايلة بمعنى
المصدر كالعافية او حالا عايلة ومعنى قوله ان شاء ان اوجبت الحكمة اغناكم وكان مصلحة لكم
في دينكم ان الله عليم باحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب من الدين او نزلت الكتاب بيان
للذين مع ما في حيزه نفي عنهم الايمان بالله لان اليهود مشبهة والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الآخر
لانهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة
وعلى الوجوه لا يعملون بما في التوراة والانجيل وان يدينوا دين الحق وان يعتقدوا دين الاسلام
الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده
سميت جزية لانها طايفة مما على اهل الذمة ان يجزوه اى يقضوه او لانهم يجزون بها من منّ
عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد اما ان يراد يد المعطي والاخذ فمعناه على ارادة يد المعطي حتى يعطوها
عن يد اى عن يد مواتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط بل يخلاف المطيع المنقاد ولذلك
قالوا اعطى بيده اذا انقاد واصحاب الهوى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة
عن عنقه او حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية او عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك
ارواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم ومعنى صاغرون اى يوطد منهم على الصغار والذل وهو ان يجري
بنفسه ما شيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ان يتلتل تلتلة ويوطد بتلبيبه
وقيل الا دي الجزية وان كان يؤديها ويزج في قفاه وتسقط بالاسلام عند ابي حنيفة ولا تسقط
به خراج الارض واختلف فيمن تضرب عليه فعند ابي حنيفة تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي
وصابي وحربي الا على مشركي العرب وحدهم وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صالح عبدة الاوثان
على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل مكة مالكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب
وادت اليكم الجزية العجم وعند الشافعي لا يوخذ من مشركي العجم والماخوذ عند ابي حنيفة في اول كل سنة
من الفقر الذي له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغني ضعفها ومن الملكثر ضعف الضعف ثمانية
واربعون ولا يوخذ من فقير لا كسب له وعند الامام الشافعي يوخذ في اخر السنة من كل واحد دينار
غنيا كان او غنيا كان له كسب او لم يكن عزير ابن الله مبتدا واخبر كقوله تعالى المسيح ابن الله وعزير اسم
اعجمي كعازر وعيزار وعزرايل ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نونه فقد جعله عربيا واما قول من

يدينون

قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر
محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما
هو بقول كلهم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان
بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول
ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه الصلوة والسلام فرفع الله عنهم التورية ومحاها من قلوبهم
فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل فقال له الى اين تذهب قال لطلب العلم فحفظه
التورية فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التورية في صدره وهو
غلام الا انه ابنه والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا
مع تهالكهم على التكذيب **فان قلت** كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم بافواههم **قلت** فيه
وجهان احدهما ان يراد به انه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى
تحته كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونعم لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى
لفظه مقول بالفم ومعناه موثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد بالقول
المذهب كقولهم قول ابي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم
بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يوثر في القلب وذلك انهم اذا اعترفوا انه
لا صاحبة له لم يبق شبهة في انتفاء الولد يضاهون لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي
قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى ان الذين
كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه
كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي قول المشركين الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى
اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وقرئ يضاهئون
بالهمز من قولهم امراة ضهياء على فعيل وهي التي ضاهأت الرجال في انها لا تحيض وهمزتها
مزيدة كما في عرفي فاتلهم الله اي هم احقاء بان يقال لهم هكذا تعجبا من شناعة قولهم كما
يقال لقوم ركبوا شنعا فاتلهم الله ما اعجب فعلهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق اتخاذهم اربابا
انهم اطاعوهم في الامر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما يطاع الارباب في اوامرهم
ونحوه لتسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن يا ابت لا تعبد
الشيطان وعن عدي بن حاتم انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب

فقال

سابع

٥٤

فقال اليسوا يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم
وعن الفضيل ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح فحين
جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة الا ترى الى قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين
وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا امرتهم بذلك ادلة العقل والنصوص في الانجيل والمسيح
عليه الصلوة والسلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة سبحانه تنزيه له عن
الاشراك واستبعاد له ويجوز ان يكون الضمير في وما امروا للمتخذين اربابا اي وما امر هؤلاء
الذين عندهم ارباب الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مامورون
مستعبدون مثلهم مثل حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد
ان ينفخ في نور عظيم منبث في الافاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق والاضاءة
ليطفئه بنفخه ويطمسه ليظهره ليظهر الرسول على الدين كله على اهل الاديان كلهم او ليظهر
دين الحق على كل دين **فان قلت** كيف جاز ابى الله الا كذا ولا يقال كرهت او ابغضت الا زيدا **قلت**
اجري ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفئوا بقوله ويابى الله وكيف اوقع موقع ولا يريد
الله الا ان يتم نوره معنى اكل المال على وجهين اما ان يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ
الطعام وتناوله واما على ان المال يوكل بها فهي سبب الاكل ومنه قولهم ياكلن كل ليلة اكافا يريد
علفا يشترى بثمن اكاف ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا ياخذون الرشا في الاحكام والتخفيف
والمسامحة في الشرائع من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم
اخذ البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون
الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على ان
من ياخذ منهم السحت ومن لا يعطي منهم طيب ماله سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وقيل
نسخت الزكوة اية الكنز وقيل ثابتة وانما عنى بترك الانفاق في سبيل الله منع الزكوة وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ما ادي زكاته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان
ظاهرا وعن عمر رضي الله تعالى عنه ان رجلا ساله عن ارض باعها فقال احرز مالك الذي اخذت احفر له
تحت فراش امراتك قال اليس بكنز قال ما ادي زكاته فليس بكنز وعن ابن عمر كل ما اديت زكاته
فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وما لم تؤد زكاته فهو الذي ذكر الله وان كان على ظهر الارض **فان**
قلت فما تصنع بما روى سلام بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا

للفضة فالها ملاثا فقالوا له اى مال نتخذ مال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعينك
على دينه وقوله عليه الصلوة والسلام من ترك صفرا او بيضاء كوى بها ونونى رجل فوجد
ميزره جينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيتة ونونى آخر فوجد فى ميزره دينارا فقال
كيتان قلت كان هذا قبل ان يفرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة فالله اعدل واكرم من ان
يجمع عبده مالا من حيث اذن له فيه ويؤدى عنه ما اوجب عليه ولقد كان كثير من الصحابة
كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال وينصرفون فيها وما عابهم احد
اعراض عن العتبة لان الاعراض اختيارا للافضل والادخل فى الورع والزهد فى الدنيا
والاقتناء مباح موسع لايذم صاحبه ولكل شئ حد وما روى عن على رضى الله تعالى عنه اربعة
الاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام فى الافضل فان قلت لم قيل ولا ينفقونها وقد
ذكر شيبان قلت ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعلة
كثرة ودنانير ودراهم نحو كقوله تعالى وان طايفتان من المومنين اقتتلوا او قيل ذهبت
الى الكنوز وميل الى الاموال وميل معناه ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله
فانى وقبارها للذهب وقبار كذلك فان قلت لم خصا بالذكر من بين سايرالاموال قلت
لانهما قانون التمول واثمان الاشياء ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته ومن كنز عنده
حتى كنزهما لم يعدم سايرا جناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما فان قلت
ما معنى قوله تعالى يحمى عليها وهلا قيل تحمى من قولك حمى الميسم واحميته ولا تقول
احميت على الحديد قلت معناه ان النار تحمى عليها اى توقد ذات حمى وحر شديد من قوله
نار حامية ولو ميل لوتم يحمى لم يعط هذا المعنى فان قلت فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر
الفعل قلت لانه يسند الى الجار والمجرور اصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها
لاسفال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة
قلت رفع الى الامير وعن ابن عباس انه قراء تحمى بالتاء وقرا ابو حيوة تكوى بالياء فان قلت
لم خصت هذه الاعضاء قلت لانهم لم يطلبوا باموالهم حتى لم ينفقوها فى سبيل الله
الا الاغراض الدنيوية من وجاهة عند الملك او بغدم وان يكون ما وجوههم مصونا
عندهم تتلقوا بالجميل ويحيون بالاكرام ويحتشمون من اكل الطيبات تتضلعون منها
وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب تطرحونها على ظهورهم كما ترى اغنياء زمانك

هذه

هذه اغراضهم وطلباتهم من اموالهم لا تخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب
اهل الدثور بالاجور وقيل لانهم كانوا اذا ابصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس
ازوروا عنه وتولوا بارکانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه يكوون على الجهات الاربع وشفاههم
وما اخبروهم وجنوبهم هذا ما كنزتم لانفسكم على ان المراد القول وقوله تعالى لانفسكم لتنفعوا به
نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الاغراض التى حامت حولها وما علمتم انكم كنزتموه لتشتضر
به انفسكم وتتعذب وملوتوبخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون بضم اللون اى وبال المال الذى
كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين فمن كتاب الله فيما اثبته واوجبه من حكمه وراه حكمة
وصوابا وميل فى اللوح اربعة حرم ثلاثة يسرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد
فرد ومل رجب ومنه عليه الصلوة والسلام فى خطبته فى حجة الوداع الا ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة
حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى
وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج فى ذى الحجة وبطل النسئ الذى
كان فى الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابى بكر قبلها فى ذى القعدة
ذلك الدين القيم يعنى ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دين ابراهيم واسمعيل وكانت
العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى
لو لقى الرجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجب الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثت
النسئ فغيروا فلا تظلموا فيهن فى الحرم انفسكم اى لا تجعلوا حرامها حلالا وعن عطا بالله ما
يحل للناس ان يغزوا فى الحرم ولا فى الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما يستحب وعن عطا الحراسانى
احلت القتال فى الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تاثموا فيهن بيانا لعظم
حرمتهن كما عظم اشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الاية وان كان ذلك محرما فى
سايرالشهور كافة حال من الفاعل او المفعول مع المنقص ناصرهم حتهم على التقوى بضمان النصر
لاهلها النسئ تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات
فاذا جاء المشهر الحرام وهم محاربون سنق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا اخر
حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من شق شهور العام اربعة اشهر ذلك
قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اى ليوافقوا العدة التى هى الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص

قوله ص

اى الكنز ثمن م
وقد يكنز دون ه

الذي هو احد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر واربعة عشر
ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وعلا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة
زادوها والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسيء اي اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا
فحرموه في العام القابل روي انه حدث ذلك في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان
جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية فكان يقوم على جمل في الموسم فيقول ما على صوته ان
الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه
جعل النسيء زيادة في الكفر لان الكافر كلما احدث معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم
كما ان المؤمن اذا احدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقرئ يضل على البناء
للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل على ان الفعل لله عز وجل وقرا الزهري ليوطئوا بالتشديد
والنسيء مصدر نسأه اذا اخره يقال نساه نسيئا ونساء ونسيئا كقولك مسه مسا
ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ النسي بوزن الندي والنسي بوزن النهي
وهما تخفيف النسي والنسيء فان قلت ما معنى قوله تعالى فيحلوا ما حرم الله قلت معناه فيحلوا
بموطاة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال او من ترك الاختصاص للاشهر
بعينها زين لهم سوء اعمالهم خذلهم الله فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي
اي لا يلطف به بل يخذلهم وقرئ زين لهم سوء اعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل
اثاقلتم تثاقلتم وبه قرا الاعمش اي تباطاتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد فعدي
بالى والمعنى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه اخلد الى الارض
واتبع هواه وقيل ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم وروي اثاقلتم على الاستفهام الذي معناه
الانكار والتوبيخ فان قلت فما العامل في اذا وحرف الاستفهام مانعه ان يعمل فيه قلت ما دل
عليه او ما في ما لكم من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم كما يعمله في الحال اذا قلت ما لك
قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة
وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة الا ورى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة من الاخرة
بدل الاخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة في الاخرة في جنب الاخرة الا تنفروا سخط عظيم على
المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما
اخرين

آخرين خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير
للرسول صلى الله عليه وسلم اي ولا تضروه لان الله تعالى وعده ان يعصمه من الناس وان ينصره
ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم اهل اليمن وقيل ابناء فارس والظاهر
مستغن عن التخصيص فان قلت كيف يكون قوله تعالى فقد نصره الله جوابا للشرط قلت فيه
وجهان احدهما الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد ولا اقل من
الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت فلم
يخذل من بعده واسند الاخراج الى الكفار كما اسنده اليهم في قولك من قريتك التي اخرجتك لانهم
حين هموا باخراجه اذن الله في الخروج فكانهم اخرجوه ثاني اثنين احد اثنين كقوله ثالث ثلاثة
وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يروى ان جبريل صلوات
الله عليه لما امره بالخروج قال من يخرج معي قال ابو بكر وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون
واذ هما بدل من اذ اخرجه والغار نقب في اعلا ثور وهو جبل من يمنى مكة على مسيرة ساعة
مكثا فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان قيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ان نصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه الصلوة والسلام ما ظنك باثنين الله
ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ
الله بابصارهم وقالوا من انكر صحبة ابي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لساير الصحابة
سكينته ما القي في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه والجنود الملائكة يوم بدر
والاحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا دعوتهم الكفر وكلمة الله دعوته الى الاسلام وقرئ وكلمة
الله بالنصب والرفع اوجه وهي فصل او مبتدا وفيها تاكيد فضل كلمة الله في العلو وانها المختصة
به دون ساير الكلم خفافا وثقالا خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته او خفافا
لقلة عيالكم واذيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا
وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على
المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت على حمص فرايت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من اهل دمشق على راحلته
يريد الغزو فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك فرفع حاجبه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا

الا انه من يحبه الله يبتله وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى
عينيه فقيل انك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم تمكني الحرب كثرت
السواد وحفظت المتاع وجاهدوا باموالكم وانفسكم ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما
على حسب الحال والحاجة العرض ما عرض لك من متاع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر
والفاجر اي لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا وسطا مقاربا الشقة
المسافة الشاطة الشاقة وقرا عيسى بن عمر يعذب عليهم الشقة بكسر العين والشين ومنه
قوله يقولون لا تبعد وهم يدفنونه ولا بعد الا ما توارى الصفائح بالله متعلق سيحلفون
او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من
غزوة تبوك معتذرين يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا
والاخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى
الاستطاعة استطاعة العدة او استطاعة الابدان كانهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم
الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت يهلكون انفسهم اما ان يكون بدلا من سيحلفون او
حالا بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف
ويحتمل ان يكون حالا من قوله لخرجنا اي لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة
بما يحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر الا ترى انه لو قيل سيحلفون
بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولا فعلن فالغيبة على حكم
الاخبار والتكلم على الحكاية عفا الله عنك كناية عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه
اخطات وبئس ما فعلت ولم اذنت لهم بيان لما كني عنه بالعفو ومعناه ما لك اذنت لهم في
القعود عن الغزو حين استاذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استاذنت بالاذن حتى يتبين لك
من صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر
بهما اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى معاتبة الله لا يستاذنك ليس من عادة المؤمنين
ان يستاذنوك في ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستاذن
النبي صلى الله عليه وسلم ابدا ولنجاهدن معه باموالنا وانفسنا ومعنى ان يجاهدوا في ان
يجاهدوا او كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة
لهم باجزل الثواب انما يستاذنك يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا يترددون عبارة

عن

عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات والاستقرار دين المستبصر قرئ عدة
بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال واخلفوك عد الامر الذي وعدوا من حذف
تاء التانيث وتعويض المضاف اليه منها وقرئ عدة بكسر العين بغير اضافة وعدة باضافة فان قلت
كيف موقع حرف الاستدراك قلت لما كان قوله ولو ارادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم
واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره الله انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج
لكراهة انبعاثهم كما تقول ما احسن الي زيد ولكن اساء الي فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف
رغبتهم في الانبعاث وقيل اقعدوا جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود
وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قولهم لانفسهم وقيل هو اذن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لهم في القعود فان قلت كيف جاز ان يوقع الله في نفوسهم كراهة الخروج الى الغزو
وهي قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح قلت خروجهم كان مفسدة لقوله تعالى لو خرجوا فيكم
ما زادوكم الا خبالا فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة فان قلت
فلم خطا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاذن لهم فيما هو مصلحة قلت لان اذن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الاذن لهم لم يكن للنظر في هذه المصلحة ولا علمها الا بعد القفول باعلام
الله ولكن لانهم استاذنوه واعتذروا اليه وكان عليه ان يفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز
في قبولها فمن ثم اتاه العتاب ويجوز ان يكون في ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذن لهم مع
تثبيط الله اياهم مصلحة اخرى فباذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك انه اذا ثبطهم الله
فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير اذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت عليهم الحجة ولم تبق لهم
معذرة ولقد تدارك الله تعالى ذلك حيث هتك استارهم وكشف اسرارهم وشهد عليهم بالنفاق
وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الاخر فان قلت ما معنى قوله تعالى مع القاعدين قلت هو ذم لهم وتعجيز
والحاق بالنساء والصبيان والزمنا الذين شانهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون
والخالفون والخوالف ويبينه قوله تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف الا خبالا ليس من الاستثناء
المنقطع في شيء كما تقولون لان الاستثناء المنقطع ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما
زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء شيئا
من اعم العام الذي هو الشيء فكان استثناء متصلا لان الخبال بعض العام كانه قيل ما زادوكم الا
خبالا والخبال الفساد والشر ولاوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات

البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع وأوضعته انا والمعنى لا وضعوا ركابهم بينكم والمراد
الاسراع بالنمايم لان الراكب اسرع من الماشي وقرا ابن السميفع لأرقصوا من قصت الناقة رقصا
اذا اسرعت وارقصتها انا والرقصان الاسراع في تغيب وثوى ولأوضعوا فان قلت
كيف خط المصحف ولأوضعوا بزيادة الف قلت كانت العجمة تكتب الفا قبل الخط
العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الالف اشرى الطباع فكتبوا صورة
الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى ونحوه اولأذ جنة يعنونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم
بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا ذات بينكم وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون
حديثكم فينقلونه اليهم او فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم لعدا بتغوا الفتنة اي
العنت ونصب الغوائل والسعي في تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله
بن ابي يوم احد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج وتفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على
الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به من قبل من غزوة تبوك وقلبوا
لك الامور وجدوا بتروا لك الحيل والمكايد دوؤا والاراء في ابطال امرك وقرى وقلبوا اما للتحقيق
حتى جاء الحق ونبوغا بدلك ونصرك وظهر امر الله وغلب دينه وعلا شرعه ايذن لي في القعود
ولا تفتني في الفتنة وهي الاثم بان لا تاذن لي فاني ان خلفت بغير اذنك اثمت
وفسل ولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وفسل قال الجد بن قيس قد
علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني بنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني أعينك
بمالي فاتركني وقرى ولا تفتني من أفتنه الاني الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي
سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وفي مصحف ابي سقط لان من موجد اللفظ مجموع
المعنى محيطة بالكافرين يعني انها محيطة بهم يوم القيمة او هي محيطة بهم الان لان
اسباب الاحاطة معهم فكانهم في وسطها ان تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر
وغنيمة تسؤهم وان تصبك مصيبة بلية وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم احد
يفرحوا بحالهم في الانحراف عنك ويقولوا قد اخذنا امرنا الذي نحن مغتمون به من الحذر
والتيقظ والعمل بالحزم من قبل من قبل ما وقع ويتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له
الى اهاليهم وهم فرحون مسرورون وفسل اعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة ابن
مسعود فل هل يصيبنا وقرا طلحة قل نصيبنا بتشديد الياء ووجهه ان يكون يفيعل
لا يفعل لانه من بنات الواو كقولهم الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب في جمع مصيبة

فحق يفعل منه يصوب الا ترى الى قولهم صوب رايه الا ان يكون من لغة من يقول صاب السهم
يصيب ومن قوله أشهي الصابات والطيب واللام في قوله الا ما كتب الله لنا مفيد معنى
الاختصاص كانه قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله باثباته والجابة من النصر عليكم
او الشهادة الا ترى الى قوله هو مولانا اي الذي يتولانا وننولاه ذلك بان الله مولى الذين امنوا
وان الكافرين لا مولى لهم وعلى الله فليتوكل المومنون وحق المومنين ان لا يتوكلوا على غير الله
فليفعلوا ما هو حقهم الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين للذين كل واحدة منهما
هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوأيين من العواقب
اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود او
بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا انا معكم متربصون
ما هو عاقبتكم فلا بد ان يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه انفقوا يعني في سبيل الله
ووجوه البر طوعا او كرها نصب على الحال اي طائعين او مكرهين فان قلت كيف امرهم بالانفاق
ثم قال لن يتقبل منكم قلت هو امر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له
الرحمن ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحو قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر
لهم وقوله أسيي بنا او أحسني لا ملومة اي ان يعفر الله لهم استغفرت لهم او لم تستغفر لهم
ولا تلومك اساءت الينا او احسنت فان قلت متى يجوز نحو هذا قلت اذا دل عليه كما يجوز
عكسه في قولك رحم الله زيدا وعفر له فان قلت لم تفعل ذلك قلت لنكتة فيه وهي ان كثيرا كانه
تقول لعزة امنحيني لمطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعاملني بالاساءة والاحسان وانظري
هل تثابرين على معك مسيئة كنت او محسنة وفي معناه قول القائل خول الذي ان تمنت
بالسيف عامدا لتضربه يستشفك في الود وكذلك المعنى انفقوا وانظروا هل يقبل منكم
وما يمنعهم ان تقبل منهم الا كفرهم بالله وبرسوله وانظر هل ترى اختلافا حال الا يمنعهم ان
يستغفر لهم اولا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا حال الا يمنعهم ان تقبل نفقاتهم وتركه فان قلت ما
الغرض في نفي القبول اهو ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبله وردّه عليهم ما يدلون منه
امر هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا هبا لا ثواب له قلت يحتمل الامرين جميعا وقوله طوعا
او كرها معناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله او ملزمين ويسمى الالزام اكراها لانهم ناقضوه
فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه وطائعين من غير اكراه من رؤسائكم لان رؤساء اهل النفاق
كانوا محملون على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم وروي انها نزلت في الجد بن

قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالي أعينك به
فاتركني انكم تعليل لرد انفاقهم والمراد بالفسق التمرد والعتو انهم فاعل منع وهم وان تقبل
مفعولا وقرئ ان تقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد
وقراءة السلمي ان يقبل منهم نفقاتهم على ان الفعل لله عز وجل كسالى بالضم والفتح جمع كسلان نحو
سكارى وغيارى في سكران وغيران وكسلهم لانهم لا يرجون بصلاتهم ثوابا ولا يخشون
بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقرأت في بعض الاخبار
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الاية وان
الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي ان يسنده المؤمن الى نفسه فان قلت الكراهة خلاف
الطواعية وقد جعلهم الله طائعين في قوله طوعا ثم وصفهم بانهم لا ينفقون الا وهم كارهون
قلت المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم او من رؤسائهم
وما طوعهم ذلك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار الاعجاب بالشيء ان تسر به
سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا يستحسن ولا تفتتن بما اوتوا من
زينة الدنيا كقوله ولا تمدن عينيك فان الله انما اعطاهم ما اعطاهم للعذاب بان عرضه
للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالمصائب والآفات وكلفهم الانفاق منه في ابواب الخير
وهم كارهون له على رغم انوفهم واذاقهم انواع الكلف والمجاشم في جمعه واكتسابه وفي
تربية اولادهم فان قلت ان صح تعليق التعذيب بارادة الله فما بال زهوق انفسهم
وهم كافرون قلت المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي ليزدادوا اثما كانه قيل ويريد
ان يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون بالنعم عن النظر للعاقبة لمنكم لمن جملة
المسلمين يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية
ملجأ مكانا يلجؤن اليه متحصنين به من رأس جبل او قلعة او جزيرة او مغارات
او غيرانا وقرئ بضم الميم من اغار الرجل وغار اذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار
الشيء واغرته انا يعني امكنة يغيرون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب
اذا اسرع يعني مهارب ومغار او مدخلا او نفقا يندسون فيه ويتحجرون وهو
مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا من ادخل مكانا يدخلون فيه انفسهم
وقرأ ابي بن كعب متدخلا وقرئ لو ألوا اليه لالتجؤا اليه يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم
شيء

شيء من الفرس الجموح وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام وقرأ انس يجمزون فسئل فقال يجمحون
ويجمزون ويشتدون واحد يلزمك بعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك قيل
هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل
هو ابو الجواظ من المنافقين قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم
وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود
راعيا فلما ذهب قال عليه الصلوة والسلام احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون وقرئ
يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك التثقيل والبناء على المفاعلة مبالغة في اللمز ثم وصفهم بان
رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف
قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه واذا للمفاجاة اي وان لم يعطوا
منها فاجأوا السخط جواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو
انهم رضوا ما اصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا
كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة اخرى فيؤتينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر مما آتانا اليوم انا الى الله في ان يغنمنا ويخولنا فضله راغبون
انما الصدقات للفقراء قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها
لا يتجاوزها الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش يريد لا يتعداهم
ولا يكون لغيرهم فيحتمل ان يصرف الى الاصناف كلها وان يصرف الى بعضها وعليه مذهب ابي
حنيفة وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا في اي صنف منها
وضعتها اجزاك وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فخبرتهم
بها كان احب الي وعند الشافعي رضي الله تعالى عنه لا بد من صرفها الى الاصناف وعن عكرمة انها
تفرق في الاصناف الثمانية وعن الزهري انه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على
الاصناف الثمانية والعاملين عليها السعاة الذين يقبضونها والمؤلفة قلوبهم اشراف من
العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم على ان يسلموا فيرضخ لهم شيئا منها حين كان
في المسلمين قلة والرقاب المكاتبون يعانون منها وقيل الاسارى وقيل تبتاع الرقاب فيعتق
الغارمين الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتدينون

فيها وغرموا وفي سبيل الله فقرا الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر
المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله فريضة في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما
الصدقات للفقرا معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة
فان قلت لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخر قلت للايذان بانهم ارسخ في استحقاق
التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقا بان توضع فيهم الصدقات
ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفي فك
الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع الغازي الفقير او المنقطع في الحج بين
الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير في
في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين
فان قلت فكيف وقعت هذه الاية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم قلت دل
بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منها حسما
لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان وانهم بعدا عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها
وما سلطهم على التكلم فيها وامر قاسمها الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل
قول كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته اذن سامعة ونظيره قولهم
للربيئة عين وانداؤهم له هو قولهم فيه اذن خير كقولك رجل صدق يريد الجودة
والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يريد هو اذن في الخير والحق وفيما
يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ودل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه
اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه اذن خير بانه يصدق بالله لما
قام عنده من الادلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن آمن منكم
اي اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا
يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما راى الله من المصلحة في الابقاء عليكم
فهو اذا كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم قولهم فيه الا انه فسر بما هو مدح له
وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وانه من اهل
سلامة القلوب والغرة وقيل ان جماعة منهم ذموه وبلغه ذلك فاشتعلت قلوبهم فقال
بعضهم لا عليكم فانما هو اذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فاذى ونحن نأتيه فنعتذر اليه

هو اذن خير

فيسمع عذرنا ايضا فيرضى فقيل هو اذن خير لكم وقرئ اذن خير لكم على ان اذن خبر مبتدا
محذوف وخير كذلك اي هو اذن هو خير لكم يعني ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم
ولا يكافيكم على سوء جلتكم وقرا نافع بتخفيف الدال فان قلت لم عدي فعل الايمان بالبا الى
الله تعالى والى المؤمنين باللام قلت لانه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به فعدي بالباء
وقصد السماع من المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدي باللام
الا ترى الى قوله تعالى وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما انباه عن الباء ونحوه فما آمن لموسى الا
ذرية من قومه انؤمن لك واتبعك الارذلون امنتم له قبل ان آذن لكم فان قلت ما وجه قراءة ابن
ابي عبلة ورحمة بالنصب قلت هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم باذن لكم فحذف لان
قوله تعالى اذن خير لكم يدل عليه لكم ليرضوكم الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن
او يتخلفون عن الجهاد ثم ياتونهم فيعتذرون لهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف فيعذروهم ويرضوا
عنهم فقيل لهم ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما
وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضى الله تعالى ورضى رسوله فكانا في حكم مرضى واحد كقولك
احسان زيد واجماله يعشني وجبر مني او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك المحادة مفاعلة
من الحد كالمشاقة من الشق فان له على حذف الخبر اي فحق ان له نار جهنم وقيل معناه فلة
وان تكرير لان في قوله انه توكيد ويجوز ان يكون فان له معطوفا على انه على ان جواب من محذوف
تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم وقرئ الم تعلموا بالتا كانوا يستهزؤن بالاسلام
واهله وكانوا يحذرون ان يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا ارانا الا شر خلق الله لوددت
اني قدمت فجلدت مائة جلدة وان لا ينزل فينا شي يفضحنا والضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي
قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يقود اليه ويجوز ان يكون الضماير للمنافقين لان السورة اذا نزلت
في معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كانها تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت يعني انها تذيع
اسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكانها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الامر بالحذر اي
ليحذر المنافقون فان قلت الحذر واقع على انزال السورة في قوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم
سورة فما معنى قوله مخرج ما تحذرون قلت معناه محصل مبرز انزال السورة او ان الله مظهر ما
تحذرونه اي تحذرون اظهاره من نفاقكم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب
من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتتح قصور الشام وحصونه هيهات

هيهات فأطلع الله تعالى نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال لئن كنا قعدنا نخوض ونلعب لقد كنا نسير بعض السفر ما كنا في شيء من أمر الدنيا ولا من أمر الآخرة ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا عن بعض السفر فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رحلت ناقته فركبها فجعل يقول يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث ببعض أمر الركب ليقصر بعضنا عن بعض السفر فقال أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم فقد كانوا مؤمنين فيما نرى فتكلم عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول فقال يا رسول الله أنا أرجو أن يكون الذي يطلع الله نبيه على أمره منا أن يكون رأس العصابة فأعفو عنه وأكون أنا وأبي ممن يؤخذ بالعصابة فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول

عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر ابسكنها غير ثلاثة النبيون
والصديقون والشهدا تقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة
وقيل نهر جنانه على حافاته ورضوان من الله اكبر وسمى من رضوان الله اكبر من ذلك
كله لان رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولانهم بنالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته
والكرامة اكبر اصناف الثواب ولان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر
في نفسه مما وراه من النعم وانما تهنا له برضاه كما اذا علم بسخطه تنغصت
عليه ولم يحل لها لذ وان عظمت وسمعت بعض اولى الهمة البعيدة والنفس المرتفعة
من مشاخنا لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي الا شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما
تطمح وتنازع الى رضاه عني وان احشر في زمرة المهديين المرضيين عنه ذلك
اشار الى ما وعد او الى الرضوان اي هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا
وروى ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد
اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء
افضل من ذلك فاحل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا جاهد الكفار بالسيف والمنافقين
بالحجة واغلظ عليهم في الجهاد من جميعا والا نجاهم وكل من وقف منه على فساد في
العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه بجاهد الحجة وتستعمل معه الغلظة ما امكن منها
عن ابن مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم
يستطع فبقلبه برد الكراهة والبغضاء والتبرء منه وقد حمل الحسن جهاد
المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها اقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه
منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله ان كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين
خلفناهم وهم سادتنا واشرافنا ونحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس
اجل والله ان محمدا الصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستحضره وحلف بالله ما قال فرفع عامر يديه فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب
وتكذيب الصادق فنزل يحلفون بالله ما قالوا وقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي
التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وكفر وابعد اسلامهم

واظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله
عليه وسلم وذلك عند مرجعه من تبوك نواثوا خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عن راحلته
الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل واخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها
وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح
فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله وفشلهم المنافقون بقتل عامر لرده
على الجلاس وقيل اراد ان يتوجسوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
نقموا وما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم الله وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة بي ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنايم وفشل
للجلاس مولى فاروة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدينه اثنى عشر الفا فاستغنى فاد ينتوبوا
هي الاذن التي تاب عندها الجلاس في الدنيا والاخرة بالعقل والنار روي ان ثعلبة بن
حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه الصلوة والسلام يا ثعلبة قليل تودي
شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين
كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل
واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا
يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات
فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقراه كتاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم الذي صدق الفرايض فقال ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رايي فلما
رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة
بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على راسه فقال هذا عملك وقد امرتك
فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها وجاء بها الى عمر في خلافته
فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان وقرئ ولنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما من الصالحين
قال ابن عباس يريد الحج فاعقبهم عن الحسن وقتادة ان الضمير للبخل يعني فاورثهم البخل نفاقا
متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وداعيا الله والظاهر ان الضمير لله عز وجل والمعنى فجازاهم
حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من
التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل الخلف في الموعد ثلث النفاق وقرئ يكذبون بالتشديد

وألم تعلموا بالتاء عن علي رضي الله عنه سرهم ونجواهم ما أسروه من النفاق والعزم على إخلاف
ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير
منعها الذين يلمزون محله النصب أو الرفع على الذم ويجوز أن يكون في محل الجر بدلا من الضمير
في سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين المتبرعين روي أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب وقيل
بأربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فأقرضت أربعة وأمسكت أربعة لعيالي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك له حتى
صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين ألفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة
وسق من تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين
فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره على الصدقات
فلمزهم وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع
أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت إلا جهدهم إلا
طاقتهم قرئ بالفتح والضم سخر الله منهم كقوله تعالى يستهزئ بهم في أنه خبر غير دعاء
ألا ترى إلى قوله تعالى ولهم عذاب أليم سأل عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا أن يستغفر لأبيه في مرضه ففعل فنزلت فقال عليه الصلاة
والسلام إن الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم أم
لم تستغفر لهم وقد ذكرنا أن هذا الأمر في معنى الخبر كأنه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت
لهم أم لم تستغفر وإن فيه معنى الشرط وقد ذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الأمر
والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه
لأصبحن العاص وابن العاص سبعين ألفا عاقدي النواصي فإن قلت كيف خفي على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام وتمثيلاته والذي يفهم من ذكر
هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بأنهم كفروا الآية فبين الصارف عن المغفرة
لهم حتى قال قد رخص لي ربي فسأزيد على السبعين قلت لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل
بما قال إظهارا لغاية رحمته ورأفته على من بعث إليه كقول إبراهيم صلوات الله تعالى عليه ومن عصاني
فإنك غفور رحيم وفي إظهار النبي صلى الله عليه وسلم الرحمة والرأفة لطف لأمته ودعاء لهم إلى

ترحم بعضهم على بعض المخلفون الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين فأذن لهم
وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان بمقعدهم بقعودهم
عن العزم خلاف رسول الله خلفه يقال أقام خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراءة
أبي حيوة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو بمعنى المخالفة لأنهم خالفوه حيث قعدوا ونهض
وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أي قعدوا لمخالفته أو مخالفين له أن يجاهدوا بأموالهم تعريض بالمؤمنين
وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا من بذل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله وإيثارهم ذلك
على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الإيمان
وداعي الإيقان قل نار جهنم أشد حرا استجهال لهم لأن من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون
في مشقة الأبد كان أجهل من كل جاهل ولبعضهم مسرة أحقاب تلقيت بعدها مساءة يوم أريها
شبه الصاب فكيف بأن تلقى مسرة ساعة وراء تبعها مساءة أحقاب معناه
فستضحكون قليلا ويبكون كثيرا جزاء إلا أنه أخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتم واجب
لا يكون غيره يروى أن أهل النفاق يبكون في النار لا يرقى لهم دمع ولا يكتحلون بنوم وإنما قال إلى
طائفة منهم لأن عنهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف واعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن
المخلفون كلهم منافقين فأراد بالطائفة المنافقين منهم فاستأذنوك للخروج يعني إلى غزوة
تبوك وأول مرة هي الخرجة إلى غزوة تبوك وكان إسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على
تخلفهم الذي علم الله أنه لم يدعهم إليه إلا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين قد مر تفسيره وقرأ
مالك بن دينار رحمه الله تعالى مع الخلفين على قصر الخالفين فإن قلت مرة نكرة وضعت
المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف إليها وهو دال على واحدة من المرات قلت
أكثر اللغتين هند أكبر النساء وهي أكبرهن ثم إن قولك هي كبرى امرأة لا يكاد يعثر عليه ولكن
هي أكبر امرأة وأول مرة وآخر مرة وعن قتادة ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل
روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس
النفاق عبد الله بن أبي بعث إليه ليأتيه فلما دخل عليه قال أهلكك حب اليهود فقال يا رسول
الله بعثت إليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله أن يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي
عليه فلما مات دعاه ابنه حباب إلى جنازته فسأله عن اسمه فقال أنت عبد الله بن عبد الله
الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلاة عليه قال له عمر أتصلي على عدو الله فنزلت وقيل

اراد ان يصلي عليه فجذبه جبريل عليه السلام فان قلت كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه
في قميصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس عم النبي صلى الله عليه
وسلم لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه
وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا ناذن لمحمد ولكنا ناذن لك فقال لا ان لي في رسول
الله اسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذلك واجابه له الى مسالته اياه
فقد كان عليه الصلوة والسلام لا يرد سايلا وكان يتوفر على دواعي المروة ويعمل بعادات
الكرام واكراما لابنه الصالح فقد روي انه قال له اسالك ان تكفنه في بعض قمصانك وان
تقوم على قبره لا تشمت به الاعداء وعلما بان تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا
فرق بينه وبين غيره من الاكفان وليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد روي انه قيل له لم
لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال ان قميصي لن يغني عنه من الله شيئا واني اؤمل من
الله ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب فيروى انه اسلم الف من الخزرج لما راوه طلب
الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء الى
التراحم والتعاطف لانهم اذا راوه يترحم على من يظهر الايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا
المسلم الى ان يتعطف على من والهاء قلبه لسانه وراه حتما عليه فان قلت فكيف جازت
الصلوة عليه قلت لم يتقدم نهي عن الصلوة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر
ايمانهم لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس ما ادري ما هذه الصلوة الا اني اعلم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يخادع مات صفة لاحد وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على
الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة انهم كفروا تعليل للنهي وقد اعيد
قوله ولا تعجبك لان تجدد النزول له شان في تقرير ما نزل له وتاكيده وارادة ان يكون على ما
نال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وان يعتقد ان العمل به مهم يفتقر الى فضل عناية
به لا سيما اذا تراخى ما بين النزولين فاشبه الشي الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه في اثناء
حديثه ويتخلص اليه وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه يجوز ان يراد السورة
بتمامها وان يراد بعضها في قوله واذا انزلت سورة كما يقع القران والكتاب على كله وعلى
بعضه وقيل هي براة لان فيها الامر بالايمان والجهاد ان امنوا هي ان المفسرة اولوا الطول
ذووا الفضل والسعة من طال عليه طولا مع القاعدين مع الذين لهم علة وعذر في التخلف فهم
لا

لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقا والهلاك لكن الرسول
اي ان تخلف هولاء فقد نهض الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا كقوله فان
يكفر بها هاولاء فقد وكلنا بها قوما فان استكبروا فالذين عند ربك الخيرات يتناول منافع
الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله تعالى فيهن خيرات المعذرون من عذر في الامر
اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له
او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز في العربية كسر العين
لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن لم يثبت بهما قراة وهم الذين يعتذرون بالباطل
كقوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم وقرى المعذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد في
العذر ويحتشد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فايذن لنا
في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا
ومواشينا فقال صلى الله عليه وسلم سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم
الله وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرى المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى
اعتذر وهذا غير صحيح لان التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين
وازكى واصدق وقيل اريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون على قراة
ابن عباس الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم منافقوا الاعراب
الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان وقرا ابي
كذبوا بالتشديد سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة
بالنار الضعفاء الهرمى والزمنى والذين لا يجدون الفقراء فيهم مزينة وجهينة وبنو عذرة
والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل
الموالي الناصح لصاحبه على المحسنين على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح
عليهم ولا طريق للعاتب عليهم قلت حال من الكاف في اتوك وقد قبله مضمرة كما قيل في قوله او جاوكم
حصرت صدورهم اي اذا ما اتوك قايلا لا اجد تولوا ولقد حصر الله المعذورين في التخلف الذين
ليس لهم في ابدانهم استطاعة والذين عدموا الة الخروج والذين سالوا المعونة فلم يجدوها وقيل
المستحملون ابو موسى الاشعري واصحابه وقيل البكاؤون وهم ستة نفر من الانصار تفيض من
الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من تفيض دمعها لان العين جعل كان كلها دمع فايض ومن

للبيان كقولك افديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز الا تجدوا ليلا تجدوا
ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حزنا فان قلت رضوا ما موقعه قلت
هو استيناف كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنيا فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام
في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم يعني ان السبب في استيذانهم رضاهم بالدناءة
وخذلان الله اياهم فان قلت فهل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد استينافا مثله كانه قيل اذا ما
اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين
الشرط والجزاء كالاعتراض قلت نعم ويحسن لمن نومن لكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر
ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب عليه الاخلال به وقوله قد نبانا الله من
اخباركم علة لانتفاء تصديقهم لان الله عز وجل اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم
واحوالهم وما في ضمايرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى
الله عملكم اتنبئون ام تثبتون ثم تردون اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم
على حسب ذلك لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم
انهم رجس تعليل لترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم
ذو البشرة والمومن يوبخ على زلة يفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار واما
هولاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم وماواهم جهنم يعني وكفتهم النار توبيخا وعتابا فلا
تتكلفوا عتابهم لترضوا عنهم اي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم
فان ترضوا عنهم فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة
لعاجل عقوبته واجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضا المومنين يقتضي رضا
الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال
النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي يحلف
ان لا يتخلف عنه ابدا الاعراب البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم
وتوحشهم ونشئتهم في بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة واجدر
ان لا يعلموا واحق بجهل حدود الدين وما انزل الله من الشرايع والاحكام ومنه قوله عليه الصلاة
والسلام ان الجفا والقسوة في الفدادين والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر
حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه وثوابه مغرما غرامة وخسرانا والغرامة

ما

ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء
مرضاته المثوبة عنده ويتربص بكم دوائر الزمان دوله وعقبه ليذهب غلبتكم عليه
فيتخلص من اعطاء الصدقة عليهم دائرة السوء دعاء معترض دعي عليهم بنحو ما دعوا به
كقوله عز وعلا وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب
كما قيل له سيئة والسوء بالفتح وهو ذم للدائرة كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل
صدق لان من دارت عليه ذام لها والله سميع لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة عليم بما
يضمرون وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم قربات مفعول ثان ليتخذوا والمعنى ان ما
ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول لان الرسول كان يدعو للمتصدقين
بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على ال ابي اوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما
ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات الا انها شهادة من الله للمتصدق
بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجايه على طريق الاستيناف
مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما في السين من
تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا
خلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه السابقون
الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل الذين شهدوا بدرا وعن الشعبي
من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين ومن الانصار اهل بيعة العقبة
الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو
زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القران وقراء عمر رضي الله تعالى عنه والانصار بالرفع عطفا على
السابقون وعن عمر انه كان يرى ان قوله والذين اتبعوهم باحسان بغير واو صفة للانصار
حتى قال له زيد انه بالواو فقال ايتوني بابي فقال تصديق ذلك في اول الجمعة واخرين منهم
واول الحشر والذين جاوا من بعدهم واخر الانفال والذين امنوا من بعد وروي انه سمع رجلا يقراوه
بالواو فقال من اقراك قال ابي فدعاه فقال اقرانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لتبيع القرظ
بالبقيع قال صدقت وان شئت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم واوينا وطردتم ومن ثم قال عمر
لقد كنت ارانا رفعنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء وخبره رضي الله عنهم
ومعناه رضي الله تعالى عنهم لاعمالهم ورضوا عنه لما افاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية وفي

مصاحف اهل مكة تجرى من تحتها وهى قراءة ابن كثير وفى سائر المصاحف تحتها بغير من
ومن حولكم يعنى حول بلدتكم وهى المدينة منافقون وهم جهينة واسلم واشجع وغفار
كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على خبر المبتداء الذى هو من حولكم ويجوز
ان يكون جملة معطوفة على المبتداء والخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة قوم مردوا على
النفاق على ان مردوا صفة موصوف محذوف كقوله انا ابن جلا وعلى الوجه الاول لا
يخلو من ان يكون كلاما مبتداء او صفة لمنافقون فصل بينهما وبينه بمعطوف على
خبر مردوا على النفاق تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا دربه
وضرى حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم اى
تخفون عليك مع فطنتك وتهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم فى تحامى ما يشكل
فى امرهم قال نحن نعلمهم اى لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر
فى سويداء قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المومنين لا تشكك معه
فى ايمانهم انهم على النفاق وضروا به فلهم فيه البد الطولى سنعذبهم مرتين قيل هما القتل
وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس انهم اختلفوا فى ما بين المرتين
فعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبنا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج
يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثانى عذاب القبر وعن
الحسن اخذ الزكوة من اموالهم ونهك ابدانهم الى عذاب عظيم الى عذاب النار اعترفوا بذنوبهم
اى لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بئسما فعلوا
منذ ميمين نادمين وكانوا ثلاثة ابو لبابة مروان بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة
بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم اوثقوا انفسهم بلغهم ما نزل فى المتخلفين فايقنوا
بالهلاك فاوثقوا انفسهم فى سوارى المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد
فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فراهم موثقين فسال عنهم فذكر له انهم
اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله هو الذى يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم
حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا
عنك بتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من اموالهم
عملا صالحا خروجا الى الجهاد واخر سيئا تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبى التوبة

والاثم

والاثم فان قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به قلت كل واحد منهما مخلوط
ومخلوط به لان المعنى خلط كل واحد منهما بالاخر كقولك خلطت الماء واللبن او بدا خلطت كل واحد
منهما بصاحبه وفيه ما ليس فى قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا
به واذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن
بالماء ويجوز ان يكون من قولهم نعت الشاء شاة ودرهما يعنى بشاة بدرهم فان قلت كيف قيل
ان يبوت عليهم وما ذكرت توبتهم قلت اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة وقد
ذكرت توبتهم تطهرهم صفة لصدقة وقوى تطهرهم من اطهر بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا
للامر ولم يقرا وتزكيهم الا باثبات الياء والتاء فى تطهرهم للخطاب ولغيبة المونث
والتزكية مبالغة فى التطهير وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة فى المال وصل عليهم واعطف
عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها وعن السيد
رضى الله تعالى عنه احب ان يقول الوالى عند اخذ الصدقة اجرك الله فيما اعطيت وجعله
لك طهورا وبارك لك فيما ابقيت وقوى ان صلاتك على الموحد سكن لهم يسكنون اليه وتطمين قلوبهم
بان الله قد تاب عليهم والله سميع سمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم بما فى ضمايرهم من الندم والغم
لما فرط منهم قرئ الم يعلموا بالياء والتاء وجهان احدهما ان يراد التوب عليهم يعنى
الم يعلموا قبل ان ياتيهم علمه ويقبل صدقاتهم ان الله هو يقبل التوبة اذا صحت ويقبل
الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتاكيد وان الله من شانه قبول توبة
التائبين وصل معنى التخصيص فى هو ان ذلك ليس الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما الله هو الذى
يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه وقل لهما ولاء التائبين اعملوا فان عملكم لا
يخفى خيرا كان او شرا على الله وعباده كما رايتم وتبين لكم والثانى ان يراد غير التائبين ترغيبا
لهم فى التوبة فعدد روى انهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هم اولاء الذين تابوا كانوا ابا لامس
معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فان قلت فما معنى قوله وياخذ الصدقات قلت هو مجاز
عن قبوله لها وعن ابن مسعود ان الصدقة تقع فى يد الله قبل ان تقع فى يد المسائل والمعنى انه
يتقبلها ويضاعف عليها وقوله فسيرى الله عمله وكذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة
قرئ مرجون ومرجاون من ارجيته وارجاته اذا اخرته ومنه المرجئة واخرون
من المتخلفين موقوف امرهم اما يعذبهم ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان

بعنى

تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا تسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه
من شدة انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم توضوا
امرهم الى الله واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله والله عليم حكيم وفي قوله
عبد الله والله غفور رحيم وأما للعباد اي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة في
مصاحف اهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو لانها قصة على حيالها وفي
سايرها بالواو عطف قصة مسجد الضرار الذي احدثه المنافقون على ساير
قصصهم روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام
ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق
وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ما اجد قومك يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله
الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا
بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر واتي بجنوده واخرج محمدا واصحابه
من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا
لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه
وتدعو لنا بالبركة فقال اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا
فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه قد علم بما لكم بن الدخشم
ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة وقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد
الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وأمر ان تتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف
والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين ضرارا مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد
قبا ومعارضة وكفرا وتقوية للمنافق وتفريقا بين المؤمنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين
في مسجد قبا فيغتصهم فاراد ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا واعدادا
لاجل من حارب الله ورسوله وهو ابو عامر لعدوه ليصلي فيه ويظهر على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى اتخاذ

وجه

وجه الله او مال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق انه لم يدرك الصلوة في
مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلي
فيه فانه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار او رياء او سمعة فان اصله ينتهي الى
المسجد الذي بني ضرارا وعن عطا لما فتح الله الامصار على عمر رضي الله عنه امر المسلمين
ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه فان قلت
والذين اتخذوا ما محله من الاعراب قلت محله النصب على الاختصاص كقوله تعالى
والمقيمين الصلوة وقيل هو مبتدا خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا
كقوله تعالى والسارق والسارقة فان قلت ثم تتصل قوله من قبل قلت باتخذوا اي
اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق مولاه بالتخلف ان اردنا ببنائه هذا المسجد الا
الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين
لمسجد اسس على التقوى قيل هو مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى
فيه اياما مقامه بقبا وهو يوم الاثنين والثلاثا والاربعا والخميس وخرج يوم الجمعة
وهو اولى لان الموازنة بين مسجدي قبا اوثق وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة وعن ابي سعيد الخدري سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي
اسس على التقوى فاخذ حصا وضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة
من اول يوم صلوا اول يوم من ايام وجوده فيه رجال يحبون ان يتطهروا فلما نزلت مشى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال
امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه
الصلوة والسلام اترضون بالقضا قالوا نعم قال اتشكرون في الرخا قالوا نعم قال عليه الصلوة
والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما
الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغايط فقالوا يا رسول الله نتبع الغايط الاحجار الثلاثة
ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا وروي ان يطهروا
بالادغام وقيل هو عام في التطهر من النجاسات كلها وقيل كانوا لا يستنجون الا بالماء
ويتبعون الماء اثر البول وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى
المكفرة لذنوبهم محموا عن آخرهم فان قلت ما معنى المحبتين قلت محبتهم للتطهر انهم يوثرونه ويحرصون

قال المصنفون على البلة قالوا نعم م

عليه حرص المحب للشيء المشتهي له على ايثاره ومحبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل
المحب بمحبوبه قرئ أسس بنيانه وأسّس بنيانه على البنا للفاعل والمفعول وأسس بنيانه
جمع اساس على الاضافة واساس بنيانه بالفتح وبالكسر جمع أسّ وأساس بنيانه على افعال جمع
أسّ ايضا وأسّ بنيانه والمعنى افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي
هو تقوى الله ورضوانه خير أمّن اسّسه على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها
بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك ووضع
شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى **فان قلت** فما معنى قوله فانهار
به في نار جهنم **قلت** لما جعل الجرف الهار مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى
فطاح به الباطل في نار جهنم الا انه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو الجرف وليصور ان الباطل
كانه أسّس بنيانا على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا
الحرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي تحفر اصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا
والهار الهاير وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل
كخلف من خالف ونظيره شاك وصات في شايك وصايت والفه ليست بالف فاعل انما
هي عينه واصله هور وشوك وصوت ولا يرى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل
وكنه امره وقرئ جرف بسكون الراء **فان قلت** فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على
تقوى من الله بالتنوين **قلت** قد جعل الالف للالحاق لا للتانيث كتترى فيمن نون الحقها
بجعفر وفي مصحف ابي فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار
فرئي الدخان يخرج منه وروي ان مجمع بن حارثة كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو
عمرو بن عوف اصحاب مسجد قبا عمر بن الخطاب في خلافته ان ياذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم
فقال لا ولا نعمة عين اليس بامام مسجد الضرار فقال يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله
لقد صليت بهم والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما
قاريا للقران وكانوا شيوخا لا يقرؤن من القران شيئا فعذره وصدقه وامره بالصلاة
بقومه ريبة شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وانما حملهم على بناء ذلك المسجد
كفرهم ونفاقهم كما قال عز وجل ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا
لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا للاسلام فمعنى قوله تعالى لا يزال بنيانهم

الذي

الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زايد على شكهم ونفاقهم لا يزول
وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل اثره الا ان تقطع قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء فحينئذ يسلون عنه
والا ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز ان يكون ذكر التقطيع
تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كاين منه بقتلهم او في
القبور او في النار وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التاء بمعنى تنقطع قلوبهم
على ان الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم اي الا ان تقطع انت قلوبهم بقتلهم وقرا الحسن
الى ان وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول
او كل مخاطب وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تنقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم
مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم في سبيل الله بالشرى وروي تاجرهم
فاغلى لهم الثمن وعن عمر رضي الله تعالى عنه فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن انفسا هو
خلقها واموالا هو رزقها وروي ان الانصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة
اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط
لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا
ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقراها فقال
كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد
يقاتلون فيه معنى الامر كقوله تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وقرئ فيقتلون
ويقتلون على البناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس وعدا مصدر مؤكد واخبر
بان هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد اثبته في التوراة والانجيل
كما اثبته في القران ثم قال ومن اوفى بعهده من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام
من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا
في الجهاد احسن منه وابلغ التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين ويدل
عليه قراءة عبد الله وابي رضي الله تعالى عنهما التائبين بالياء الى والحافظين نصبا على المدح ويجوز ان
يكون جرا صفة للمؤمنين وجوز الزجاج ان يكون مبتدا خبره محذوف اي التائبون العابدون من
اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير في
يقاتلون ويجوز ان يكون مبتدا وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة

الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤوا من النفاق والعابدون
الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا عليها والسائحون الصائمون شبهوا بذوي
السياحة في الارض في امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض يطلبونه
في مظانه قيل قال لعمه ابي طالب انت اعظم الناس علي حقا واحسنهم عندي يدا فقل كلمة
تجب لك بها شفاعتي فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة
سال اي ابويه احدث به عهدا فقيل امك امنة فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا فقال
اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي فنزلت
وهذا اصح لان موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر لابيه
وقيل قال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لابائنا وذوي قرابتنا وقد استغفر ابراهيم عليه
الصلاة والسلام لابيه وهذا محمد صلى الله عليه وسلم لعمه ما كان للنبي ما صح له الاستغفار في
حكم الله وحكمته من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك قراءة طلحة وما استغفر
ابراهيم لابيه وعنه وما يستغفر ابراهيم على حكاية الحال الماضية الا عن موعدة وعدها
اياه اي وعدها ابراهيم اياه وهو قوله لاستغفرن لك ويدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية
وعدها اياه فان قلت كيف خفي على ابراهيم عليه الصلوة والسلام ان الاستغفار للكافر غير
جائز حتى وعده قلت يجوز ان يظن انه ما دام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على ان
امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحي لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر الا ترى
الى قوله عليه الصلوة والسلام لعمه لاستغفرن لك ما لم انه وعن الحسن قيل لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ان فلانا يستغفر لابائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن علي رضي الله
تعالى عنه رايت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له فقال اليس قد استغفر ابراهيم
فان قلت فما معنى قوله فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه قلت معناه فلما تبين له من جهة
الوحي انه لن يؤمن وانه كافر وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين
لهم انهم اصحاب الجحيم اواه فعال من اوه كلال من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التاوه ومعناه انه لفرط
رحمته ورافته وحلمه كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه
وقوله لارجمنك يعني ما امر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين انه
محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا اقدموا

عليه

عليه بعد بيان خطره عليهم وعلمهم بانه واجب الاتقاء والاجتناب واما قبل العلم والبيان
فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان
لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وفي هذه الاية شديدة ما
ينبغي ان يغفل عنها وهي ان المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض محظورات الله داخل في حكم الاضلال
والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة
فغير موقوف على التوقيف تاب الله على النبي كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار
حتى النبي والمهاجرين والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وان صفة التوابين الاوابين
صفة الانبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه من اذنه للمنافقين
في التخلف عنه كقوله عفى الله عنك في ساعة العسرة في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان
المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم غداة طفت علما بكر بن وائل عشية قارعنا جذام
وحميرا ٥ اذا جاء يوما وارثي يبتغي الغنى والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من
الظهر تعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر والشعير المسوس
والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها
الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة
القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان
او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير الشان وشبهه سيبويه بقولهم
ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد
المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة وامثاله ثم تاب عليهم تكرار للتوكيد ويجوز ان يكون الضمير للفريق
تاب عليهم لكيدودتهم الثلاثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية ومعنى خلفوا
خلفوا عن الغزو وقيل عن ابي لبابة واصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا اي خلفوا
الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقراءة جعفر الصادق رضي الله تعالى
عنه خالفوا وقراءة الاعمش وعلى الثلاثة المخلفين بما رحبت برحبها اي مع سعتها وهو مثل
للحيرة في امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم وضاقت عليهم انفسهم اي
قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لانها حرجت من فرط الوحشة والغم وظنوا وعلموا ان لا ملجا

من سخط الله الا الى استغفاره ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى
ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا او ليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما
منهم ان الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن بلغني انه كان لاحدهم
حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار تمرك اذهب
فانت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما ابطأ بي ولا خلفني الا الضن بك
لا جرم والله لاكابدن المفاوز حتى الحق برسول الله فركب ولحق به ولم يكن لآخر الا نفسه لا
اهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب الحياة لك والله لاكابدن الشدائد حتى الحق
برسول الله فتأبط رداءه ولحق به قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه
لا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما راى سواده كن ابا ذر فقال
الناس هو ذلك فقال رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن ابي
خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت
اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء
ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه
ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه
السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم
من بقي لم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد
علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه
والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة
فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل
نساءنا ولا نقربهن فلما مضت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن
مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم
انفسهم وتتابعت البشارة وانطلقت الى رسول الله فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون
فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول الي حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها

لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير
يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الآية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة
النصوح ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك
وصاحبيه مع الصادقين وقرئ من الصادقين وهم الذين صدقوا في دين الله نية
وقولا وعملا والذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على الطاعة من قوله رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل هم الثلاثة اي كونوا مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم وعن
ابن عباس الخطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار ووافقوهم
وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن
ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه
ثم لا ينجزه اقروا ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة ولا يرغبوا بانفسهم عن
نفسه امروا بان يصحبوه على البأساء والضراء ويكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط
واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس عند الله واكرمها
عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الانفس ان تتهافت
فيما تعرضت له ولا يكترث لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم واهونه
فضلا ان يربأوا بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه
عليه ويهيج لمتابعته بانفة وحمية ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم ان يتخلفوا
من وجوب متابعته كانه قيل ذلك الوجوب بسبب انه لا يصيبهم شيء من عطش ولا تعب
ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف
رواحلهم وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون
من عدو نيلا ولا يرزؤونهم شيئا بقتل او اسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك الا كتب
لهم به عمل صالح واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المتابعة
ويجوز ان يراد بالوطء الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام والحوافر لقوله عليه الصلوة والسلام
آخر وطيئة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ
الكفار يغيظهم وطؤه والنيل ايضا يجوز ان يكون مصدرا موكدا وان يكون بمعنى النيل ويقال
نال منه اذا رزاه ونقصه وهو عام في كل ما يسوؤهم وينكيهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على

كانه

ان من قصد خيرا سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر
وبهذه الاية استشهد اصحاب ابي حنيفة رحمه الله ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك
الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد اسهم النبي صلى الله عليه وسلم
لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه المهاجرين
ابي امية وزياد بن ابي لبيد بعكرمة بن ابي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعدما فتحوا فاسهم لهم
وعند الشافعي لا يشارك المدد الغانمين وقرا عبد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماءة
ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي
الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منعرج
بين جبال واكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودي
وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي غيرك الا كتب لهم ذلك الانفاق
وقطع الوادي ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله ليجزيهم متعلق بكتب اي اثبت في
صحايفهم لاجل الجزاء اللام لتاكيد النفي ومعناه ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير
صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم يود الى مفسدة لوجب لوجوب النفقة على الكافة
ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فلولا نفر فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة
فهلا نفر من كل فرقة طائفة اي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير
ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها
ولينذروا قومهم وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة
لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر
والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومدبسة بعضهم
بعضا وفشو داء الضرار بينهم وانقلاب حماليق احدهم اذا لمح ببصره مدرسة لاخر او
شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطاء العقب دون الناس كلهم فما ابعدها ولاء
من قوله عز وجل لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا الله
فيعملوا عملا صالحا ووجه آخر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة
تبوك وبعدما انزل في المتخلفين من الايات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير
وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة

الى الجهاد فيبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال
بالحجة اعظم اثرا من الجلاد بالسيف وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطوائف
النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما
حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه يلونكم
يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره
وانذر عشيرتك الاقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم
غزا الشام وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون الشام
والشام اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم ما
لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنه انه سال عن قتال الديلم فقال عليك
بالروم وقرئ غلظة بالحركات الثلاث فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة
كالسخطة ونحوه اغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجراة والصبر على القتال وشدة العداوة
والعنف في القتل والاسر ومنه ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله مع المتقين ينصر من اتقاه
فلم يترأف على عدوه فمنهم من يقول فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا
انكارا واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وايكم
مرفوع بالابتداء وقرأ عبيد بن عمير ايكم بالفتح على اضمار فعل يفسره زادته تقديره ايكم زادت زادته
هذه ايمانا فزادتهم ايمانا لانها ازيد للتيقن والثبات واثلج للصدر او فزادتهم عملا فان زيادة
العمل زيادة في الايمان لان الايمان يقع على الاعتقاد والعمل فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما
الى كفرهم لانهم كلما جددوا بتجديد الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عذابهم قرئ
اولا يرون بالياء والتاء يفتنون يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لا يتنبهون ولا
يتوبون من نفاقهم ولا يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في امرهم او يبتلون بالجهاد مع النبي
صلى الله عليه وسلم ويعاينون امره وما ينزل عليه من نصرته وتاييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون
وينقضون العهود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون نظر بعضهم الى
بعض يغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لننصرف فانا
لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج
والانسلال لو اذا يقولون هل يراكم من احد وقيل معناه واذا انزلت سورة في عيب المنافقين صرف الله قلوبهم
دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان من الانشراح بانهم سبب انهم قوم لا يفقهون لا

يتبدرون حتى يفقهوا من انفسكم من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة
والمناسبة من المنايح بقوله عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم
ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم حتى لا يخرج
احد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم
وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم وافضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعائشة
رضي الله تعالى عنهما وقيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله
رؤف رحيم فان تولوا فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك
معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم وقرئ العظيم بالرفع وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه العرش
لا يقدر احد قدره وعن ابي بن كعب رضي الله تعالى عنه آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل على القرآن الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو
الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة **سورة يونس مكية**
وهي مائة وتسع آيات بسم الله الرحمن الرحيم الر تعديد للحروف على طريق التحدي
وتلك آيات الكتاب اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة والحكيم ذو
الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها او وصف بصفة محدثه قال الاعشى
وغريبة تاتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه وان
اوحينا اسم كان وعجبا خبره وقرا ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وان اوحينا خبر
وهو معرفة كقوله يكون مزاجها عسل وماء والاجود ان يكون تامة وان اوحينا بدلا من
عجب **فان قلت** فما معنى اللام في قوله اكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك
اكان عند الناس عجبا **قلت** معناه انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما
يوجهون نحو استهزائهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه
ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون
العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنار
ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا
الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء
ملكا رسولا وارسال الفقير او اليتيم ليس بعجب ايضا لان الله انما يختار من استحق الاختيار
لجمعه اسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا من تلك

سورة يونس

ليس

الاسباب في شيء وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر
هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء ان انذر
الناس ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز ان يكون المخففة من الثقيلة واصله
انه انذر الناس وان لهم الباء معه محذوف قدم صدق عند ربهم اي سابقة وفضلا ومنزلة
رفيعة **فان قلت** لم سميت السابقة قدما **قلت** لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة
الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل
لفلان قدم في الخير واضافته الى صدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة وقيل
مقام صدق ان هذا ان هذا الكتاب وما جاء به محمد لسحر ومن قرأ لساحر فهذا اشارة الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا وفي
قراءة ابي ما هذا الا سحر يدبر يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب
الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يلفى ما يكره اخرا والامر امر الخلق كله وامر ملكوت
السموات والارض والعرش **فان قلت** ما موقع هذه الجملة **قلت** قد دل بالجملة قبلها على عظمة شانه
وملكه بخلق السموات والارض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش
واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه
وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم
الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن الرحمن وذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم
الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذي يستحق العبادة منكم فاعبدوه وحده ولا تشركوا به بعض
خلقه من ملك او انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع افلا تذكرون فان ادنى التفكر والنظر
ينبهكم على الخطا فيما انتم عليه اليه مرجعكم جميعا اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه
وعد الله مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم وحقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله انه يبدؤ الخلق ثم يعيده
استيناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو
جزاء المكلفين على اعمالهم وقرئ انه يبدو الخلق بمعنى لانه او هو منصوب بالفعل الذي نصب وعد
الله اي وعد الله وعدا بدأ الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق تعديد به وقرئ وعد الله على لفظ
الفعل ويبدي من ابدأ ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدؤ الخلق لقوله احقا عباد
الله ان لست جائيا ولا ذاهبا الا علي رقيب وقرئ حق انه يبدأ الخلق كقولك حق انه زيد منطلق

بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم أو بقسطهم
وبما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا صالحا لأن الشرك ظلم قال الله تعالى إن الشرك
لظلم عظيم والعصاة ظلام أنفسهم وهذا أوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون الياء في ضياء
منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما ألف على القلب بتقديم اللام
على العين كما قيل فمن عاق عقا والضياء أقوى من النور وقدره وقدر القمر والمعنى وقدر
مسيره منازل أو قدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل والحساب حساب الأوقات
من الأشهر والأيام والليالي ذلك إشارة إلى المذكور أي ما خلقه إلا ملتبسا الذي هو الحكمة البالغة
ولم يخلقه عبثا وقرئ يفصل بالياء خص المتقين لأنهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر
إلى النظر والتدبر لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه أصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية
عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق أو لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله
السعداء ولا يخافون سوء لقائنا الذي يجب أن يخاف ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة
وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي كقوله أرضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة واطمأنوا بها
وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا وأملوا بعيدا يهديهم ربهم بإيمانهم يسددهم
بسبب إيمانهم للاستقامة على السلوك السبيل المؤدي إلى الثواب ولذلك جعل تجري من
تحتهم الأنهار بيانا له وتفسيرا لأن التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها ويجوز أن يريد
يهديهم في الآخرة بنور إيمانهم إلى طريق الجنة كقوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم
بين أيديهم وبأيمانهم ومنه الحديث إن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة
فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا إلى الجنة والكافر إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة
سيئة فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار فإن قلت فلقد دلت هذه الآية على
أن الإيمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيمة هو إيمان مقيد وهو الإيمان
المقرون المقرون بالعمل الصالح والإيمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور
قلت الأمر كذلك ألا ترى كيف أوقع الصلة مجموعا فيها بين الإيمان والعمل الصالح ثم قال بإيمانهم أي
بإيمانهم هذا المضموم إليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه دعواهم دعاؤهم لأن اللهم
نداء لله ومعناه اللهم إنا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم إياك نعبد ولك نصلي
ونسجد ويجوز أن يراد بالدعاء العبادة وأعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى أن لا تكليف

في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم إلا أن يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة إنما يلهمونه فينطقون
تلذذا بلا كلفة كقوله وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية وآخر دعواهم وخاتمة
دعواهم الذي هو التسبيح أن يقولوا الحمد لله رب العالمين ومعنى تحيتهم فيها سلام أن بعضهم يحيي
بعضهم بالسلام وقيل هي تحية الملائكة إياهم إضافة للمصدر إلى المفعول وقيل تحية الله لهم
وأن هي المخففة من الثقيلة وأصله وأنه الحمد لله على أن الضمير للشأن كقوله إن هالك كل من
يحفى وينتعل وقرئ أن الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد لله ولو يعجل الله للناس الشر
تعجيله لهم الخير إشعارا بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبتهم حتى كان استعجالهم بالخير
تعجيل له والمراد أهل مكة وقوله تعالى فأمطر علينا حجارة من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي
دعوا به كما نعجل لهم الخير وتحبيبهم إليه لقضي إليهم أجلهم لأميتوا وأهلكوا وقرئ لقضي إليهم أجلهم
على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وينصره قراءة عبد الله لقضينا إليهم أجلهم فإن قلت فكيف
اتصل به قوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا وما معناه قلت قوله ولو يعجل الله متضمن معنى
نفي التعجيل كأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي إليهم أجلهم فنذرهم في طغيانهم أي فنمهلهم
ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم إلزاما للحجة عليهم لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين
عليه أي دعانا مضطجعا أو قاعدا أو قائما فإن قلت فما فائدة ذكر هذه الأحوال قلت معناه
أن المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها
كان منبطحا عاجزا لينهض متخاذل القوى أو كان قاعدا لا يقدر على القيام أو كان قائما لا يطيق
المشي والمضطرب إلى أن يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز أن
يراد أن من المضرورين من هو أشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو أخف وهو القادر على القعود
ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لأن الإنسان للجنس مر
أي مضى على طريقته الأولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد أو مر عن موقف الابتهال والتضرع لا
يرجع إليه كأنه لا عهد له به كأن لم يدعنا كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن قال
كأن ثدياه حقان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين زين الشيطان بوسوسته أو الله عز
وجل بخذلانه وتخليته ما كانوا يعملون من الإعراض عن الذكر واتباع الشهوات لما ظرف لأهلكنا
والواو في وجاءتهم للحال أي وظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي
المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا يجوز أن يكون عطفا على ظلموا وأن يكون اعتراضا واللام لتأكيد النفي

يعني وما كانوا يؤمنون حقا تأكيدا لنفي ايمانهم وان الله قد علم انهم يصرون على كفرهم وان الايمان
مستبعد منهم والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة في ايمانهم
بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك نجزي كل مجرم وهو وعيد
لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ يجزي بالياء ثم جعلناكم الخطاب
للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم اي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكنا لننظر
اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف في محل النصب ستعملون لا ينظر لان
معنى الاستفهام فيه يحجب ان يتقدم عليه عامله فان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه
معنى المقابلة قلت هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر
وعيان المعاين في تحققه غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين
فقالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان آية
عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الالهة وذم عبادتها فامر بان يجيب عن التبديل لانه داخل
تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما انزل وان يسقط ذكر
الالهة واما الاتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للانسان ما يكون لي ما ينبغي لي وما يحل
كقوله تعالى ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وقرئ بفتح
التاء من غير ان يأمرني بذلك ربي ان اتبع الا ما يوحى الي لا آتي ولا ادر شيئا من نحو ذلك الا
متبعا لوحي الله واوامره ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل
وليس الى تبديل ولا نسخ اني اخاف ان عصيت ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم
عظيم فان قلت اما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا
قلت بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون
افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمونه قادرا عليه وعلى مثله مع علمهم بان العرب
مع كثرة فصاحتها وبلاغتها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجز فان قلت لعلهم ارادوا
ائت بقرآن غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقرآن من جهته واراد بقوله ما يكون لي
ما يتسهل لي وما يمكنني ان ابدله قلت يرده قوله اني اخاف ان عصيت ربي فان قلت فما كان
غرضهم وهم ادهى الناس وانكرهم في هذا الاقتراح قلت الكيد والمكر اما اقتراح ابدال قرآن
بقرآن ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل

والتغيير

والتغيير فللطمع والاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا منه
واما ان لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله
لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله واحداثه امرا عجيبا خارجا عن
العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا
نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور
ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع واخبار بما كان وما يكون ناطقا بالغيوب
التي لا يعلمها الا الله تعالى وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى
عليكم شيء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد من اقرب الناس منه والصقهم
به ولا ادراكم ولا اعلمكم به على لساني وقرأ الحسن ولا ادرأتكم به على لغة من يقول اعطأته
وارضأته في معنى اعطيته وارضيته وتعضده قراءة ابن عباس ولا انذرتكم به ورواه
الفراء ولا ادرأتكم به بالهمز وفيه وجهان احدهما ان تقلب الالف همزة كما قيل لبأت
بالحج ورثأت الميت وذلك ان الالف والهمزة من واد واحد الا ترى ان الالف اذا مستها
الحركة انقلبت همزة والثاني ان يكون من درأته اذا دفعته وادرأته اذا جعلته داريا
والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصما تدرؤنني بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير ولأدراكم
به بلام الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا علمكم به على لسان
غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة ورآني لها اهلا دون سائر
الناس فقد لبثت فيكم عمرا وقرئ عمرا بالسكون يعني فقد اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني
متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه
افلا تعقلون فتعلموا انه ليس الا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن
غير هذا من اضافة الافتراء اليه ممن افترى على الله كذبا يحتمل افتراء المشركين على الله في قولهم انه
ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا مما اضافوه اليه من الافتراء ما لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان
التي هي جماد لا تقدر على نفع ولا ضر وقيل ان عبدوها لم تنفعهم وان تركوا عبادتها لم يضرهم ومن
حق المعبود ان يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان اهل الطائف يعبدون اللات
واهل مكة العزى ومناة وهبل واسافا ونائلة وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن
النضر بن الحارث اذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى اتنبئون الله بما لا يعلم اتخبرونه

بكونهم شفعاءنا ومو إنباء بما ليس بمعلوم سرا اذا لم يكن معلوما له ومو العالم الذات بجميع المعلومات لم يكن شيئا لان الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس لم مخبر عنه
فان قلت كيف ابناه الله بذلك قلت مو تهكم بهم ومما ادعوه من المحال الذي مو شفاعة الاصنام واعلام بان الذي ابناوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكانهم بخبرونه بشيء لا متعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرئ أتنبئون بالتخفيف وقوله في السموات ولا في الارض تاكيد لنفيه لان عالم يوجد فيهما فهو منتف معدوم يشركون قرئ بالياء والتاء وما موصولة او مصدرية اي عن الشركاء الذين يشركونهم به او عن اشراكهم وما كان الناس الا أمة واحدة حنفا متفقين على ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عصر آدم الى ان قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان فان حيوانا لم يذر الله من الكافرين دياراً ولولا كلمة سبقت من ربك وهو باخير الحكم بينهم الى يوم القيامة لقضي بينهم عاجلا فيما اختلفوا فيه وتميز المحق من المبطل وسبقت كلمته بالتاخير لحكمة اوجبت ان تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه اراد بها آية من الايات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما انزل عليه من الايات العظام المكاثر التي لم ينزل على احد من الانبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده اية باقية على وجه الدهر بلغة غريبة في الايات وتفقه المشككون من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكانه لم تنزل عليه اية قط حتى قالوا لولا أنزل عليه اية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتمادهم في التمرد وانهماكهم في الغي فقل انما الغيب لله اي هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا لأحد به يعني ان الصارف عن انزال الايات المقترحة امر مغيب لا يعلمه الا هو فانتظروا نزولها انا معكم من المنتظرين لما نفعل لكم بعنادكم وتحدوكم الايات سلط الله القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في ايات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه واذا الاولى للشرط والاخرة جوابها وهي للمفاجاة والمكر اخفاء الكيد وطيته من الجارية المكون المطوية الخلق ومعنى مسهم طائف منهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم فان قلت ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله اسرع مكرا قلت بلى دلت

على ذلك المفاجاة كانه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجاوا وتوغ المكر منهم وبادروا اليه قبل ان نغسلوا رويهم من بلل الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى ان الله تعالى دبر عقابهم وهو موقعه بكم متى ان يدبروا وكيف تعملون في اطفاء نور الاسلام ان ارسلنا مكتبون اعلام بان ما يطوونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ تمكرون بالتاء والنون وقتل مكرهم قولهم سقينا بنوكزا وعن ابي هريرة ان الله ليصبح اليوم بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طايفة منهم بها كافرون يقولون مطرنا بنوكزا فتراءى بنابت فيشركهم وهو مثله قوله تعالى فانتشروا في الارض اذا انتم بشر تنتشرون فان قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير والتسيير في البحر انما هو بالكون في الفلك قلت لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعاء بالنجاة فان قلت ما جواب اذا قلت جاءتها فان قلت فدعوا قلت بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به فان قلت ما بال ردّ صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح فان قلت ما وجه قراءة ام الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسب قلت مثل همار ايدان كما في الحارجي والاحمري ويجوز ان يراد به الجي والمراد الغمر الذي لا يجري الفلك الا فيه والضمير في جرين للفلك لانه جمع فلك كالاسد في نعل أخي نعل وفي قراءة ام الدرداء للفلك ايضا لان الفلكي يدل على جانبها جاءتها الريح الطيبة اي ملقتها وقتل الضمير للفلك من كل مكان من جميع امكنة الموج أحيط بهم جعل احاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك مخلصين له الدين من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ غيره معه لين انجيتنا على ارادة القول او لأن دعوا من جملة القول يقولون في الارض يفسدون فيها ويعتدون متراكمين في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى وهو ايستيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما تفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة فتزى متاع الحيوة الدنيا بالنصب فان قلت ما الفرق بين القراءتين قلت اذا رفعت كان المتاع خبرا للمبتدإ الذي هو بغيكم وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على انفسكم والدين جنسهم جنسكم يعني ان بغي بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا يتخطاها واذا نصبت فعلى انفسكم خبر غير صلة معناه انما بغيكم وبال

الحمد لله

على انفسكم ومتاع الدنيا فى موضع المصدر المؤكد كانه قيل يتمتعون متاع الحياة الدنيا وجوز
ان يكون الوقع على هو متاع الحيوة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكروا
ولا تغن ماكرا ولا تبع ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه الصلاة
والسلام اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغى واليمين الفاجرة
وروى شتان بعجلها الله فى الدنيا البغى وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله
تعالى عنه لو بغى جبل على جبل لدك الباغى وكان المامون رحمه الله تعالى يتمثل بهذين
البيتين فى اخيه يا صاحب البغى ان البغى مصرعة وان مع التوبة مخبر فعال المرء اعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل لاندك منه اعاليه واسفله وعن محمد بن كعب ثلاث
من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم هذا
من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض تعيمها
بعد الاقبال بحال نبات الارض فى جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف
وزين الارض بخضرته ورفيفه فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه
بعضا اخذت الارض زخرفها وازينت كلام فصيح جعلت الارض اخذة زخرفها
على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت
بغيرها من الوان الزين واصل ازينت تزينت فادغم وبالاصل قراءة عبد الله وقرئ
وازينت على افعلت من اعلال الفعل كاعيلت اى صارت ذات زينة وازيانت
بوزن ابياضت قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون
لغلتها آتاها امرنا وهو ضرب من زرعها بعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم
فجعلناه زرعها حصيدا استعير لما حصد من الزرع فى قطعه واستيصاله كان لم
تغن كان لم يغن زرعها اى لم يلبث على حذف المضاف فى هذه المواضع لابد منه والا لم
يستقم المعنى وقرا الحسن كان لم يغن بالياء على ان الضمير للمضاف المحذوف الذى
هو الزرع وعن مروان انه قرأ على المنبر كان لم تتغن بالامس من قول الاعشى
طويل التواطويل التغنى والامس مثل فى الوقت القريب كانه قيل كان لم تغن انفا دار السلام
الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة لان اهلها سالمون من كل مكروه
وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملايكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما وكهدى يوفوهم الذى

علم ان اللطف بجد بها عليهم لان مشيئته تابعة لحكمته ومقتاه يدعوا العباد كلهم الى دار السلام
ولا يدخلها الا المرضيون الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة وهى التفضل
ويدل عليه قوله ومزيدهم من فضله وعن على رضى الله تعالى عنه الزيادة غرفة من لولوة وعن ابن
عباس الحسنى الجنة والزيادة عشر امثالها وعن الحسن عشر امثالها امثالها الى سبع مايه
ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان يمر
السحابة باهل الجنة فيقولون ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيا الا امطرتهم وزعمت
المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجه الله وجاء بذلك حديث مرفوع اذا دخل اهل
الجنة الجنة نودوا ان يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون الله فوالله ما اعطاهم الله
شيا هو احب اليهم منه لا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر
هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار اذكارا ما يتنقد بهم منه برحمته الاترى
الى قوله تعالى ترهقها قترة وترهقهم ذلة فان قلت ما وجه قوله تعالى والذين كسبوا السيات
جزاء سيئة بمثلها وكف سلام قلت لا يخلوا اما ان يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله
تعالى للذين احسنوا كانه قيل للذين كسبوا السيات جزاء سيئة بمثلها واما ان يقدر
وجزاء الذين كسبوا السيات جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم ان يجازى سيئة واحدة
بسيئة مثلها لا تزاد عليها وهذا اوجه من الاول لان فى الاول عطفا على عاملين وان كان
الاخفش يجيزه وفى هذا دليل على ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على
السيئة على عدله ودل بذكر اثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم ذلة بالياء لان
من عاصم انما يعصمهم احد من سخط الله وعذابه وبجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما
يكون للمومنين مظلما حال من الليل ومن قرا قطعا بالسكون من قوله بقطع من الليل جعله صفة له وبعضد
قراة ابى بن كعب كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم فان قلت اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما
العامل قلت لا يخلوا اما ان يكون اعنى اغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله تعالى قطعا فكان
اضافه الى الموصوف كاضافه الى الصفة واما ان يكون معنى الفعل فى من الليل مكانكم الزموا مكانكم
لا تبرحوا حتى ننظروا ما يفعل بكم وانتم اكد به الضمير فى مكانكم ليسد مسد قوله الزموا وشركاؤكم
عطف عليه وقرى وشركاءكم على الواو بمعنى مع والعامل فيه ما فى مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم وفرقنا
افرادهم والوصل التى كانت بينهم فى الدنيا او فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم فى الموقف وتبرؤ شركايهم منهم ومن

صح بالقاف عنده اى مرفوع مقترن والباقى عنه
اهل التقوى الكفوع عما اضيف الى الرسول
النقاوى الكفوع عما اضيف الى الرسول
صلى الله عليه وسلم والواقع عليه
منهم وبه ظاهر متصل الاسناد وقيل
هذا هو المشهور وقيل هو
ما اخبر به الصحابى عن قول رسول الله
ولا يقع مطلقا على غيره او فعله
مختصة بالعطاء وما ماخذ الحديث
فقد روينا عن مسلم واحمد ما يصرح
وابن ماجة عن صهيب عن النبى صلى الله
طس

عبادتهم كقوله تعالى اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقولك
صاغر خده وصغره وكالمته وكلمته ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم تعبدون الشياطين حيث
امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم ان كنا هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
بينها وبين النافية وهم الملايكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من اولي العقل وقيل الاصنام
ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها اطماعهم هنالك
في ذلك المقام وفي ذلك الموقف او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان نبلوا كل نفس
نختبر ونذوق ما اسلفت من العمل فنعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار امقبول ام
مردود كما يختبر الرجل الشيء ويتعرفه ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم
نبلوا كل نفس ونصب كل اي نختبرها باختبار ما اسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها
ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان سيئا فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله تعالى
لنبلوكم ايكم احسن عملا ويجوز ان يراد نصيب بالبلا وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من
الشر وقرئ تتلوا اي تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار او
تقرا في صحيفتها ما قدمت من خير او شر مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته لانهم كانوا
لانهم كانوا يقولون ما ليس لربوبيته حقيقة او الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم
احدا وقرئ الحق بالفتح على تاكيد قوله ردوا الى الله كقولك هذا عبد الله الحق بالفتح على تاكيد
قوله ردوا الى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل او على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد وضل
عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله وبطل عنهم ما كانوا يختلقون
من الكذب وشفاعة الالهة من السماء والارض اي يرزقكم منهما منهما جميعا لم يقتصر برزقكم
على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته من يملك السمع والابصار من يستطيع خلقهما
وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميهما ويحصنهما من الافات
مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤديهما ادنى شيء بكلاءته وحفظه
ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص افلا تتقون افلا
تقون انفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال ذلكم اشارة الى من
هذه قدرته وافعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد
الحق الا الضلال يعني ان الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن يخطئ الحق وقع في الضلال فانى تصرفون

عن

عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء كذلك مثل ذلك الحق حقت
كلمة ربك اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او كما حق انهم مصرفون عن الحق فكذلك حقت
كلمة ربك على الذين فسقوا اي تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه وانهم لا يؤمنون بدل من
الكلمة اي حق عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك او حق عليهم كلمة الله انهم من اهل الخذلان وان
ايمانهم غير كاين او اراد بالكلمة العدة بالعقاب وانهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون فان قلت
كيف قيل لهم هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالاعادة قلت قد وضعت
اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان دفعه دافع كان مكابرا اراد الظاهر البين الذي لا مدخل
للشبهة فيه دلالة على انهم في انكارهم لها ينكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء
وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فامره بان ينوب عنهم في الجواب
يعني انه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم يقال هداه للحق والى الحق
فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله
ام من لا يهدي وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والاصل يهتدي فادغم وفتحت
الهاء لحركة التاء وكسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها وقرئ الا ان يهدى
من هداه وهداه للمبالغة ومنه قولهم تهدى ومعناه ان الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب
في المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم
والهمهم واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم انداد الله احد من
اشرافهم كالملايكة والمسيح وعزير يهدي الى الحق مثل هداية الله ثم قال افمن يهدي الى الحق هذه
الهداية احق بالاتباع ام الذي لا يهدي اي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله
وقيل معناه ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي
ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه فما لكم كيف
تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد لله وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا ظنا لانه قول غير مستند
الى برهان عندهم ان الظن في معرفة الله لا يغني من الحق وهو العلم شيئا وقيل وما يتبع اكثرهم في
قولهم للاصنام وانها الهة وانها شفعاء عند الله الا الظن والمراد بالاكثر الجميع ان الله عليم
وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الاباء وقرئ يفعلون بالتاء وما كان هذا القران افتراء
من دون الله ولكن كان تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو

عبارة عنها وشاهد لصحتها كقوله تعالى وهو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق
الذي بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى وما كان ان
يفترى وما صح واستقام وكان محالا ان يكون مثله في علو امره واعجازه مفترى وتفصيل الكتاب
وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم فان قلت ثم اتصل قوله لا ريب
فيه من رب العالمين قلت هو داخل في حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا
منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا
منه لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل فيكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول
زيد لا شك فيه كريم ام يقولون افتراه بل ايقولون اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم
او انكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان قل ان كان الامر كما تزعمون فاتوا انتم على
وجه الافتراء بسورة مثله فانتم مثلي في العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله
اي شبيه به في البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب
مثله وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله يعني
ان الله وحده هو القادر على ان ياتي بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينونه وحده
ثم استعينوا بكل من دونه ان كنتم صادقين انه افتراه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقران
وفاجؤه في بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا
على تاويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين ابائهم
كالناشئ على التقليد من الحشوية اذا احس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه والفه وان كانت
اضوء من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة انكرها في اول وهلة واشمأز منها
قبل ان يحس ادراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحة او فساد لانه لم يشعر قلبه الا صحة
مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب فان قلت ما معنى التوقع في قوله تعالى ولما ياتهم تاويله قلت
معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للاباء وكذبوه بعد
التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع
ليؤذن انهم علموا بعد علو شانه واعجازه لما كرر عليهم التحدي ورازوا قواهم في المعارضة
واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك اي مثل ذلك التكذيب كذب
الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الانبياء وقبل تدبرها من غير انصاف من انفسهم ولكن

قلدوا

قلدوا الاباء وعاندوا وقيل هو في الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز ان يكون معنى ولما ياتهم
تاويله ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب
ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار
بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل
ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه ومنهم من يؤمن به يصدق به في نفسه
ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من يشك فيه لا يصدق به او يكون للاستقبال اي
ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين وان كذبوك وان
تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد اعذرت كقوله فان عصوك فقل
اني بريء وقيل هي منسوخة باية السيف ومنهم من يستمعون اليك معناه ومنهم ناس يستمعون
اليك اذا قرأت القران وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون اليك ويعاينون
ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال اتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم
الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت
فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الامر او اتحسب انك تقدر على هداية العمي ولو
انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتفطن واما
العمى مع الحمق فجهد البلاء يعني انهم في الياس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا
عقول لهم ولا بصائر وقوله تعالى افانت دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله سبحانه
وتعالى بالقسر والالجاء كما لا يقدر على رد الاصم والاعمى المسلوبي العقل حديدي السمع والبصر راجحي
العقل الا هو وحده ان الله لا يظلم الناس شيئا اي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل
وانزال الكتب ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز ان يكون وعيدا للمكذبين يعني ان ما يلحقهم يوم
القيمة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا انفسهم
باقتراف ما كان سببا فيه الا ساعة من النهار يستقرون فيه وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول
ما يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع
التعارف بينهم لشدة الامر عليهم فان قلت كان لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما قلت اما الاولى فحال
منهم اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة واما الثانية فاما ان يتعلق بالظرف واما ان يكون
مبينة لقوله تعالى كان لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا قد خسر على

إرادة القول أي يتعارفون بينهم قائلين ذلك أو هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى
أنهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الإيمان بالكفر وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها
وهو استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما أخسرهم فإلينا مرجعهم جواب نتوفينك
وجواب نرينك محذوف كأنه قيل وإما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذلك أو نتوفينك
قبل أن نريكه فنحن نريكه في الآخرة فإن قلت الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى
ثم قلت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كأنه قال ثم الله معاقب على ما
يفعلون وقرأ ابن أبي عبلة ثم بالفتح أي هنالك ويجوز أن يراد أن الله مؤد شهادته على أفعالهم
يوم القيامة حين تنطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شهادة عليهم ولكل أمة رسول
يبعث إليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم إلى دين الحق فإذا جاءهم رسولهم بالبينات
فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم أي بين النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل فأنجى الرسول وعذب
المكذبون كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولكل أمة من الأمم يوم القيامة رسول
تنسب إليه وتدعى به فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان كقوله وجيء
بالنبيين والشهداء قضي بينهم متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له لا
أملك لنفسي ضرا من مرض أو فقر ولا نفعا من صحة أو غنى إلا ما شاء الله استثناء منقطع
أي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب لكل أمة أجل يعني أن عذابكم
له أجل يعني عذابكم له أجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان إذا جاء ذلك الوقت أنجز
وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرأ ابن سيرين فإذا جاء آجالهم بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت
بيات فإن قلت هلا قيل ليلا أو نهارا قلت لأنه أريد أن أتاكم عذابه وقت بيات فيبيتكم وأنتم
ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى
التسليم وكذلك قوله نهارا معناه في وقت أنتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا
وهم نائمون ضحى وهم يلعبون الضمير في منه للعذاب والمعنى أن العذاب كله مكروه مر المذاق
موجب للنفار فأي شيء تستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز أن يكون معناه
التعجب كأنه قيل أي شيء هول شديد تستعجلون منه ويجوز أن يكون من للبيان في هذا الوجه وقيل
الضمير في منه لله تعالى فإن قلت بم تعلق الاستفهام وأين جواب الشرط قلت تعلق بأرأيتم لأن
المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو

تعرفوا

تعرفوا الخطأ فيه فإن قلت فهلا قيل ماذا تستعجلون منه قلت أريدت الدلالة على
موجب ترك الاستعجال وهو الإجرام لأن من حق المجرم أن يخاف التعذيب على إجرامه ويهلك فزعا
من مجيئه وإن أبطأ فضلا أن يستعجله ويجوز أن يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا
للشرط كقولك إن أتيتك ماذا تطعمني ثم يتعلق الجملة بأرأيتم وأن يكون أثم إذا ما وقع آمنتم
به جواب الشرط وما يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد
وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان ودخول حرف الاستفهام على ثم لدخوله على الواو والفاء في
قوله تعالى أفأمن أهل القرى أو أمن أهل القرى الآن على إرادة القول أي قيل لهم إذا آمنوا بعد
وقوع العذاب الآن آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون يعني وقد كنتم به تكذبون لأن استعجالهم كان
على جهة التكذيب والإنكار وقرئ الآن بحذف الهمزة التي بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام
ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المضمر قبل الآن ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون
أحق هو وهو الاستفهام على جهة الإنكار والاستهزاء وقرأ الأعمش الحق هو وهو أدخل
في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بأنه باطل وذلك أن اللام للجنس فكأنه قيل أهو الحق لا الباطل أو
أهو الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود وأي بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد
في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون في التصديق أيو فيصلونه بواو القسم لا ينطقون به
وحده وما أنتم بمعجزين بهاتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ظلمت صفة لنفس على ولو أن لكل
نفس ظالمة ما في الأرض أي ما في الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت
به لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه وأسروا الندامة لما
رأوا العذاب لأنهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الأمر ما سلبهم
قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى إسرار الندم والحسرة
في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى
جامدا مبهوتا وقيل أسروا سواءهم الندامة من سفلتهم الذين أضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم
وقيل أسروها أخلصوها إما لأن أخفاها إخلاصها وإما من قولهم سر الشيء لخالصه وقيل تهكم بهم
وبإخطائهم وقت إخلاص الندامة وقيل أسروا الندامة أظهروها من قولهم أسر الشيء وأسره إذا
أظهره وليس هناك تجلد وقضي بينهم أي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم أتبع ذلك الإعلام
بأن له الملك كله وأنه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الإحياء

والامانة لا يقدر عليهما غيره والى حسابه وجزائه المرجع ليعلم ان الامر كذلك متجاف ترجى
ولا يغتر به المغترون قد جاءتكم موعظة اى قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوايد من موعظة
وتنبيه على التوحيد هو شفا اى دواء لما فى صدوركم من العقايد الفاسدة ودعا الى الحق
ورحمة لمن آمن به منكم اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقرير
وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوايد الدنيا فحذف احد
الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشى فليخصوهما
بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك
فليفرحوا ويجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئها فالتفرحوا
بالتا وهو الاصل والقياس وهى قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى وعنه لتاخذوا
مصافكم قالها فى بعض الغزوات وفى قراة ابى فافرحوا هو راجع الى ذلك وقرى مما يجمعون بالياء
والتا وعن ابى ابن كعب رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بفضل وبرحمته فقال
بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه ارايتم اخبرونى وما انزل الله
ما فى موضع النصب ما نزل او بارايتم فى معنى اخبرونيه فجعلتم منه حراما وحلالا اى انزله الله رزقا
حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله هذه انعام وحرث حجر ما فى بطون هذه
الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا آلله اذن لكم متعلق بارايتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى
اخبرونى آلله اذن لكم فى التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه ام تكذبون على الله فى نسبة
ذلك اليه ويجوز ان تكون الهمزة للانكار وام منقطعة بل افترون على الله تقريرا للافترا وكفى بهذه
الاية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسئل عنه من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وان
لا يقول احد فى شى جايز او غير جايز الا بعد اتقان واتقان ومن لم يومن فليتق الله وليصمت والا فهو
مفتر على الله يوم القيمة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعنى اى شى ظن المفترين فى
ذلك ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساة وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره وقرا عيسى
بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه واى ظن ظنوا يوم القيمة وحى به على اللفظ الماضى لانه كاين
فكان قد كان ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحى وتعليم الحلال والحرام
ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه وما يكون فى شان ما نافية والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشان الامر واصله الهمز بمعنى القصد من شانه اذا قصدت قصده

والضمير فى منه للشان لان تلاوة القران شان من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شانه
او للتنزيل كانه قيل وما يتلوا من التنزيل من قران لان كل جزء منه قران والاضمار قبل الذكر
تفخيم له او الله عز وجل ولا يعلمون انتم جميعا من عمل اى عمل كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين
رقباء نحصى عليكم اذ تفيضون فيه من افاض فى الامر اذا اندفع فيه وما يعزب قرئ
بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب ولا اصغر من ذلك ولا اكبر القراة
بالنصب والرفع والوجه النصب على من مثقال ذرة او على لفظ مثقال ذرة فتحا فى موضع الجر
لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا يعزب عنه شى الا فى كتاب مشكل فان قلت لم قدمت الارض
على السماء بخلاف قوله تعالى فى سورة سبا عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات
ولا فى الارض قلت حق السماء ان تقدم على الارض ولكنه لما ذكر شهادته على شئون اهل
الارض واحوالهم واعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لام ذلك ان قدم الارض على السما على
ان العطف بالواو حكمه حكم التثنية اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد
فسر ذلك فى قوله الذين امنوا وكانوا يتقون فهو توليهم اياه لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة
فهو توليه اياهم وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل من اولياء الله فقال هم الذين
يذكر الله برويتهم يعنى السمت والهيئة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه الاخبات والسكينة
وقيل هم المتحابون فى الله وعن عمر رضى الله تعالى عنه سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان من
عباد الله عبادا ما هم بانبيا ولا شهدا يغبطهم الانبيا والشهدا يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا
يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا فى الله على غير ارحام بينهم ولا
اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون
اذا حزن الناس ثم قرا الاية الذين امنوا نصب او رفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتدا
والخبر لهم البشرى والبشرى فى الدنيا ما بشر الله به المومنين المتقين من غير مكان من كتابه وعن
النبى صلى الله عليه وسلم وهى الرويا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه عليه الصلوة والسلام ذهبت
النبوة وبقيت المبشرات وقيل هى محبة الناس له والذكر الجنس وعن ابى ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه
وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المومنين وعن عطا لهم البشرى عند الموت
تاتيهم الملايكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملايكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة
واما البشرى فى الاخرة فتلقى الملايكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض

نفى الجنس والرفع على الابتداء ليكون
كلاما براسه وفى العطف على محل

وجوههم واعطاء الصحايف بايمانهم وما يقرون منها وغير ذلك من البشارات لا تبديل
لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله تعالى ما يبدل القول لدي وذلك اشارة
الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يحزنك وقرئ ولا يحزنك من احزنه
قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتكلمون به
في شانك ان العزة استيناف بمعنى التعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا
اي ان الغلبة والقهر في ملكة الله جميعا لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك
عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا وقرا ابو حيوة ان العزة بالفتح بمعنى لان
العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم انكره فالمنكر هو تخريجه لا ما انكر من القراءة
به هو السميع العليم يسمع ما يقولونه ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك من في
السموات ومن في الارض يعني العقلاء المميزين وهم الملايكة والثقلان وانما خصهم ليوذن ان
هاولا اذا كانوا له وفي ملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية
ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا وشريكا وليدل على ان
من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد
وترك النظر ومعنى يتبعون شركا اي وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركا لان
شركة الله في الربوبية محال ان يتبعون الا ظنهم انها شركا وان هم الا يخرصون يحزرون ويقدرون
ان يكون شركا تقديرا باطلا ويجوز ان يكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني واي شي يتبعون
شركا على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله
شركاء شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة ويجوز ان يكون ما موصولة معطوفة على من كانه
قيل والله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركا اي وله شركا وهم وقرا علي بن ابي طالب رضوان
الله عليه تدعون بالتا ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اي واي شي يتبع الذين يدعونهم
شركاء من الملايكة والنبيين يعني انهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقال
ان يتبع هاولا المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملايكة والنبيون من الحق ثم نبه على
عظم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق بها ان يتوحدوه بالعبادة بانه
جعل لهم الليل مظلما لتسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار

مضيا يبصرون فيه مطالب ارزاقهم ومكاسبهم لقوم يسمعون سماع معتبر مدكر
سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد لان ما
يطلب به الولد من بلد وما يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية
عنه كان الولد عنه منتفيا له ما في السموات وما في الارض فهو مستغن بملكه لهم عن
اتخاذ احد منهم ولدا ان عندكم من سلطان بهذا ما عندكم من حجة بهذا القول والباء
حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم
موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان لما
نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم
يفترون على الله الكذب باضافة الولد اليه متاع في الدنيا اي افتراوهم هذا منفعة
قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر
به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وانها
لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظمه الامر مقامي مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا
لمكان فلان وفلان يقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه او قيامي ومكثي
بين اظهركم مددا طوالا الف سنة الا خمسين عاما او مقامي وتذكيري لانهم كانوا اذا
وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونه ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى
صلوات الله تعالى عليه انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود فاجمعوا امركم وشركاءكم من اجمع الامر
وازمعه اذا عزم عليه قال هل اغدون يوما وامري مجمع اي مجتمع والواو بمعنى مع يعني فاجمعوا
امركم مع شركايكم وقراء الحسن وشركاوكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تاكيد
بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا من
الجمع وشركاكم نصب للعطف على المفعول او لان الواو بمعنى مع وفي قراءة ابي فاجمعوا امركم وادعوا
شركاءكم فان قلت ما معنى الامرين امرهم الذي يجمعونه وامرهم الذي لا يكون عليهم غمة قلت
اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا فيه
وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلائته
وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واما الثاني ففيه وجهان احدهما ان يراد مصاحبتهم
له وما كانوا فيه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي

غصة وحالكم عليكم غمة اى غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثانى ان يراد
به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنه قوله عليه الصلوة والسلام
ولا غمة فى فرايض الله اى لا تستر ولكن تجاهر بها يعنى ولا يكن قصدكم الى اهلاكى مستورا
عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونى به ثم افضوا الى ذلك الامر الذى تريدون بى اى ادوا
الى قطعه وتصحيحه كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الى ما هو حق عليكم
عندكم من هلاكى كما يقضى الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلونى وقرى ثم اقضوا الى بالفاء
بمعنى ثم انتهوا الى بسركم وقيل هو من افضى الرجل اذا خرج الى الفضاء اى اصحروا به الى وابرزوه
لى فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيرى ونصيحتى فما سالتكم من اجر فما كان عندى ما ينفركم
عنى وتتهمونى لاجله من طمع فى اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان اجرى الا على الله وهو الثواب
الذى يثيبنى به فى الاخرة اى ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا وامرت ان اكون
من المسلمين الذين لا ياخذون على تعليم الدين شيا ولا يطلبون به دنيا يريد ان ذلك مقتضى
الاسلام والذى كل مسلم مامور به والمراد ان تجعل الحجة لازمة لهم وتبرى ساحته فذكر
ان توليهم لم يكن عن تفريط منه فى سوق الامر معهم على الطريق الذى يجب ان يساق عليه وانما
ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير فكذبوه صموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له فى اخر المدة المتطاولة
كتكذيبهم فى اولها وذلك عند مشارفة للهلاك بالطوفان وجعلناهم خلايف يخلفون الهالكين
بالغرق كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن مثله وتسلية له من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم يعنى هودا وصالحا وابراهيم ولوطا
وشعيبا فجاوهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليومنوا فما كان ايمانهم ممتنعا
كالمحال لشدة شكيمتهم فى الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة
الرسل اهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان
لم يبعث اليهم احد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين والطبع جار مجرى الكناية
عن عنادهم ولجاجهم لان الخذلان يتبعه الا ترى كيف اسند اليهم الاعتداء ووصفهم به من بعدهم
من بعد الرسل باياتنا بالايات التسع فاستكبروا عن قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد
برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوى ايام عظام فلذلك
استكبروا عنها واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه الحق وانه من عند الله

لا من قبل موسى وهارون قالوا لمحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شى من
السحر الذى ليس الا تمويها وباطلا فان قلت هم قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على انه سحر
فكيف قيل لهم اتقولون اسحر هذا قلت فيه اوجه ان يكون معنى قوله اتقولون للحق اتعيبونه
وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظمونه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس
يقاول اذا بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر فى قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم ثم قال اسحر
هذا فانكر ما قالوه فى عيبه والطعن عليه وان يحذف مفعول اتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان
هذا لسحر مبين كانه قيل اتقولون يعنى قولهم ان هذا لسحر مبين ثم قيل اسحر هذا وان يكون جملة قوله
اسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا جئتما بالسحر يطلبان به الفلاح ولا يفلح
الساحرون كما قال موسى عليه الصلوة والسلام للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله لتلفتنا لتصرفنا
واللفت واللفتل اخوان ومطاوعهما الالتفات والانتقال عنها وجدنا عليه اباءنا يعنون عبادة
الاصنام وتكون لكما الكبرياء اى الملكان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد
والشوس ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا فى قوله ملكه ملك رافة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء
ينفى ما عليه الملوك من ذلك ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا كما قال
القبطى لموسى ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض وما نحن لكما بمومنين اى مصدقين لكما فيما جئتما به وقرى
يطبع ويكون لكما الكبرياء بالياء ما جئتم به ما موصولة واقعة مبتداء والسحر خبر اى الذى جئتم به هو السحر
لا الذى سماه فرعون وقومه سحرا من ايات الله وقرى آسحر على الاستفهام وقرا عبد الله ما جئتم به سحر
وقراء ابى ما اتيتم به والمعنى لا ما اتيت به ان الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على
السعودة لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته
بكلماته باوامره وقضاياه وقرى بكلمته بامره ومشيته فما آمن لموسى فى اول امره الا ذرية من قومه
الا طايفة من ذرارى بنى اسرايل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الاباء فلم يجيبوه
خوفا من فرعون واجابته طايفة من ابنائهم مع الخوف وقيل الضمير فى قومه لفرعون والذرية
مومن آل فرعون وآسية امراته وخازنه وامراة خازنه وماشطته فان قلت اللام يرجع الضمير فى
قوله وملايهم قلت الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب يأتمرون له
ويجوز ان يرجع الى الذرية اى على خوف من فرعون وخوف من اشراف بنى اسرايل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم
خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ويدل عليه قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون لعال فى الارض لغالب

فيها قاهر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه للربوبية ان كنتم آمنتم
بالله صدقتم به بآياته فعليه فتوكلوا فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون ثم شرط
في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا انفسهم لله اي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها
لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة فقالوا على
الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله سبحانه قبل توكلهم واجاب دعاهم
ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض
اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص لا تجعلنا فتنة موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا او يفتنوننا
او فتنة لهم تفتتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا تبوأ المكان اتخذه مباءة
كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بوأته مباءة لقومكما ومرجعا
يرجعون اليه للعبادة والصلاة فيه واجعلوا بيوتكم تلك قبلة اي مساجد متوجهة نحو
القبلة وهي الكعبة وكان موسى صلوات الله عليه ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول
امرهم مامورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذونهم ويفتنونهم عن
دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة فان قلت كيف نوع الخطاب فثنى اولا ثم جمع
ثم وحد آخرا قلت خوطب موسى وهرون عليهما الصلوة والسلام ان يتبوآ لقومهما بيوتا
ويختارها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ
المساجد والصلوة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلوات الله عليه بالبشارة التي هي
الغرض تعظيما لها وللمبشر بها الزينة ما يتزين به من لباس او حلي او فرش او اثاث او غير
ذلك وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة
وزبرجد وياقوت فان قلت ما معنى قوله تعالى ربنا ليضلوا عن سبيلك قلت هو دعاء بلفظ
الامر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك انه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا وردد
عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما
كانوا عليه من الكفر والضلال المبين وراهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار
الا استكبارا وعلى النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة
انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وان ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة او علم ذلك بوحي من
الله اشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون

غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه
لم يبق له فيهم حيلة وانهم لا يستاهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه
كانه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع على قلوبهم فلا يؤمنوا وما علي
منهم هم احق بذلك واحق كما يقوله الاب المشفق لولده الشاطر اذا لم يقبل منه حسرة على ما
فاته من قبول نصيحته وحذرا عليه لا ان يريد خلاعته واتباعه هواه ومعنى الشد على
القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشددا
ودعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا في
الضلال فكانهم اتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على اموالهم
واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرأ الفضل الرواسي انك
اتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم قرئ دعوا بكما قيل كان موسى يدعو وهارون يؤمن
ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته
فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح في
قومه الف عام الا قليلا ولا تستعجلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة ولا
تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي لا تتبعا طريق الجهلة بعبادة الله في تعليقه الامور بالمصالح
ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه الصلوة والسلام اني اعظك ان
تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون
التثنية وبتخفيف الياء من تبع قرأ الحسن وجوزنا من اجاز المكان وجاوزه وجوزه
وليس من جوز الذي في بيت الاعشى واذا تجوزها جبال قبيلة لانه لو كان منه لكان حقه ان
يقال وجوزنا بني اسرائيل في الهجر كما قال جوز السكي في الباب فيتق فاتبعهم فلحقهم يقال
تبعته حتى اتبعته وقرأ الحسن وعدوا وقرئ انه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان
وانه بالكسر على الاستيناف بدلا من آمنت كرر المحذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث
عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطأ وقته وقاله حين لم يبق له اختيار
قط وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف الآن اتؤمن الساعة
في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وايست من نفسك قيل قال ذلك حين الجمه الغرق يعني
حين اوشك يغرق وقيل قاله بعد ان غرق في نفسه والذي يحكى انه حين قال آمنت اخذ

آن صح

خبريل من حال البحر فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه
واما ما يضم اليه من قولهم خشية ان تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه
جهالتان احديهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى ان من
كره ايمان الكافر واحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضى بالكفر كفر من المفسدين من
الضالين المضلين عن الايمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا
فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروى ان جبريل اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشأ
في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو
العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج عن سيده الكافر نعماه ان يغرق في البحر فلما
الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه ننجيك بالتشديد والتخفيف نبعدك مما وقع
فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الارض وقرئ ننحيك بالحاء نلقيك بناحية
مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء الى الساحل كانه ثور
ببدنك في موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم
ينقص منه شيء ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك قال عمرو بن معدي كرب
اعاذك شكتي بدني وسيفي وكل مقلص سلس القياد وكانت له درع من ذهب يعرف بها
وقرأ ابو حنيفة رحمه الله تعالى بابدانك وهو على وجهين اما ان يكون مثل قولهم هوى باجرامه
يعني ببدنك كله وافيا باجزائه او يريد بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لمن خلفك آية
لمن وراءك من الناس علامة وهو بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يغرق
وروي انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا وقيل اخبرهم موسى عليه الصلوة والسلام بهلاكه
فلم يصدقوه فالقاه الله تعالى على الساحل حتى عاينوه وكان مطرحه كان على بني اسرائيل
حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن ياتي بعدك من القرون ومعنى كونه آية ان يظهر للناس
عبوديته ومهانته وان ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وانه مع ما كان فيه
من عظم الشان وكبرياء الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره او لتكون
عبرة تعتبر بها الامم بعدك فلا تجترئوا على نحو ما اجترأت عليه اذا سمعوا بحالك وهواك
على الله وقرئ لمن خلقك بالقاف اي وليكون لخالقك آية كسائر آياته ويجوز ان يراد ليكون
طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا

لادعائك

ممر من صح

لادعائك العظيمة ان مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا
ان ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة في امرك مبوأ صدق منزلا صالحا وهو مصر والشام
فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا الا من بعد ما قرأوا التوراة وكسبوا العلم
بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه تفرق عنه وقيل هو
العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وانه
هو ام ليس به بعد ما جاءهم العلم والبيان انه هو لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى الذين آتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فان قلت كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كنت في
شك مما انزلنا اليك مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب قلت فرق عظيم بين قوله وانهم
لفي شك منه مريب باثبات الشك لهم على سبيل التاكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت في شك
بمعنى الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا
فسل الذين يقرأون الكتاب والمعنى ان الله عز وجل قدم ذكر بني اسرائيل وهم قراءة الكتاب
ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر الرسول صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم في التوراة والانجيل
وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاراد ان يؤكد عليهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة في الدين ان
يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما بمقادحة العلماء المنبهين
على الحق فسل اهل الكتاب يعني انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك وقبلها علماء بحيث يصلحون
لمراجعة مثلك ومسائلتهم فرضا عن غيرك فالغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما
انزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشك فيه ثم قال لقد
جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق الذي لا مدخل
فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله اي ما ثبت ودم على ما انت عليه
من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز ان يكون على طريقة التهييج والالهاب كقولك فلا
تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك
قال عليه الصلوة والسلام عند نزوله لا اشك ولا اشك ابل اشهد انه الحق وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنه لا والله ما شك طرفة عين ولا سال احدا منهم وقيل خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد خطاب
امته ومعناه فان كنتم في شك مما انزل اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن

علماء صح

يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن وقيل ان للنفي اي فما كنت في شك فسل
يعني لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن ليزداد يقينا كما ازداد ابراهيم بمعاينة احياء الموتى
وقرئ فسل الذين يقرؤون الكتب حقت عليهم كلمة ربك ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح
واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر
ومراد تعالى الله عن ذلك فلولا كانت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها
وتابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة وقت بقاء التكليف ولم تؤخر كما اخر
فرعون الى ان اخذ بمخنقه فنفعها ايمانها بان تقبله الله منها لوقوعه في وقت
الاختيار وقرأ ابي وعبد الله فهلا كانت الا قوم يونس استثناء من القرى لان المراد
اهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما امنوا ويجوز ان يكون متصلا والجملة
في معنى النفي كانه قيل ما امنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على
اصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل روي عن الجرمي والكسائي روي ان يونس عليه الصلوة
والسلام بعث بنينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا
من نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون
ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك امنا فلما مضت خمس وثلاثون اغامت السماء غيما
اسودها يلا يدخن دخانا شديدا ثم هبط حتى يغشى مدينتهم وسود سطوحهم فلبسوا
المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان
وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان
والتوبة فتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشورا يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ
من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده
وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي
حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض
قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل
بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك مشيئة القسر والالجاء لآمن من في الارض كلهم على وجه الاحاطة
والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله تعالى افانت
تكره الناس يعني انما تقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هؤلاء انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام

للاعلام

للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان من المكر من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك
فيه لانه من القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع
وما كان لنفس من النفوس التي علم انها تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله وهو منح الالطاف ويجعل
الرجس على الذين لا يعقلون قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون
وهم المصرون على الكفر كقوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمي الخذلان رجسا وهو العذاب لانه
شبيه وقرئ الرجز بالزاي وقرئ ونجعل بالنون ماذا في السموات والارض من الايات والعبر
وما تغني الايات والنذر والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم
وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما تغني بالياء وما نافية او استفهامية ايام الذين خلوا من قبلهم
وقائع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقائعها ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله
تعالى الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا معطوف على حكاية
الاحوال الماضية والذين امنوا ومن آمن معهم كذلك ننجي المؤمنين مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم
ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا وقرئ ننجي بالتشديد يا ايها الناس
يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على
عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو اني لا اعبد الحجارة
التي تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم
انه الحقيق بان يخالف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المؤمنين يعني ان
اكون من المؤمنين يعني ان الله امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحى الي في كتابه وقيل
معناه ان كنتم في شك من ديني وما انا عليه اثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم
بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون من دون الله
ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله تعالى قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وامرت ان اكون
اصله بان اكون محذوف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من الحذف المطرد لا الذي هو حذف
الحروف الجارة مع ان وان وان يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما
تؤمر فان قلت عطف قوله وان اقم على ان اكون فيه اشكال لان ان لا تخلو من ان تكون التي للعبارة
او التي تكون مع الفعل في تاويل المصدر فلا يصح ان تكون للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول
لان عطفها على الموصولة يابى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو

اقم لان الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قلت قد سوغ سيبويه ان توصل
ان بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما يكون معه في
معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال اقم وجهك استقم اليه
ولا تلتفت يمينا ولا شمالا وحنيفا حال من الدين او من الوجه فان فعلت معناه فان دعوت من
دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين اذا جزاء الشرط
وجواب لسوال مقدر كان سايلا سال عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا
ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر
ان الله عز وجل هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل
احد فكيف بالجماد الذي لا يشعر به وكذلك ان ارادك بخير لم يرد احد ما يريده بك من فضله
واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذا بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله
ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته فان قلت
لم ذكر المس في احدهما والارادة في الثاني قلت كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة
في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد فيهما ولا مزيل لما نصبت به منهما فاوجز الكلام
بان ذكر المس والاصابة في احدهما والارادة في الاخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر
الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده والمراد بالمشية مشية المصلحة في قوله
قد جاءكم الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره
الا نفسه من اثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر وكل اليهم
الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما
انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير واصبر على دعوتهم
واحتمال اذاهم واعراضهم حتى يحكم الله لك بالنصرة عليهم والغلبة وروي انها لما نزلت جمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الانصار فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني اني
امرت في هذه الاية بالصبر على ما سامتني الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء
الجورة قال انس فلم نصبر وروي ان ابا قتادة رضي الله تعالى عنه تخلف عن تلقي معاوية حين قدم
المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا قال لم يكن عندنا دواب
قال فاين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

يا معشر

يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدي اثرة قال معاوية فماذا قال فاصبروا حتى تلقوني قال
فاصبروا قال اذا نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان الا ابلغ معاوية بن حرب امير الظالمين تثاكلا
بانا صابرون فمنظروكم الى يوم التغابن والخصام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق
مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلاث وعشرون اية

سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم
احكمت اياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبنا المحكم المرصف ويجوز ان
يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما اي جعلت حكيمة كقوله ايات الكتاب الحكيم
وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة ليمنعها من الجماح قال
جرير ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا وعن قتادة احكمت من الباطل
ثم فصلت كما تفصل القلايد بالفرايد من دلايل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت
فصولا سورة سورة واية اية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها
ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص وقرئ احكمت اياته ثم فصلت اي احكمتها انا ثم فصلتها وعن
عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل فان قلت ما معنى ثم قلت ليس معناها
التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل
وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدا محذوف واحكمت صفة له وقوله من لدن حكيم
خبير صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون صلة لاحكمت وفصلت اي من
عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى احكمها حكيم وفصلها اي بينها وشرحها
خبير عالم بكيفيات الامور ان لا تعبدوا مفعول له على معنى لان لا تعبدوا او يكون ان مفسرة لان في
تفصيل الايات معنى القول كانه قيل قال لا تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله وان
استغفروا اي امركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان يكون كلاما مبتدا منقطعا عما قبله على لسان
النبي صلى الله عليه وسلم اغراء منه على اختصاص الله بالعبادة ويدل عليه قوله تعالى انني لكم منه نذير وبشير
كانه قال ترك عبادة غير الله انني لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب والضمير في منه لله عز وجل اي انني
لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم او هي صلة لنذير اي انذركم منه ومن عذابه
ان كفرتم وابشركم بثوابه ان امنتم فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم توبوا اليه قلت معناه استغفروا
من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استغفروا او الاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا

من صح

عليها كقوله تعالى ثم استقاموا يمتعكم يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة
واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى الى ان يتوفاكم كقوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة ويؤت
كل ذي فضل فضله لا ينجس منه او فضله في الثواب والدرجات ويتفاضل في الجنة على قدر
تفاضل الطاعات وان تولوا وان يتولوا عذاب يوم كبير هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف
بالعظم والثقل وبين عذاب اليوم الكبير بان مرجعهم الى من هو قادر على كل شيء فكان قادرا على اشد
ما اراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ وان تولوا من ولى يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون
عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى
عنه كشحه لتستخفوا عنه يعني ويريدون لتستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على
ازورارهم ونظير اضمار يريدون لقود المعنى الى اضماره في قوله تعالى وان اضرب بعصاك البحر فانفلق
معناه حضرت فانفلق ومعنى الا حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفاء حين يستغشون
ثيابهم كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه الصلوة والسلام جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا
ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون يعني انه لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه
لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم
غير نافق عنده وروي انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
المحبة وله منطق حلو وحسن سياق الحديث فكان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم مجالسته
ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين وقرئ تثنوني صدورهم
واثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة قرئ بالتاء والياء وعن
ابن عباس لتثنوني وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف
من الكلاء يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم
ومرض قلوبهم وقرئ تثنين من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت
وقرئ تثنوي بوزن ترعوي فان قلت كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب وانما هو تفضل
قلت هو تفضل الا انه لما ضمن ان يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد
والمستقر مكانه من الارض ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلة
او رحم او بيضة كل كل واحد من الدواب ورزقها مستقرها ومستودعها في اللوح يعني
ذكرها مكتوب فيه مبين وكان عرشه على الماء اي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض

وارتفاعه

وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض
وقيل وكان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك وكيف ما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما
ازدادت الاجرام كانت احوج اليه والى امساكه ليبلوكم متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة بالغة
وهي ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب
المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال
ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان قلت كيف جاز تعليق
فعل البلوى قلت لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر
ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم
فان قلت كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال المؤمنين هي التي تتفاوت الى حسن واحسن
فاما اعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح قلت الذين هم احسن عملا هم
المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر
من وراءهم تشريفا لهم على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة
فضلهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع
في طاعة الله قرئ ولئن قلت انكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه ان يكون من قولهم ايت السوق
عنك ان تشتري لحما وانك تشتري بمعنى علك اي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم
وظنوه ولا تتبعوا القول بانكاره لقالوا ان هذا الا سحر مبين تابين القول ببطلانه ويجوز
ان يضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر ان السحر امر باطل وان بطلانه لبطلان
السحر تشبيها له به او اشاروا بهذا الى القران لان القران هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا
فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول والساحر
كاذب مبطل العذاب عذاب الاخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين
الى امة الى جماعة من الاوقات ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء
ويوم ياتيهم نصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس وذلك انه اذا جاز تقديم معمول
خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل
وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا به يستهزؤن العذاب الذي كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزؤن موضع
يستعجلون لان استعجالهم كان على الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله في اخباره

الانسان للجنس رحمة نعمة من صحة وامن وسعة ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة
انه ليوس شديد الياس من ان يعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة فاطلع رجاءه من سعة فضل
الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في
نعمة الله نساء له ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور
على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين امنوا فان عادتهم
ان نالتهم رحمة الله ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا كانوا يقترحون عليه ايات تعنتا
لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت اية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم
ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقران ويتهاونون به
وبغير ما جاء به من البينات وكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقي اليهم ما لا
يقبلونه ويضحكون منه فحرك الله منه وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم
واستهزائهم واقتراحهم بقوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اي لعلك تترك ان تلقيه
اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق صدرك بان يتلوه عليهم ان يقولوا لولا
انزل عليه كنز اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم انزل عليه ما لا نريده
ولا نقترحه ثم قال انما انت نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما
امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا واقترحوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما
يقولون وهو فاعل لهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح
وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم فان قلت لم
عدل عن ضيق الى ضائق قلت ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان افسح الناس صدرا ومثله قولك سيد وجواد تريد السيادة والجود
الثابتين المستقرين فاذا اردت الحدوث قلت سايد وجايد ام منقطعة والضمير في افترا
لما يوحى اليك تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب
عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قال قد اقتصرت منك على
سطر واحد مثله بمعنى امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحد منها له مفتريات صفة لعشر سور
لما قالوا افتريت القران واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله قاودهم على دعواهم
وارخى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي وان الامر كما قلتم فاتوا

انتم

انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما
اقدر عليه من الكلام فان قلت كيف ما تامرون به مثله وما تاتون به مفترى وهذا غير
مفترى قلت معناه مثله في حسن النظم والبيان وان كان مفترى فان قلت ما وجه جمع الخطاب
بعد افراده وهو قوله فاعلموا بعد قوله قل قلت معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع اخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم
ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم ووجه
اخر وهو ان يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب
لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على مظاهرته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر
من ان تبلغه فاعلموا انما انزل بعلم الله اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار
بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب والاشراك
به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون متابعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه مطرد
ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم
على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون نوف
اليهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من
الصحة والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد
قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقيل وان قاتل فقيل قاتلت حتى يقال
فلان جريء فقد قيل وعن انس بن مالك هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا ووصلوا
رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من
المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف بالياء على ان للفعل
لله عز وجل وتوف اليهم اعمالهم بالتاء على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن نوفي اليهم بالتخفيف
واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله تقول لا غائب مالي ولا حرم وحبط ما صنعوا
فيها وحبط في الاخرة ما صنعوا وصنيعهم يعني لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به الاخرة انما
ارادوا به الدنيا وقد وفى اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اي كان عملهم في نفسه باطلا
لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب
وفيه وجهان ان يكون ما ابهامية وينتصب بيعملون ومعناه وباطلا اي باطل كانوا يعملون وان

يكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون افمن كان على بينة معناه من كان يريد
الحيوة الدنيا فمن كان على بينة من ربه اى لا يعقبونه في المنزلة لا يقاربونهم يريد ان بين
الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان
على بينة من ربه اى على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه
ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اى شاهد يشهد بصحة القران منه من الله او شاهد من القران
فقد تقدم ذكره انفا من قبله ومن قبل القران كتاب موسى وهو التورية اى ويتلوا ذلك
البرهان ايضا من قبل القران كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه
وهو الدليل على ان القران حق ويتلوه ويقرا القران شاهد منه شاهد ممن كان على بينة
كقوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده
علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلوا من قبل التورية اماما كتابا موتما به في الدين
قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم اولئك يعني من كان على بينة يؤمنون
به يؤمنون بالقران ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فالنار موعده فلا تك في مرية وقرئ مرية وهما الشك منه من القران او
من الموعد يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف ويعرض اعمالهم ويشهد عليهم الاشهاد من
الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا ويقال الا لعنة على القوم
الظالمين فواحرباه وافضيحتاه والاشهاد جمع شاهد او شهيد كاصحاب او اشراف
او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتاكيد كفرهم بالاخرة واختصاصهم به اولئك
لم يكونوا بمعجزين في الارض اى ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما
كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم
الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد تضاعف لهم العذاب وقرئ يضعف ما كانوا يستطيعون
السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به على اهل العدل كانه لم يسمع الناس
يقولون في كل لسان هذا الكلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجه سمعي ويحتمل ان يريد
بقوله وما كان لهم من اولياء انهم جعلوا الهتهم اولياء من دون الله وولايتها ليست بشيء فما كان لهم
في الحقيقة من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا
ينصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد خسروا انفسهم اشتروا

اراد انهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون السمع صح

عبادة الالهة بعبادة الله فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران اعظم منه وهو انهم
خسروا انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الالهة
وشفاعتها لا جرم فسر في مكان آخر هم الاخسرون لا ترى احدا ابين خسرانا منهم واخبتوا
الى ربهم واطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض
المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدني الخبيث قال ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث
وقيل التاء فيه بدل من الثاء شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع
وهو من اللف والطباق وفيه معنيان ان يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس
قلوب الطير بالحشف والعناب وان يشبه بالذي جمع بين العمى والصمم او الذي جمع بين البصر والسمع على
ان يكون الواو في والصمم وفي والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب
هل يستويان يعني الفريقين مثلا تشبيها اى ارسلنا نوحا باني لكم نذير ومعناه ارسلناه
ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله تعالى اني لكم منه نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في
كان والمعنى على الكسر وهو لك ان زيدا كالاسد وقرئ بالكسر على ارادة القول ان لا تعبدوا
من اني لكم نذير اى ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله او يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا
او بنذير وصف اليوم باليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه فان قلت فاذا وصف
به العذاب قلت مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك
صائم وجد جده الملاء الاشراف من قولهم فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملؤ بالامر
لانهم قد ملؤ بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها او لانهم يتمالؤن اى يتظاهرون
ويتساندون او لانهم يملؤن القلوب هيبة والمجالس ابهة ملأ بالاحلام والاراء الصائبة
ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم احق بالنبوة وان الله وان الله لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها
فيهم فقالوا هب انك واحد من الملاء وموازٍ لهم في المنزلة فما جعلك احق منهم الى ترى الى قولهم وما نرى
لكم علينا من فضل او اراد انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا والاراذل جمع الارذل كقوله تعالى اكابر
مجرميها احاسنكم اخلاقا قرئ بادئ الراي بالهمز وغير الهمز بمعنى اتبعوك اول الراي او ظاهر الراي
وانتصابه على الظرف اصله وقت حدث اول رايهم محذوف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه اراد ان
اتباعهم لك انما هو شيء عن لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم
وتاخرهم في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فكان

الاشرف عندهم ترك له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون
عليه اكرامهم واهانتهم ولم يدر انه عند الله في الدنيا بفرض اصل من الله وانما يتبعد ولا
يترفع به بل يصغر فضلا ان يجعله سببا للاختيار للنبوة والناهيك لها على ان الانبيا
بعثوا امر غيبيين في الاخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشانها وشان من آثر
اليها فما ابعد حالهم من الانصاف بما يعتد من الله والشرف بما هو شنعة عند الله من فضل الله
من زيادة شرف علينا توهلكم للنبوة بل نطنكم كاذبين فيما تدعون انه ارايتم اخبروني
ان كنت على بينة على برهان من ربي وشاهد منه يشهد بصحة دعواي واتاني رحمة من عنده
بايتاء البينة على ان البينة هي نفسها هي البينة ويجوز ان يريد بالبينة وبالرحمة النبوة
فان قلت يعوله فعميت طامة على الوجه الاول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه ان يقال
فعميتها قلت الوجه ان يقدر فعميت بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره
من ومعنى عميت خفيت وتوى فعميت بمعنى اخفيت وفي قراءة ابي فعماها عليكم فان قلت
فما حقيقته قلت حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عميا لان الاعمى
لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى عميت عليكم البينة فلم تهتدوا كما لو عمي على القوم دليلهم
في المفازة بتقوا بغير هاد فان قلت فما معنى قراءة ابي قلت المعنى انهم صمموا على الاعراض
عنها تخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله تعالى الزمكموها
وانتم لها كارهون يعني انكرهكم على قبولها وتفسركم على الاهتداء بها وانتم تكرهونها ولا
تختاروها ولا اكراه في الدين ودخول بعضهم في المفعولين متصلين جميعا وجوز ان يكون الثاني
منفصلا كقولك يعالى الزمكم اياها وتحوم فسيكفيكهم وتحوز فسيكفيكاياهم وحكي عن ابي
عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا حلسة خفيفة فطنها الراوي سكونا
والاسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا
يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر والضمير في قوله لما اسالكم عليه راجع الى قوله لهم اني لكم
نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله وترى وما انا بطارد الذين آمنوا المنون على الاصل فان قلت
ما معنى قوله انهم ملاقوا ربهم قلت معناه انهم يلاقون الله فيعاقبهم ان طردتهم او يلاقونه
فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما اعرف غير منهم او على خلاف ذلك
مما تعرفونهم به من سنا ايمانهم على بادي الراي من غير بطر وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم وانقر

سيرة ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون وتحوم ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية او هم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة تجهلون فتسفهون على المؤمنين وتدعونهم اراذل من قوله الا لا تجهلن احد علينا او تجهلون لقاء ربكم او تجهلون انهم خير منكم من منصرني من الله ان طردتهم وكانوا يسألونه ان يطردهم ليومنوا به انفة من ان يكونوا معهم على سواء اعلم الغيب معطوف على عندي خزائن الله اي لا اقول عندي خزائن الله ولا اقول انا اعلم الغيب وعناه لا اقول لكم عندي خزائن الله فادعي فضلا عليكم في الغنى حتى تحسدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا ادعي علم الغيب حتى تستبعدوني لاكذب والافتراء او حتى اطلع على ما في نفوس اتباعي وضمائر قلوبهم ولا اقول اني ملك حتى تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا ولا احكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم ان الله لن يؤتيهم خيرا في الدنيا والاخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم اني اذا من الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وازرى به قصر به يقال ازدرته عينه وافتحمته عينه جاد لنا فاكثر معناه اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر وآطاب فانثنا ما تعدنا من العذاب المعجل انما ما تكم به الله اي ليس الاتيان بالعذاب الي انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه ان شاء يعني ان اقتضت حكمته ان يعجله لكم وقراءة ابن عباس فلا اكون جدالنا فان قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين قلت قوله ان كان الله يريد ان يغويكم جزاء وما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك ان احسنت الي احسنت اليك ان امكنني فان قلت فما معنى قوله ان كان الله يريد ان يغويكم قلت اذا اراد الله من الكافر الاصرار لخلاه وشانه ولم يلجئه سمي ذلك اغواء واضلالا كما انه اذا اراد عبد ان يتوب ويرعوى فلطفه به سمي ارصادا وهدايته وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غويا اذا بشم فهلك ومعناه انكم اذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا ينفعكم نصحي الله ومواعظه وسائر الطافه كيف ينفعكم بضعي فعلي اجراي واجراي لفظ المصدر والجمع كقوله تعالى والله يعلم اسرارهم واسرارهم وتحو جرم واجرام فعل وافعال وينصر الجمع ان فسر الاول بانا مي والمعنى ان صح وثبت انا فتريته علي عقوبة اجرامي اي فتراني وكان حقي حينئذ ان يعرضوا عني وتقابلوا علي وانا بري عني ولم تثبت ذلك وانا بري منه ومعنى مما تجرمون من اجرامكم

في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم لن يؤمن اقناط من ايمانهم وانه
كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع الا من قد آمن وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع
وقد اصابت محزها فلا تبتئس فلا تحزن حزن بائس مستكين قال ما يقسم الله اقبل غير مبتئس
منه واقعد كريما ناعم البال والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك واذايك ومعاداتك
فقد حان وقت الانتقام لك منهم باعيننا في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظة
وحقيقته ملتبسا باعيننا كان الله معه اعينا تكلاؤه ان يزيغ في صنعته عن الصواب
وان لا يحول بينه عمله احد من اعدائه ووحينا وانا نوحي اليك ونسلمك كيف يصنع عن
ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان تصنعها مثل جؤجؤ الطائر ولا
تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شان قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك
انهم مغرقون انهم محكوم عليهم بالاغراق قد وجب ذلك وقضي به القضاء وجف القلم
فلا سبيل الى كفه كقوله تعالى يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم
عذاب غير مردود ويصنع الفلك حكاية حال ماضية سخروا منه ومن عمله السفينة
وكان يعملها في برية بهماء في ابعد موضع من الماء وفي وقت عز الماء فيه غيرة شديدة
فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا فانا نسخر منكم يعني
في المستقبل كما تسخرون منا الساعة اي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع
عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا
نستجهلكم فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فانتم اولى بالاستجهال
منا او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل
بحقيقة الامر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروي
ان نوحا عليه الصلوة والسلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلثمائة
ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب
الساج وجعلها ثلاث بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي
البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد
وحمل معه جسد آدم وجعله معترضا بين الرجال والنساء وعن الحسن كان طولها الفا
ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه الصلوة والسلام لو
بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب

عليه الصلوة والسلام

فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب
بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن راسه وقد
شاب فقال له عيسى عليه الصلوة والسلام اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت
انها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي
ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للطير ثم
قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا من يأتيه في محل النصب يعلمون اي فسوف يعلمون الذي يأتيه
عذاب يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه حلول الدين والحق
اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب الآخرة حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام
ادخلت على الجملة من الشرط والجزاء فان قلت وقعت غاية لماذا قلت لقوله تعالى ويصنع الفلك
وكان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد فان قلت فاذا اتصلت حتى يصنع فما يصنع بما بينهما
من الكلام قلت هو حال من يصنع كانه قال يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا
منه فان قلت فما جواب كلما قلت اتت بين امرين اما ان يجعل سخروا جوابا وقال استئنافا
على تقدير سؤال سائل او يجعل سخروا بدلا من مر او صفة لملأ وقال جوابا واهلك عطف
على اثنين وكذلك ومن آمن يعني واحمل اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من اهله من سبق عليه القول
انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته
به تعالى الله عن ذلك قال الضحاك اراد ابنه وامرأته الا قليل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن محمد بن اسحاق كانوا عشرة خمسة رجال
وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم
فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء يجوز ان يكون كلاما واحدا وكلامين والكلام
الواحد ان يتصل باسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت
اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء
حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يراد الاجراء والارساء
وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول والكلامان اما ان يكون باسم الله مجراها
ومرساها جملة مقتضية من مبتدأ وخبر اي بسم الله اجراؤها وارساؤها يروى انه كان اذا اراد ان
تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم

وطبقة للانس صح

السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اى بقدرته وامره وقرئ مجراها ومرساها بفتح
الميم من جرى ورسى اما مصدرين او وقتين او مكانين وقرا مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ
اسم الفاعل مجرورى المحل صفة لله فان قلت ما معنى قولك جملة مقتضية قلت معناه ان نوحا
عليه الصلوة والسلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر اسم الله او بامره وقدرته
ويحتمل ان تكون غير مقتضية بان تكون فى موضع الحال كقوله وجاؤنا بهم سكرى علينا فلا تكون كلاما
براسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا
فيها مجراة مرساة باسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربى لغفور رحيم لولا مغفرته
لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم فان قلت بم اتصل قوله وهى تجرى بهم قلت بمحذوف دل عليه اركبوا
فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهى تجرى بهم اى تجرى وهم فيها فى موج كالجبال
يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل فى تراكمها وارتفاعها فان قلت الموج ما يرتفع فوق
الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والارض وكانت الفلك تجرى فى
خوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى تجريها فى الموج قلت كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان يغمر الطوفان
الجبال الا ترى الى قول ابنه ساوى الى جبل يعصمنى من الماء قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرا
على رضى الله عنه ابنها والضمير لامراته وقرا محمد بن على وعروة بن الزبير ابنة بالفتح الهاء يريد
ان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سالته فقال والله ما
كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابنى من اهلى وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون
فى انه كان ابنه فقال ومن ياخذ دينه من اهل الكتاب واستدل بقوله من اهلى ولم يقل منى
ونسبته الى امه وجهان احدهما ان يكون ربيبا له كعمر بن ابى سلمة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقرا
السدى ونادى نوح ابناه على الندبة والترثى اى قال يا بناه والمعزل مفعل من عزله عنه اذا
نحاه وابعده يعنى وكان فى مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان فى معزل عن
دين ابيه يا بنى فرى بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة
من ياء الاضافة فى قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما
ساكنة الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم اى الا مكان من رحم
الله من المؤمنين وكان لهم غفورا رحيما فى قوله ان ربى لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من
الماء

اليوم صح

الماء قال له لا يعصمك معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحم الله
ونجاهم يعنى السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحم الله كقولك ماء دافق
وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو
المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقرئ الا من رحم على البناء للمفعول
نداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما
بالخطاب من بين ساير المخلوقات وهو قوله يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز
والعقل من قوله ابلعى ماءك واقلعى من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض
وهذه الاجرام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون
قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا بحتم طاعته
عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على
مشيته على الفوز من غير ريب فكما يرد عليهم امره كان المامور به مفعولا لا حبس
ولا ابطاء والبلع عبارة عن النشف والاقلاع الامساك يقال اقلع المطر واقلعت الحمى
وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضى الامر وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه
واستوت واستقرت السفينة على الجودى وهو جبل بالموصل وقيل بعدا يقال بعد
بعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء
السوء ومجى اخباره على الفعل المبنى للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك الامور العظام
لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك فى افعاله فلا
يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى ولا ان يقضى ذلك الامر الهايل
غيره ولا ان تستوى السفينة على متن الجودى وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما
ذكرنا من المعانى والنكت استفصح علماء البيان هذه الاية ورقصوا لها رؤسهم لالتجانس الكلمتين
وهما قوله تعالى ابلعى واقلعى وذلك وان كان لا يخلى الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء
تلك المحاسن التى هى اللب وما عداها قشور وعن قتادة رضى الله تعالى عنه استقلت بهم السفينة
لعشر خلون من رجب وكانت وكانت فى الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودى
شهرا وهبط يوم عاشورا وروى انها مرت بالبيت وطافت به سبعا وقد اعتقه الله من
الغرق وروى ان نوحا عليه الصلوة والسلام صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله

تعالى نداوه ربه دعاوه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجيه اهله فان
قلت فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفاء قلت اريد
بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء
خفيا قال رب بغير فاء ان ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او
كان ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد بعده فهو الحق الثابت الذي
لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين
اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في
الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين
فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما
قيل دارع من الدرع وحايض وطالق على مذهب الخليل انه عمل غير صالح تعليل لانتفاء
كونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في
دينك ومعتقدك من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وانت قرشيا لصيقك
وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت
ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير لنداء نوح
عليه الصلوة والسلام اي ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس نداك فان قلت فهلا قيل انه عمل فاسد
قلت لما نفاه عن اهله نفا عنه صفتهم بكلمة النفي التي هي تستبقي معها لفظ المنفي وآذن
بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا ما انتفى عنه
الصلاح لم ينفعه ابوتك كقوله تعالى كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما
فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح اي عملا غير صالح وقرئ فلا تسئلن بكسر النون بغير
ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس معنى ملتمسا او التماسا لا
يعلم اصواب هو ام غير صواب حتى يقف على كنهه وذكر المسئلة دليل على ان النداء كان قبل
ان يغرق حين خاف عليه فان قلت لم سمى نداءه سؤالا ولا سؤال فيه قلت قد تضمن دعاؤه
معنى السؤال وان لم يصرح به اذا ذكر الموعد بنجاة اهله في وقت مشارفة ولده الغرق
فقد استنجز وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه
والى امثاله من افعال الجاهلين فان قلت قد وعده ان ينجي اهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم
دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز

عليه

عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب فلم
زجر وسمى سؤاله جهلا قلت ان الله عز وجل قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه
القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم
ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارفوا ولده الغرق في انه من المستثنين لا
من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يوجب ان لا يشتبه وقوله ان اسالك من ان اطلب
منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تادبا بادبك واتعاظا بموعظتك والا تغفر لي ما فرط مني
من ذلك وترحمني بالتوبة علي اكن من الخاسرين اعمالا وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء بسلام منا
مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك مكرما وبركات عليك ومباركة عليك والبركات
الخيرات النامية وقرئ وبركة عليك على التوحيد وعلى امم ممن معك يحتمل ان يكون من للبيان فيراد
الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم وان
يكون لابتداء الغاية اي على امم ناشية ممن معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه وقوله وامم رفع
بالابتداء وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره ممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن
معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشأون ممن معك وممن معك
امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه الصلوة والسلام ابا الانبياء والخلق بعد
الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد كعب القرظي ذلك في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة
الى يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج
منهم نسلا منهم من رحم ومن عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب تلك اشارة الى
قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها اخبار اي تلك القصة بعض انباء الغيب موحاة
اليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل ايحائي اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم
الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع
في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه وقوله ان العاقبة في الفوز والنصر والغلبة
للمتقين وقوله ولا قومك معناه ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شانهم
ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده اخاهم واحدا منهم
وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا وهودا عطف بيان وغيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور
وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ ان انتم الا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له

شركا ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شانهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها
الا حسم المطامع وما دام يتوهم شي منها لم تنجع ولم ينفع افلا تعقلون اذ تردون نصيحة من لا
يقبل عليها اجرا الا من الله تعالى وهو ثواب الاخرة ولا شي انفى للتهمة من ذلك قيل استغفروا
ربكم امنوا به ثم توبوا اليه عن عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان والمدرار الكثير الدرور
كالمغزار وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان
القوم كانوا اصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا
احوج شي الى الماء وكانوا مدلين بما اوتوا من شدة القوة والبطش والباس والنجدة
مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل اراد القوة في المال وقيل
القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت ارحام نسايهم وعن الحسن بن
علي انه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا ولد لي
فعلمني شيا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما
استغفر في يوم واحد سبع ماية مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا
سالته مم فقال ذلك فوفد وفدة اخرى فساله الرجل فقال الم تسمع قول هود ونزدكم قوة
الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه
وارغبكم فيه مجرمين مصرين على اجرامكم واثامكم ما جيتنا ببينة كذب منهم وجحود كما قالت
قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه اية من ربه مع فوت اياته الحصر عن قولك
حال من الضمير في تاركي الهتنا كانه قيل وما نترك الهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمومنين
وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك فيما يدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة اعتراك مفعول
نقول والا لغو والمعنى ما نقول الا قولنا اعتراك بعض الهتنا بسوء اي خبلك ومسك بجنون
لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافاة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم يتكلم
بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من اولئك ان يسموا التوبة والاستغفار
خبلا وجنونا وهم عاد اعلام الكفر واوتاد الشرك وانما العجب من قوم متظاهرين بالاسلام
سمعناهم يسمون التايب عن جنونه مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم نجدهم على عشر مما
كانوا عليه في ايام جاهليته من الموادة وما ذاك الا لعرق من الالحاد اني ان لا ينبض وضب
من الزندقة اراد ان يطلع راسه وقد دلت اجوبتهم المتقدمة على ان القوم كانوا جفاة

غلاظ

غلاظ الاكباد يبالون بالبهت ولا يلتفتون الى النصح ولا يلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير
دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين
اجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب من اعظم الايات ان يواجه بهذا الكلام رجل
واحد امة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وانه
يعصمه فلا ينشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه الصلاة والسلام ثم اقضوا الي
ولا تنظرون اكد براته من الهتهم وشركهم ووثقها بما جرت عادة الناس من توثيقهم الامور
بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد علي اني لا افعل كذا ويقول لقومه
كونوا شهدا علي اني لا افعله فان قلت هلا قيل اني اشهد الله واشهدكم قلت لان اشهاد
الله على البراة من الشرك اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده واما
اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف
ما بينهما وجي به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يئس الثرى بينه وبينه اشهد
علي اني لا احبك تهكما به واستهانة بحاله مما يشركون من دونه من اشراككم الهة من دونه
او مما تشركونه من الهة من دونه اي انتم تجعلونها شركا له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك
سلطانا فكيدوني جميعا انتم والهتكم اعجل ما تفعلون من غير انظار فاني لا ابالي بكم وبكيدكم
ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علي وانتم الاقويا الشداد فكيف تضرني الهتكم وما هي الا
جماد لا تضر ولا تنفع وكيف ينتقم مني اذا ثلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلني وتذهب
بعقلي ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلايته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل
من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه
والاخذ بنواصيها تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم يريد انه على طريق الحق والعدل
في ملكه لا يقويه ظالم ولا يضيع عنده معتصم به فان تولوا فان تتولوا فان قلت الابلاغ كان
قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط قلت معناه فان تتولوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ
وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم فقد بلغكم فابيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة
الرسول ويستخلف كلام مستانف يريد ويهلككم الله ويجي بقوم اخرين يخلفونكم في
دياركم واموالكم ولا تضرونه بتوليتكم شيا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع
وانما تضرون انفسكم وفي قراة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد

ابلغتكم والمعنى ان تتولوا بعد ردى وتستخلف قوما غيركم ولا تضروا الا انفسكم
على كل شئ حفيظ اى رقيب عليه مهيمن فما يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مواخذتكم
او من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت معتقرة لا حفظه من الحضار
لم يضر مثله مثلكم والذين امنوا معه قيل كانوا اربعة الاف فان قلت ما معنى تكرير
النجيه قلت ذكر اولا انه حسن اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب
غليظ على معنى وكانت تلك النجيه من عذاب غليظ وذلك ان الله عز وجل بعث عليهم
السموم فكانت تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد
بالنجيه النجيه من عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وقوله برحمة منا
يريد بسبب الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق له وتلك عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم
كانه قال هي التي في الارض فانظروا اليها واعتبروا ولم يستأنف وصفاحوالهم فعالة
جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع الرسل
لان الكفر بنبي واحد من رسله نسل لم يرسل اليهم الا هود وصفه كل جبار عنيد يريد
رؤسائهم وكبرائهم ودعائهم الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم ولما كانوا
كانوا يطعنون فيه دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين يلحقهم على وجوههم
في عذاب الله والآ وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له وبعث
على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فان قلت بعدا لعاد عابا لهلاكهم فما معنى الدعاء عليهم بعد
هلاكهم قلت معناه الدلالة على انهم كانوا مستأهلين له الا ترى الى قوله اخوتي لا يبعدوا وابدا
وبلى والله لقد بعدوا قوم هود عطف بيان لعاد فان قلت ما الفائدة في هذا البيان
والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة وسما ويجعل فيهم امرا
محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولان عادا اعادان الاولى القديمة التي هي قوم هود
والقصة فيهم والاخرى ارم هو انشاكم من الارض لم ينشئكم الا هو ولم يستعمركم فيها غيره
وانشاكم منها خلق آدم من التراب واستعمركم وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى
واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار
وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسئال نبي من انبياء زمانهم ربه عز سبب
تغييرهم فاوحى الله تعالى الله انهم عمروا بلادي وعاش فيها عبادي وعمر معاوية بن ابي سفيان اذا اخذ

في

في احيا الارض في آخر امره فقيل له بقال ما حملني عليه الا قول القائل ليس الفتى بفتى لا
يستضاء به ولا يكون له في الارض آثار وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء
وقد حمل من العمرى وهو وجهان احدهما ان يكون استعمر في معنى اعمر كقوله استملكه بمعنى
املكه ومضاه اعمركم فيها دياركم ثم تموتون وتتركونها منكم عند انقضاء اعماركم والثاني ان يكون
بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث دارا من احد قيل استعمر ابا فلان انه
يسكنها عمره ثم يتركها لغيره موت اني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وسأله فينا
فيما بيننا موجوا كانت تلوح لك مخايل الخير في امارات الرشد فكنا نرجو ك لتفزع بك وتكون
مشاورا في الامور ومستنرشدا في الذاهير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك
وعلمنا ان لا خير لك وعز ابن عباس رضي الله تعالى عنه فاضلا خيرا تفلل بك على جميعنا
وقيل كنا نرجوا ان تدخل في ديننا على ما نحن فيه بعدا لها وتاحا كاد حال ما ضيه مرتب
مرادا به اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين او من اراب اذا
كان ذا ريبة على الاسناد المجازي مثل ان كنت على بينة من ربي بحرف الشك وكان على يقين
انه على بينة لان خطابه للجاحدين وكانه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة
وانظروا ان ما تعتكم وعصيتم ربي في اوامره فمن يمنعني من عذاب الله فما تزيدونني غير
تخسير يعني تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملوني عليه غير ان
اخسركم اي انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون انه نصب على الحال قد عمل فيها ما دل
عليه اكم الاشان من معنى الفعل فان قلت فيم تتعلق لكم قلت بآية حالا منها مقدمة لانها
لو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال وقوله عذاب قريب عاجل لا
يستأخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك بلاثة ايام ثم نفع عليكم اي تمتعوا بالعيش في داركم
في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه جدار فيها اي تصرف يقال ديار بكر بلادهم وتقول العرب الذين
خرجوا الى مكة نحن من عرب الديار يريدون من عرب البلاد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم
الاربعاء وهلكوا يوم السبت غير مكذوب غير مكذوب فيه وانتصب في الظرف بحذف الخافض واجرايه
مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه او على المجاز كانه قيل للوعد بقي بك
فاذا وفى به فقد صدق ولم يكذب او وعد غير مكذوب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول
وكالمصدقة بمعنى الصدق وقوله ومن خزي يومئذ اي ومن خزي يومئذ فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويومئذ مفتوح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن

كقوله على حين عابت المشيبُ ق ن ظ ن ه على عطف ق ل ت على نجينا الان ينقذ من نجيناهم
من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ وكانت النجية من خزي يومئذ اي من ذُلّه
ومهانته وفضيحته ولا خزي اعظم ممن كان هلاكه بغضب الله واسفاسه وكون
ان يولد يومئذ القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الاخرة وقرئ الا ان ثمود
وثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للاحياء والاب الاكبر ومنعه للتعريف
والتانيث بمعنى القبيلة رسلنا يريد الملائكة عن ابن عباس جاء جبريل وما كان معه
وقيل جبريل وميكايل واسرافيل وقيل كانوا سبعة وعن السدي احدى عشرة بالبشرى
هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد سلاما سلمنا عليك سلاما اسلام
امركم سلام وقرئ قالوا اسلاما قال سِلْمٌ بمعنى السَّلْم وقيل سِلْمٌ وسَلامٌ كحرم وحرام والمعنى
مرّ بنا فقلنا اليه سِلْمٌ فسلمت كما تُنتل بالبرق الغمام اللوائح فما لبث ان جاء فما لبث في
المجي به بل عجل فيه او فما لبث بحيث عُجِّل ولد البقر وابسمّى الحَسِيل والخَبَشّ بلغة اهل
السراة وكان مال ابراهيم البقر وحنيذ مشوي بالرضف في اخدود وقيل حنيذ نضيج
وسَمْطُه حَنَذَ الفرسُ اذا القيت عليها الجل حتى يقطر عرقا وبدل عليه بعجل سمين بعال
مكرهم وانكرهم واستنكرهم ومنكورة قليل في كلامهم وكذلك انا انكرك ولكن منكر ومتنكر
وانكرك وقال الاعشى وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا
وقيل كان ينزل في طرف من الارض فخاف ان يريد وابه مكروها وقيل كان عادتهم انه اذا مسّ
من يطرقهم طعامهم امنوه والا اخافوه والظاهر انه احسّ بانهم ملائكة ونكرهم لانه خوف ان
يكون نزولهم لامر انكره الله عليه ولتعذيب قومه الا ترى الى قولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط
وانما يقال هذا لمن رأى فيهم ولم يعرف فيهم ارسلوا فاوجس فاضمر وانما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر
الخوف والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب للخوف
لانهم كانوا لا يغزلون الا بعذاب وامرأته قائمة قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم
وقيل كانت قاعدة على رؤوسهم وفي مصحف عبد الله وامرأته قائمة وهو قاعد فضحكت
سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبائث او كان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد اظلم
العذاب وقيل كانت تقول لابراهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم
عذاب فضحكت سرورا لما رأت الامر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرأ محمد بن زياد

الاعرابي

الاعرابي فضحكت بفتح الحاء يعقوب رفع بالابتداء كانه قيل ومن وراء اسحاق يعقوب
مولود او موجود اي من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له اهذا ابنك فقال
نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب كانه قيل ووهبنا لها اسحق ومن
وراء اسحاق يعقوب على طريقة قوله ليبسوا مصلحين عشيرهم ولا ناعب الا في بانها منها
مبدلة من ياء الاضافة وكذلك في يا لهفا وتا عجبا وتراء الحسنها وليّ تا على الاصل
وشيخا نصب ما دل عليه هذا من الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر مبتدا محذوف اي هذا بعلي
هو شيخ او على بدل من المبتدا او شيخ خبرا وبكونان معا خبرين وقيل اشترت لها ثمانين
وتسعون سنة وقيل لابراهيم مائة وعشرون ان هذا لشيء عجيب ان يولد لمن هو مثلي ومثلها
استبعاد من حيث العادة التي اجرى الله بها والا فما انكرت عليها الملائكة تعجبا فقالوا
اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت النبوة ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات
فكان عليها ان تتوقد لا تزدهيها ما ترد هي سائر النساء الناشيات في غير بيوت النبوة
وان تسبح الله وتحمده مكان التعجب وانما ذكرت الملائكة صلوات الله تعالى عليهم في قولهم
رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ارادوا ان هذه امثالها مما يكرم به رب العزة ويخصكم بالانعام
به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجب وامر الله تعالى ولرسله وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته
عليكم كلام مستانف على انكار التعجب كانه قيل ايا كن والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة
مكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة والنبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم
وكلهم من ولد ابراهيم حميد فاعل ما استوجب به الحمد من عباده مجيد كريم كثير الاحسان اليهم واهل
البيت نصب على النداء وعلى الاختصاص لان اهل البيت مدح لهم اذ المراد اهل بيت خليل الرحمن الروع
ما اوجس من الخيفة حين نكرهم اضيافه والمعنى انه اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب
البشرى بل لما فهم فزع للمجادلة فان قلت اين جواب لما قلت هو محذوف كما حذف في قوله فلما
ذهبوا به واجمعوا وتوله مجادلنا كلام مستانف دال على الجواب المقدر اجترا على خطابنا
او فطن لمجادلنا او لما كنت وكنت ثم ابتداء فيقال مجادلنا في قوم لوط وقيل في مجادلنا موجوا
لما وانما جيء به مضارعا لحكاية الحال وقيل انما ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى
معنى الاستقبال وقيل معناه احد مجادلنا واصل مجادلنا والمعنى مجادل رسلنا ومجادلته اياهم
انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المومنين اتهلكونها قالوا

لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل
واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله
في قوم لوط في معناهم وعن ابن عباس قالوا له ان كان فيها خمسة تصلون رفع عنهم العذاب وعن
قتادة ما يوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان فيها اربعة الاف الف انسان ان ابراهيم لحليم غير
مجهول على كل من اساء عليه آوّاه كثير الغاء من الذنوب منيب تائب راجع الى الله مما يحب ويرضى
وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرافة والرحمة فيحتمل ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم
رجاء ان يرفع عنهم العذاب وتمهلوا العلم بحدوث التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه
ما ابراهيم عن ارادة القول الذي قالت له الملائكة اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة تبدو منك فلا
فايده فيه انه قد جاء امر ربك وحكمه الذي لا يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب نازل
بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لانهم حسب
انهم انس يخاف عليهم خبث نومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروى ان الله تعالى قال لهم
لا تهلكوهم حتى تشهد عليهم لوطا اربع شهادات فلما منّى مقامهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم
ما بلغكم امر هذه القرية قالوا ما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول
ذلك اربع مرات ودخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت بهم قومها
فعال يوم عصيب وعوصب اذا كان شديدا من قولهم عصبته اذا شدّه يهرعون يسرعون
كانما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش
ويكثرونها فصرّوا بها واصروا عليها وقيل عند مجيء الرسل قبحا فلذلك جاءوا يهرعون مجاهرين لا
يكفهم حياء وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك هؤلاء بناتي اراد
ان بقي اضافة بنات امته وذلك غاية الكرم واراد بناته او لبناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من
الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن وابل قبل
الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنيه وقرا ابن مروان
هن اطهر لكم بالنصب وضعّفه سيبويه وقال احيني ابن مروان في لحنه وعن بعض
العلماء من قراهن اطهر بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك ان الصابة على ان يجعل حالا وقد عمل
فيها ما في هاؤلاء من معنى الفعل كقولك هذا بعلي شيخا او ينصب هاؤلاء بفعل مضمر كانه قيل خذوا
هاؤلاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع
بين جزئي الجملة ولا يقع الحال وذي الحال وقد خرّج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك ان تكون
هاؤلاء مبتدا وبناتي هن جملة في موضع خبر الابتداء كقولك هذا اخي هو وتكون اطهر حالا فاتقوا

الله

الله بايثارهن عليهم ولا تخزوني في ضيفي ولا تفضحوني من الخزي او لا تخجلوني
من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق ضيوفي فانه اذا خزي ضيف الرجل او جاره فقد
خزي الرجل وذلك من رعاية الكرم واصالة المروة اليس منكم رجل رشيد رجل واحد يهدي
الى سبيل الحق ويفعل الجميل ويكف عن المساوي ويزجر ولا تخزون بطرح الياء ويجوز ان
يكون تحريض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم واظهار الشفقة امنعاصه مما اوردوا
عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الامر
واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت مالنا
بعلمك ما لنا في بناتك من حق لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابري وقيل لها اخذوا
ابيان الذكور مذهبا ودينا لو اطوهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من
الباطل قلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق فقط لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا الذي
نحن عليه ويجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة لتعلم ما تريد عنوا ابيان
الذكور وما لهم فيه من الشهوة جواب لو محذوف كقوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال يعني لو
ان لي بكم قوة لفعلت وكم وصنعت بمعنى ما لي به قوم وما لي به طاقة وكم لا قبل لهم بها وما لي
به يدان لانه في معنى لا اضطلع به ولا استقل به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت
الى قوي اعتضد الله وامنع به فحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته
ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوط
كان يأوي الى ركن سديد وقرى او آوي بالنصب باضمار ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا كقولها
للبس عباءة وتقرّ عيني وقرى الى ركن بضمتين وروي انه اغلق بابه حين جاءوا وجعل يراودهم
حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك
لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن
جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فعام في الصور التي تكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه
وشاح من در منظوم ومنه براق الانبياء فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال الله تعالى
فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط لسحرا
سحرا لن يصلوا اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليك ولم يقدروا على
ضرره قرى فاسر بالقطع والوصل والامر اليك بالرفع والنصب وروي انه قال لهم متى موعدهلاكهم قالوا

الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب وقرئ الصبح بضمتين فان قلت ما وجه
قراءة من قرأ الا امرأتك بالنصب قلت استثناها من قوله فاسر باهلك والدليل عليه قراءة
عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت على اصل
الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرأ بالرفع فابدلها عن احد وفي
اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما
سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان
يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين جعلنا
عاليها سافلها جعل جبريل جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح
الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة فوقهم من سجيل قيل هي كلمة معربة
من سنك كل بدليل قولهم حجارة من طين وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على
الظالمين ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل
وسجل لفلان منضود بضد في السماء نضدا بعدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في اثر
بعض متتابعا مسومة معلمة للعذاب وعن الحسن معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها
سيما تعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به وما هي
من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل فقال
يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو يعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير
للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم ببعيد بشيء بعيد ويجوز ان يراد وما
هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا انها اذا هوت منها فهي اسرع شيء
لحوقا بالمرمي به فكانها بمكان قريب منه اني اراكم بخير يريد بثروة وسعة يغنيكم عن التطفيف
او اراكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون او اراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه
كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا يوم
محيط مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو فان قلت وصف العذاب بالاحاطة
ابلغ ام وصف اليوم بها قلت بل وصف اليوم لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط
بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه فان قلت النهي عن النقصان
امر بالايفاء فما فائدة قوله اوفوا قلت نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال
والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن

في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وتعب عليه وجيء به مقيدا بالقسط اي ليكن
الايفاء على وجه العدل والسوية من غير زيادة لا نقصان امر انما هو الواجب لان ما جاوز العدل
فضل وامر مندوب اليه وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه
حسنه انه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال
زهير وفي كل ما بارع امرؤ بخس درهم وروي مكس درهم وكانوا ياخذون من كل شيء يباع شيئا
كما تفعل السماسرة او كانوا يمكسون الناس او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا
عن ذلك والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف
والبخس عثيا منهم في الارض بقية الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم
ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا وانما خوطبوا بترك التطفيف والبخس والفساد في الارض وهم كفرة
بشرط الايمان ويجوز ان يريد ما يبقى لهم عند الله فان قلت بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها
من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان قلت لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب
مع النجاة من العذاب وخفاء فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام
للايمان وتنبيه على جلالة شانه ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين فيما اقول لكم وانصح به اياكم ويجوز
ان يراد ما يبقى لهم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربكم واضافة
البقية الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما الحرام فلا يضاف الى الله ولا
يسمى رزقا واذا اريد به الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته
التي تصرف عن المعاصي والقبائح وما انا عليكم بحفيظ وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم
عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد اعذرت حين انذرت وكان شعيب عليه
الصلوة والسلام كثير الصلوات وكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم
اصلواتك تامرك السخرية والهزء والصلوة وان جاز ان يكون امرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في
قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلوة تامر بالجميل والمعروف كما يقال تدعوا اليه
وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلوة امرة على سبيل التهكم بصلاته
وارادوا به هذا الذي يامر به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وان مثله لا يدعوك اليه داعي عقل ولا
يامرك به آمر فطنة فلم يبق الا ان يامرك به آمر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلواتك التي تداوم
عليها في ليلك ونهارك وعندهم انها من باب الجنون وما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الاقوال

والانفكاك ومعنى تاركك ان تتركك سكليف ان تتركك ما يعبد آباؤنا فحذف المضاف الذى هو التكليف
لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقرى اصلاتك بالتوحيد وقرا ابن ابى عبلة اوان نفعل فى اموالنا
ما نشاء بنا الخطاب فيهما وهو ما كان ياءمرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال
القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها واراد وا
بقولهم انك لانت الحليم الرشيد نسبته الى غاية السفه والغى فعكسوا لينتهكوا به كما تنكم
بالشحيح الذى لا يبذل محرم فيقال له لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف
بالحلم والرشيد فى قومك يعنى ان ما نامرنه لا يطابق حالك وما تنهرنه به وزرقنى منه
اى من لدنه رزقا حسنا وهو ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا
من غير بخس ولا تطفيف فان قلت ان جواب ارايتم وما له لم تثبت كما اثبتت فى قصة نوح
ولوط قلت جوابه محذوف وانما لم تثبت لان اثباتها فى القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام
تناءى علمه والمعنى اخبرونى ان كنت على حجة واضحة وبقين من ربى وكنت نبيا على
الحقيقة انصح لى ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصى والا نبيا لا يبعثون الا
لذلك يقال خالفنى فلان الى كذا اذا قصدك وانت مولى عنه وخالفنى عنه اذا ولى عنه وانت
قاصده وقالوا الرجل صادرا عن الماء فتشكله عن صاحبه فيقول خالفنى الى الماء تريد
انه ذهب اليه واراد اوالنا ذاهبا عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه يعنى ان اسبقكم الى الشهوات التى نهيتكم عنها لا يستبدبها دونكم ان اريد
الا الاصلاح ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتى وتصيحتى وامرى بالمعروف ونهيى عن المنكر
ما استطعت ظرف اى مدة استطاعتى للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا الوافيه حقا
او بدل من الاصلاح اى المقدار الذى استطعته منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف
على قولك ما الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعول له كقوله ضعيف النكاية اعداءه اى ما
اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فسادكم وما توفيقى الا بالله وما كونى موفقا
لاصابة الحق فيما اتى وآذر وونوعه موافقا لرضا الله الا بمعونته وتاييده والمعنى انه
يستوفق ربه فى امضاء الامور على سننه وطلب منه التاييد والاظهار على عدوه وفى ضمنه
تهديد الكفار وحثهم لاطماعهم فى جرم مثل كسب فى تعديته الى مفعول واحد والى مفعولين يقول
جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا
ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم اى لا يكسبنكم شنآنهم اصابة العذاب وقرا
ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اى كاسبا وهو مقلوب من جرم المتعدى

الى مفعول واحد كما يقال كسبته المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته
اياه فلا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه والقرا ان مستويان فى المعنى لا تفاوت
بينهما الا ان المشهور افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة
انه على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم اذ وردوهم اكثر استعمالا وقرا ابو جعفر
ورويت عن نافع مثل ها اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطفت
وما قوم لوط منكم ببعيد يعنى انهم اهلكوا فى عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم اولا
يبعدون منكم فى الكفر والمساوى وما تستحق به الهلاك فان قلت ما بعيد لم يرد على ما تقتضيه
قوم من جملة على لفظه او معناه قلت اما ان يراد وما اهلاكهم ببعد او وما هم لشئ بعيد او ونونان
او مكان بعيد ويجوز ان تسوى فى بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمونث ورودها على
زنة المصادر التى هى الصهيل والهيبوز ونحوهما رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعلموا
ما يفعل البليغ الموقة بمن بوده من الاحسان والاجمال ما يعقه ما نفهم كثيرا مما تقول لانهم
كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا
يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفقهوه او قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما تقول الرجل
لصاحبه اذا لم يعبا بتحدثه ما ادرى ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وخليطا لاسفههم كثير
منه وكيف لا سفههم كلامه وهو خطيب الانبياء وقيل كان الثغ فينا ضعيفا لا قوم لك ولا عز
فيما بيننا ولا نقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل
ضعيفا اعمى ورميا نسمى المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لان فينا بابا ه الا نرى
انه لو سئل انا لنوا كل فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى فيهم وفى غيرهم ولذلك قالوا يومه حرث
جعلوهم رهطا والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا هم احترلما
لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لعلمنا ان شرذمة وما اثت
علينا بعزيز ولا يعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك
لانهم منا فاذا لم نقتلك احترمناك وكففنا عنك ولم نقبل دونهم ودل لولا على ضمير حرف النفى على ان الكلام
واقع فى الفاعل لا فى الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا والله
ملك فى جوابهم ارهطى اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فان قلت
فالكلام واقع فيه وفى رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله ارهطى اعز عليكم من الله قلت

تهاونهم به وهو نبي الله تهاونا بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم
من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا
وسميتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهور لا يعبأ به والظهري منسوب الى الظهر
والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسي بما تعملون محيط
قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها على مكانتكم لا تخلوا المكانة من ان تكون بمعنى المكان
يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا
قارين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن لي او اعملوا متمكنين من عداوتي
مطيقين لها اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني من تأتيه يجوز ان يكون
من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون اينا تأتيه عذاب يخزيه
واينا هو كاذب وان تكون موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقي الذي تأتيه عذاب
يخزيه والذي هو كاذب فان قلت اي فرق بين ادخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون قلت
ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستيناف الذي
هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال
سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستيناف للمتقين في البلاغة كما هو عادة بلغاء
العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستيناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه
وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول لكم اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى الراقب
من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى
المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله
على مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منهم ومنه فكان القياس ان يقول من تأتيه عذاب
يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من تأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي
المبعوث اليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في
زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم فان قلت ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو
والسياقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان
موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء التي هي للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء
الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فلم تقعا بتلك المثابة وانما وقعتا مبتدأين فكان
حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة الجاثم اللازم لمكانه لا يريم
كاللابد يعني ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا كان لم
يغنوا فيها كان لم يقيموا في ديارهم احياء متصرفين مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك

كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله تعالى كما بعدت وقرأ السلمي رحمه الله تعالى بعدت بضم العين
والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا التفصلة بين البعد من جهة
الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد
واوعد وقراءة السلمي جاءت على الاصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب
فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها
باياتنا وسلطان مبين فيه وجهان ان يراد ان هذه الايات فيها سلطان مبين لموسى على
صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها وما امر فرعون برشيد تجهيل
لمتبعيه حيث شايعوه على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه ادنى مسكة
من العقل وذلك لانه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي
الا من شيطان مارد ومثله بمعزل عن الالهية ذاتا وافعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا
على طاعته والامر الرشيد الذي فيه رشد اي وما في امره رشد انما هو غي صريح وضلال ظاهر
مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا الايات والسلطان
المبين في امر موسى عليه الصلوة والسلام وعلموا ان معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس
في امره رشد قط يقدم قومه اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه
ويجوز ان يريد بقوله وما امر فرعون برشيد وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه
تفسيرا لذلك وايضاحا اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد مستعمل في كل ما يحمد ويرضى
كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرجل كما يقال قدمه
بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش فان قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جيء بلفظ
الماضي قلت لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا
والورد المورد والمورود الذي ورده شبه بالفارط الذي يتقدم الموردة الى الماء وشبه اتباعه
بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد
والنار ضده واتبعوا في هذه الدنيا لعنة اي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الاخرة بئس الرفد المرفود
رفدهم اي بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة
في الاخرة وقيل بئس العطاء المعطى ذلك مبتدأ من انباء القرى نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبأ
بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها الضمير للقرى اي بعضها باق وبعضها عافي الاثر كالزرع

العالم عامة والذي حصل فان قلت ما محل هذه الجملة قلت هي مستانفة لا محل لها
وما ظلمناهم ما هلكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا فما اغنت عنهم الهتهم مما
فلو عرف ان ترد عنهم باس الله يدعون لعبدون وهي حكاية حال ماضية ولما منصوب بما
اغنت امر بريك عذابه ونقمته بتبلت تخسير بعال بيت اذا خسر وتبّبته غيره او تعه
في الخسران محل الكاف الوفع بقدره ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك النصب فيهما سواء وكذلك
اخذ ربك بلفظ الفعل وترى اذ اخذ القرى وهي ظالمة حال مما لقرى اليم شديد وجع صعب
على الماخوذ هذا جدير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرهم بالغ
لكل من ظلم غيره او نفسه بذنب يقترفه على ان اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد
فيبادر التوبة ولا يغتر بالامهال ذلك اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة بذنوبهم
لآية لمن خاف العبرة له لانه ينظر الى ما احل الله المجرمين في الدنيا وما موالا للموذج مما اعدلهم
في الاخرة فاذا راى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له غير وعظة ولطفا
في زيادة التقوى والخشية من الله وكون ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك اشارة الى يوم القيمة
لان عذاب الاخرة دل عليه والناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يوفع بفعله اذا قلت يجمع له
الناس فان قلت لاي فايدة اوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من الدلالة على ثبات
معنى الجمع لليوم وانه يوم لا بد من ان يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وانه الموصوف بذلك صفة
لازمة وهو ابنت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا يشغلون منه ونطير قول المتهدد انك
لمنهوب مالك محروب وممكن منه من يمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وان شئت فوازن بينه
وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تقف على صحة ما قلناه لك ومعنى يجمعون له يحمعون لما فيه من الحساب
والثواب والعقاب يوم مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه
سليما وعامرا اي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه
ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور وما في محفل من نواحي الناس مشهود فان قلت ما
منعك ان تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون ان تجعله مشهودا فيه كما قال تعالى فمن شهد منكم
الشهر فليصمه قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الايام
فان جعلته مشهودا في نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن تجعل مشهودا فيه
حتى تحصل التمييز كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز

الاسبوع ص

ان يكون مشهودا في نفسه لا سائر ايام مشهود مثله يشهد ما كل من يشهد وكذلك قوله
فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به كذلك الضمير في فليصمه والمعنى
فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني فمن كان منكم مقيما حاضرا لوطنه في شهر رمضان فليصم
فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما شهدا ان الشهر لا يشهده
المقيم ويغيب عنه المسافر الاجل يطلق على مدة الحاجيل كلها وعلى منتهاها يقولون
انتهى الاجل وبلغ الاجل آخره ويقولون دنا الاجل فاذا جاء اجلهم يراد آخر مدة الحاجل
والعدة انما هو للمدة لا لانتهائها ومنتهاها يعني قوله وما نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء
مدة معلومة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخر بالياء قرئ بالتاء تغليبا وبحو قولهم لا ادر يوم ص
حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل فان قلت
فاعل يأتي ما هو قلت الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله او يأتي ربك وجاء ربك
وبعضهم قرأه من قراءة وما يؤخره بالياء وقوله باذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم
كقوله هل ينظرون الا ان تاتيهم الساعة فان قلت ثم انتصب الظرف قلت اما ان ينتصب
بلا تكلم او باضمار اذكروا واما بالانتهاء المحذوف في قوله الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم يأتي
فان قلت فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فما جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم وحدثت
الشيء بنفسه قلت المراد اتيان هوله وشدايده لا تكلم لا تكلم وما نطير قوله لا يتكلمون الا من
اذن له الرحمن فان قلت كيف توفق بين هذا وبين قوله يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها
وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلت ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي
بعضها يجادلون عن انفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون
وفي بعضها يختم على افواههم وتكلمهم ايديهم وتشهد ارجلهم فمنهم الضجر لاهل الموقف ولم يذكروا
لان ذلك معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس والشقي
الذي وجبت له النار لاسائه والسعيد الذي وجبت له الجنة لاحسانه قرأ العامة بفتح
الشين وعن الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا والوقف على اخراج النفي والتشهيق رده
قال الشماخ بعيد مدى التطريب اول صوته زفير وشلوه شهيق محشرج
دامت السموات والارض فيه وجهان احدهما ان يراد سماوات الاخرة وارضها وهي دائمة
مخلوقة الابد والدليل على ان لها سماوات وارضا قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض

والسموات وقوله تعالى واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشا ولانه لابد للاهل
الاخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء يخلقها الله او يظلهم العرش وكل ما اظلك فهو سماء والثاني
ان يكون عبارة عن التابيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير
وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التابيد فان قلت فما معنى الاستثناء في قوله تعالى الا ما
شاء ربك وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار في الابد من غير استثنا قلت هو استثناء من
الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب
النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو اغلظ منها
كلها وهو سخط الله عليهم وخسئه لهم واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو
اكبر منها واجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال تعالى وعد الله المومنين والمومنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من
الله اكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا تعرف كنهه الا هو فهو المراد
بالاستثناء والدليل عليه قوله تعالى عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته ان ربك
فعال لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا
انقطاع له فتامله فان القران يفسر بعضه بعضا ولا يحد عنك عنه قول المجبرة ان المراد
بالاستثناء خروج اهل الكبائر من النار بالشفاعة فان الاستثناء الثاني ينادي على
تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله تعالى لما روى لهم بعض النوابت عن
عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها
احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وقد بلغني ان من الضلال من اغتر بهذا
الحديث فاعتقد ان الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان
المبين زادنا الله تعالى هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان يعقل عنه ولئن
صح هذا عن ابن العاص فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم
وصفق ابوابها واقول اما كان لابن عمرو في سيفيه ومقابلته بهما علي بن ابي طالب
رضوان الله تعالى عليه ما شغله عن تسيير هذا الحديث غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه
ممتد الى غير نهاية كقوله تعالى لهم اجر غير ممنون لما قص الله تعالى قصص عبده الاوثان
وذكر ما احل بهم من نقمة وما اعد لهم من عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد هولاء اي فلا
تشك

تشك بعد ما انزل اليك من هذا القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما اصاب امثالهم
قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون
الا كما يعبد اباؤهم يريد ان حالهم في الشرك مثل حال ابائهم من غير تفاوت في الحالين وقد بلغك
ما انزل بابائهم فسينزل بهم مثله وهو استيناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما
وكما يجوز ان تكون مصدرية وموصولة اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدون من الاوثان
ومثل ما يعبدون منها وانا لموفون نصيبهم اي حظهم من العذاب كما وفينا اباءهم انصباءهم
فان قلت كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى قلت يجوز ان يوفى وهو ناقص
ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا
فاختلف فيه آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القران ولولا كلمة يعني كلمة الانظار
الى يوم القيمة لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك وهذه من جملة التسلية ايضا وان كلا
التنوين عوض من المضاف اليه يعني وان كلهم وان جميع المخلفين ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام
في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبح وايمان
وجحود وقرئ وان كلا بالتخفيف على اعمال ان المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو
التثقيل وقرا ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقراءة عبد الله مفسرة لها
وان كل الا ليوفينهم وقرا الزهري وسليمان بن ارقم وان كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله اكلا
لما والمعنى وان كلا ملومين بمعنى مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم
اجمعون فاستقم كما امرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها على جادة
الحق غير عادل عنها ومن تاب معك معطوف على المستتر في استقم وانما جاز العطف عليه ولم يوكد
بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك ولا
تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله انه بما تعملون بصير عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس رضي
الله تعالى عنه ما نزلت على رسول صلى الله عليه وسلم في جميع القران اية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه
الاية ولهذا قال صلى الله عليه وسلم شيبتني هود والواقعة واخواتها وروي ان اصحابه قالوا
اصحابه له لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم في النوم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها اقصص
الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت وعن جعفر الصادق فاستقم كما امرت قال

اتقرب الى الله بصحة العزم نوى ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن ابى عمرو
بكسر التاء وفتح الكاف على لغة بنى تميم لكسرهم حروف المضارعة الا الياء فى كل ما كان من باب علم
يعلم وكون تراة من تراء فتمسكم النار بكسر التاء وترا ابن الى عبله ولا تولكنوا على البناء للمفعول
من الركنة اذا اماله والنهى متناول للاخلاط فى مواهبهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم
ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والقرنى بهم ومد العين
الى زهرتهم مما هم عليه تعظيم لهم وتامل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله الى الذين
ظلموا اى الذين وجد منهم الظلم ولم يقبل الى الظالمين وحكى ان ابن الموتن صلى خلف الامام فقرا
هذه الاية فغشى عليه فلما افاق قيل له فقال لهذا فيمن يركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن
رحمه الله تعالى حمل الله الذين يسعون لابن ولا تطفوا ولا تركنوا ولما خالط الزهرى السلاطين
كتب اليه اخ له فى الدين عافانا الله واياك ايا يكون من الفتن وقد اصبحت بحال ينبغى لمن عرفك
ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله عما فصلك من كتابه وعلمك
من سنة نبيه وليس كولك قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ابسر
ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغى بدنوك منه
لم يودّ حقا ولم يترك باطلا حين ادناك الخدوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون
عليك الى بلائهم وسلما يصعدون منك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون
بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك فى جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك بما انسدوا
عليك من دنك فما يؤمنك ان يكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا
الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك
فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا
فى السماء والسلام وقال سفين فى جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزايرون للملوك
وعن الاوزاعى ما من شئ ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة
احسن من قارئ على باب مولاه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا الظالم بالبقاء فقد
احب ان يعصى الله فى ارضه ولقد سيل سفين عن ظالم اشرف على الهلاك فى بوية هل
يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من اولياء
حال من قوله فتمسكم النار اى فتمسكم النار وانتم على تلك الحال ومعناه وما لكم من دون الله

من

من انصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم منه غيرهم لا تنصرون بهم لا
تنصرون بسببهم ولانه وجب لحكمة تعبدكم وتوكل الابقاء عليكم فان قلت ما معنى ثم بعد ما
الاستبعاد ان النصرة من الله تعالى بعيدة عن استحقاقهم العذاب واقتضاء حكمته له فى
طرفى النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات من الليل وهى ساعاته القريبة
من اخر النهار من ازلفه اذا قربه وازلفته اليه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية
الظهر والعصر وما بعدها بعد الزوال عند ابى حنيفة وصلاة الزلف المغرب والعشاء واشتاب
طرفى النهار على التطرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك اتيتك طرفى جميع النهار واتيته
نصف النهار واوله واخره ونصبهما كذلك على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ونحو
واطراف النهار وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف
جمع زلفة كظلم فى ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو بسر
وبسر وبسر والزلفى بمعنى الزلفة كان القربى بمعنى القربة وملوما يقرب من آخر النهار
من الليل وقيل وزلفا من الليل وتربا من الليل وحقها على هذا التفسير ان تعطف على الصلاة
اى اقم الصلوة طرفى النهار واقم زلفا من الليل على معنى وافعل صلوات تتقرب بها الى الله عز وجل
فى بعض الليل ان الحسنات يذهبن السيات يذهبن السيات فيه وجهان احدهما ان يراد بالصغائر
بالطاعات وفى الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثانى
ان الحسنات يذهبن السيات بان يكن لطفا فى تركها كقوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر وقيل نزلت فى ابى اليسر عمرو بن غزية الانصارى كان يبيع التمر فاتته امراة
فاعجبته فقالت لها ان فى البيت اجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه
وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال
انطلق فتصدق فلما صلى صلاة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت وروى انه
انا ابا بكر فاخبره فقال استر على نفسك وتب الى الله فاتى عمر فقال له مثل ذلك فاتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقولت فقال عمر اهذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له توضا وضوءا حسنا وصلى ركعتين ان الحسنات يذهبن
السيات ذكر اشارة الى قوله فاستقم فما بعده وذكرى للذاكرين عظة للمتعظين ثم كر الى المذكر
بالصبر بعد ما جاء بما هو ظائمة للمذكر وهذا الكرور خصوصية ومزية ونبه على مكان الصبر

ومحله كانه قال وعليكم بما هو اهم مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال
ما امرتم به والانتهاء عما نهيت عنه فلا تتم شيء منه الا به فان الله لا يضيع اجر
المحسنين جاء بما هو شامل على الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون
الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات ولولا كان من القرون فهلا كان وقد حكوا عن الخليل
كل لولا في القرآن فمعناها هلا الا التي في الصافات وما صحت هذه الحكاية فهي غير الصافات
لولا ان تداركه نعمة من ربه ولم ارجال مجانين ولولا ان تقسمك لقد كنت تركن اليهم اولو
بقية اولو فضل خير وسمي الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقى ما يخرجه
اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اي
من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة ان تذنبوا ثم ما يبقى بقيتكم ومنه قولهم في الزوايا
خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى
اي فهلا كان منهم ذو بقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ اولو
بقية بوزن لقية من بقاه بتبقيه اذا رايته وانتظرته ومنه بقينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم والبقية المرة من مصدر والمعنى ولولا كان منهم اولو مراقبة
وخشية من انتقام الله كانهم ينطرون انفاعهم بهم لاشفاقهم الا قليلا استثنا منقطع
معناه ولكن قليلا ممن نجينا من القرون نهوا عن الفساد وسايرهم ناركون للنهي ومن
في ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم
بدليل قوله عز وجل انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا فان قلت هل
لو نوع هذا الاستثنا متصلا وجه تحمل عليه قلت ان جعلته متصلا على ما عليه
ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تخضيضا الاولى البقية على النهي عن الفساد الا
للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحا منهم تريد استثنا الصلحا
من المحضضين على قراءة القرآن وان جعلت في تخضيضهم على النهي عن الفساد معنى بقية
عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اولو بقية الا قليلا كان ايسر شيء متصلا ومعنى صحيحا
وكان انتصابه على اصل الاستثنا وان كان الافصح ان يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا ما
انرفوا فيه اراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات ان لم يصنعوا ما مورين عظم من اركان
الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات وانبعوا ما عرفوا
فيه النعم والتنزف من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهني ورفضوا ما وراء

ذلك

ذلك وتبذروه وراء ظهورهم وقرا ابو عمرو في رواية الجعفي واتبع الذين ظلموا بمعنى
وابتعوا جزاء انزفوا فيه ويجوز ان يكون المعنى في القراءة المشهورة انهم اتبعوا
جزاء انزافهم وهذا معنى قوي لمقدم الانجاء كانه قيل الا قليلا ممن انجينا منهم
وهلك السابر فان قلت علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا قلت ان كان معناه وابتعوا
الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد
واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه وابتعوا جزاء الانزاف
قالوا فالمحال كانه قيل انجينا القليل وعذبنا الذين ظلموا جزاء لهم فان قلت فقوله وكانوا
مجرمين قلت علة لتركوا اي ابتعوا الانزاف وكونهم مجرمين لان غلب الشهوات مغمور
بالآثام او ايذانا بالاجرام اغفالهم للشكر او على ابتعوا اي ابتعوا شهواتهم وكانوا مجرمين
بذلك ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم مجرمون كان بمعنى صح واستقام واللام
لتاكيد النفي ونظم حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة ان يهلك الله القرى ظالما
لها واهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين من الظلم
وسمى الظلم الشرك ومعناه انه لا يهلك القرى بسبب شركها اهلها وهم مصلحون يتعاطون
الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا اخر ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
يعني لاضطرارهم الى ان يكونوا اهل امة اي ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله
ان هذه امتكم امة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى
الايمان على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم
الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك الا ناسا
هداهم الله ولطف بهم فبقوا على دين الحق غير مختلفين فيه فلذلك خلقهم ذلك اشارة
الى ما دل عليه الكلام الاول تضمنه معنى ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه
الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق لحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء
اختياره وتمت كلمة ربك وهي قوله للملايكة لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين بكثرة
من يختار الباطل وكلا التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل انباء
انباء الرسل بيان للكل وما نثبت به فؤادك بدل من كلا ويجوز ان يكون المعنى وكل اقتصاص
نقص عليك في معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك يعني على الاساليب المختلفة

نوا

ولو شاء ربك لجعل الناس

وما نثبت به مفعول نقص ومعنى نثبت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمانينة قلبه
لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم وجاك في هذه الحق اي في هذه السورة او في
هذا الانباء المقتصة فيها ما هو حق وموعظة وذكرى وقل للذين لا يؤمنون من اهل مكة
وغيرهم اعملوا على حالكم وجهتكم التي انتم عليها انا عاملون وانتظروا نبا الدوائر انا منتظرون
ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة باشباهكم ولله غيب السموات والارض لا يخفى
عليه خافية مما يجري فيها فلا يخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر كله فلا بد ان يرجع
اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وكافلك وما ربك بغافل عما
تعملون وقرئ تعملون بالتاء اي انت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود
وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله ذلك

سورة يوسف

سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم تلك اشارة الى ايات
السورة والكتاب المبين السورة اي تلك الايات التي انزلت اليك في هذه السورة ايات السورة الظاهر
امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او
الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد ابين لهم ما سالت عنه
اليهود من قصة يوسف فقد روي ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل
يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف انزلنا انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف
في حال كونه قرانا عربيا وسمي بعض القران قرانا لان القران اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم
تعقلون ارادة ان تفهموا وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرانا اعجميا
لقالوا لولا فصلت اياته القصص يكون على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص يقول
قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا اذا طرده ويكون فعلا بمعنى
مفعول كالنقض والحسب ونحوه النبا والخبر في معنى المنبا به والمخبر به ويجوز ان يكون
من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد فان اريد المصدر فمعناه نحن نقتص عليك
احسن الاقتصاص بما اوحينا اليك هذا القران اي بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون
احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا لان قوله بما اوحينا
اليك هذا القران مغن عنه ويجوز ان ينتصب هذا القران بنقص كانه قيل نحن نقتص عليك احسن

الاقتصاص

الاقتصاص هذا القران بايحائنا اليك والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابدع طريقة واعجب
اسلوب الا ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتب
منها مقاربا لاقتصاصه في القران وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن ما
يقص من الاحاديث وانما كان احسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست
في غيرها والظاهر انه احسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل هو اعلم الناس وافضلهم يراد
به في فنه فان قلت مما اشتقاق القصص قلت من قص اثره اذا اتبعه لان الذي يقص
الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القران اذا تراه لانه يتلوا اي يتبع ما
حفظ منه اية بعد اية وان كنت ان مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين
النافية والضمير في قبله راجع الى قوله ما اوحينا اليك والمعنى وان الشان والحديث كنت من قبل
ايحائنا اليك من الغافلين عنه اي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرق منه
اذ قال يوسف بدل من احسن القصص وهو من بدل الاشتمال لان الوقت مشتمل على القصص وهو
المقصوص فاذا قص وقته فقد قص او باضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح
لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف فان قلت فما تقول فيمن قرا يوسف
بكسر السين او يوسف بفتحها فهل يجوز على قراءته ان يقال هو عربي لانه على وزن المضارع للمبني
للفاعل او المفعول من آسف واوسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل قلت لا لان القراءة
المشهورة قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا تكون عربية تارة واعجمية اخرى ونحو
يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربي لانه في لغتين منها بوزن المضارع
من آنس واونس وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف
بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا ابت قرئ بالحركات الثلاث فان قلت ما هذه التاء قلت تاء
تانيث وقعت عوضا من ياء الاضافة والدليل على انها تاء تانيث قلبها هاء في الوقف فان قلت كيف
جاز الحاق تاء التانيث بالموقوف قلت كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام
يفعة فان قلت فلم ساغ تعويض تاء التانيث من ياء الاضافة قلت لان التانيث والاضافة
يتناسبان في ان كل واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم في آخره فان قلت فما هذه الكسرة قلت
هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك يا ابي قد زحلقت الى التاء لاقتضاء تاء التانيث ان يكون ما
قبلها مفتوحا فان قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة

قلت امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها في الاعراب وانما جاز تسكين
الياء واصلها ان تحرك تخفيفا لانها حرف لين واما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها
فان قلت يشبه الجمع وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها في حكم الياء اذا قلت
يا غلام فكما لا يجوز يا ابتي فلا يجوز يا ابت قلت الياء والكسرة قبلها سيان والتاء عوض من احد
الشيئين وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا جمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين التاء
والياء لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلا من الياء جاز الجمع بينهما وبين التاء
ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة ابعد من ذلك فان قلت فقد دلت الكسرة
في يا غلام على الاضافة لانها قرينة الياء ولصيقتها فان دلت على مثل ذلك في يا ابت فالتاء
المعوضة لغو وجودها كعدمها قلت بل حالها مع التاء كحالها مع الياء اذا قلت يا ابي فان قلت
فما وجه من قرأ بفتح التاء وضمها قلت اما من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى
الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام ويجوز ان يقال حركها بحركة الياء المعوض منها في
قولك يا ابي واما من ضم فقد رأى اسما في آخره تاء تانيث فاجراه مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء
فقال يا ابة كما تقول يا ثبة من غير اعتبار لكونها عوضا من ياء الاضافة وقرئ ابي بتحريك الياء
واحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالي المتحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذا الى تسعة عشر
الا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان ورأيت من الرؤيا لا من الرؤية لان ما ذكره معلوم انه منام
لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت آية عظيمة
ليعقوب عليه الصلوة والسلام ولما خفيت عليه وعلى الناس فان قلت ما اسماء تلك الكواكب
قلت روى جابر ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي رآهن
يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جربان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق
والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلت
من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل
ابوه وخالته والكواكب اخوته وعن وهب ان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة
عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها
وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة

الشمس

كيف صح

رأيت صح

الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل
وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون فان قلت لم اخر
الشمس والقمر قلت اخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما
بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز
ان يكون الواو بمعنى مع اي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر فان قلت ما معنى تكرار رأيت قلت
ليس بتكرار انما هو كلام مستانف على تقدير سؤال وقع جوابا له كان يعقوب عليه الصلوة والسلام
قال له عند قوله اني رأيت احد عشر كوكبا كيف رأيتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رأيتهم لي
ساجدين فان قلت لم اجريت مجرى العقلاء في رأيتهم لي ساجدين قلت لانه لما وصفها بما هو خاص
بالعقلاء وهو السجود اجرى عليها حكمهم كانها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم ان يلابس الشيء الشيء
من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة عرف يعقوب عليه
الصلوة والسلام دلالة الرؤيا على ان يوسف يبلغه الله تعالى مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة
وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية
الا انها مختصة فما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما قيل القربة
والقربى وقرئ رؤياك بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائي رياك ورياك بالادغام وضم الراء
وكسرها وهي ضعيفة لان الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام في قولهم
اتزر من الازار واتجر من الاجر فيكيدوا منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك
فان قلت هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدون قلت ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى
فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك
الا ترى الى تاكيده بالمصدر عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحوى ولقوله لاقعدن لهم
صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يؤمن ان يحملهم على مثله
وكذلك ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على
شرف وعز كبرياء شان كذلك يجتبيك لامور عظام وقوله ويعلمك كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه
كانه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء اذا حصلته
لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته والاحاديث الرؤى لان الرؤيا اما حديث النفس او ملك او
شيطان وتاويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد

بتاويل الاحاديث معاني كتب الله وسنن الانبياء وما غمض واشتبه على الناس من اعراضها ومقاصدها
يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت احاديث لانها تحدث بها عن الله تعالى
ورسوله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله تعالى فباي حديث بعده يؤمنون الله نزل
احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة
الدنيا بنعمة الاخرة بان جعلهم انبياء في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة وقيل
اتمها على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم
وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبياء استدلالا
بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي
ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه وقيل كان يعقوب مؤثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره
لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة الى
صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب قال له هذا امر مشتت يجمع
الله لك بعد دهر طويل وآل يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم واصل آل اهل بدليل تصغيره على اهيل الا
انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك ولا آل الحجام ولكن اهلهما
واراد بالابوين الجد وابا الجد لانهما في حكم الاب في الاصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وان كان بينه
وبين فلان عدة وابراهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم يعلم من يحق له الاجتباء حكيم لا يتم
نعمته الا على من يستحقها في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم آيات علامات ودلائل على قدرة
الله وحكمته في كل شيء للسائلين لمن سال عن قصتهم وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب وقرئ اية وفي
بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله على النبي صلى الله عليه وسلم خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما
من بغي قومه عليه ليتاسى بهم وقيل اسماؤهم يهودا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر
ودينة ودان ونفتالي وجادوا اشر السبعة الاولون كانوا من كيا بنت خالة يعقوب فلما
توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف ليوسف اللام لام الابتداء وفيها تاكيد
وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه واخوه هو بنيامين
وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة وقيل احب في الاثنين لان افعل من لا
يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام

التعريف

التعريف واذا اضيف جاز الامران والواو في ونحن عصبة واو الحال يعني انه يفضلهما في
المحبة علينا وهما ابنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال
كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما
ان ابانا لفي ضلال مبين اي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك والعصبة والعصابة
العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور وسيتكفون
النوائب روى النزال ابن سبرة عن علي رضي الله تعالى عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل
معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانباري هذا كما تقول العرب انما العامري عمته اي
يتعهد عمته اقتلوا يوسف من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اطبقوا على ذلك الامر
قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا
آمرين ارضا ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من الوصف
ولابهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم يقبل عليكم
اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم
اياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشيء اقبل بوجهه
ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال تعالى ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل
بيوسف من بعده من بعد يوسف اي من بعد كفايته بالقتل او التغريب او يرجع الضمير الى
مصدر اقتلوا او اطرحوا قوما صالحين تائبين الى الله تعالى مما جنيتم عليه او يصلح ما بينكم وبين
ابيكم بعذر تمهدونه او تصلح دنياكم وتنتظم اموركم بعده بخلو وجه ابيكم وتكونوا اما
مجزوم عطفا على يخل لكم واما منصوب باضمار ان واطواو بمعنى مع كقوله ويكتموا الحق قائل
منهم هو يهودا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال ولن ابرح الارض قال لهم القتل عظيم القوة
في غيابة الجب وهي غورة وما غاب منه عن عين الناظر واظلم من اسفله قال المتنخل
ان انا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والاهل اراد غيابة حفرته
التي يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرا الجحدري غيبة والجب
البير التي لم تطو لان الارض تجب حيا لا غير يلتقطه ياخذه بعض السيارة بعض الاقوام
الذين يسيرون في الطريق وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله
كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه ذهب بعض اصابعه ان كنتم فاعلين ان كنتم على ان تفعلوا

ما يحصل به غرضكم فهذا هو الراي مالك لا تامنا قرئ باظهار النونين وبالادغام باشمام وبغير
اشمام وتيمنا بكسر التاء مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق
عليه وما وجد منا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة وارادوا بذلك لما عزموا على كيد
يوسف استنزاله عن رايه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على انه احس منهم بما اوجب
ان لا يامنهم عليه نرتع نتسع في اكل الفواكه وغيرها واصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ
نرتع من ارتعى يرتعي وقرئ يرتع ويلعب بالياء ويرتع من ارتع ماشيته وقرا العلاء بن سيابة
نريع بكسر العين ويلعب بالريع فان قلت كيف استجاز لهم يعقوب عليه الصلوة والسلام اللعب
قلت كان لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا انفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو لا للهو
بدليل قوله انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته ليحزنني اللام لام الابتداء
كقوله ان ربك ليحكم بينهم ودخولها احد ما ذكره سيبويه من سببي المضارعة اعتذر اليهم بشيئين
احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه
عليه من عدوه الذيب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم يصدق بحفظه
عنايتهم وقيل راى في النوم ان الذيب قد شد على يوسف وكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم
العلة وفي امثالهم البلاء موكل بالمنطق وقرئ الذيب بالهمز على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه
من تذأبت الريح اذا اتت من كل جهة القسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذيب واللام
موطئة للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب للقسم مجزي عن جزاء الشرط والواو في ونحن
عصبة واو الحال حلفوا له لئن كان ما خافه من خطفه الذيب اخاهم من بينهم وحالهم انهم
عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفي الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون اي هالكون ضعفا
وخورا وعجزا ومستخفون ان يهلكوا لانه لا غنا عندهم ولا جدوى في حياتهم او مستخفون
بان يدعى عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذيب بعضهم وهم
حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها فان
قلت فقد اعتذر اليهم بعذرين فلم اجابوا عن احدهما دون الاخر قلت هو الذي كان يغيظهم
ويقذفهم الامرين فاعاروه آذانا صما ولم يعبأوا به ان يجعلوه مفعول اجمعوا من قولك
اجمع الامر وارمعه فاجمعوا امركم وقرئ في غيابات الجب قيل هو بير بيت المقدس وقيل بارض
الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف

ومعناه

ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انه لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة واخذوا
يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه
فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهودا اما اعطيتموني موثقا ان لا
تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يده فتعلق بحائط البير فربطوا
يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به وانما نزعوه ليلطخوه بالدم
وتحتالوا به على ابيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تونسك ودلوه في البير
فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البير ماء فسقط فيه ثم آوى الى صخرة فقام عليها وهو
يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهودا وكان يهودا
ياتيه بالطعام ويروى ان ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه حين القي في النار جرد عن ثيابه اتاه
جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في
تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبريل فاخرجه والبسه اياه واوحينا اليه قيل اوحى اليه
الصغر كما اوحى الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة
لتنبئنهم بامرهم هذا وانما اوحى اليه ليونس في الظلمة والوحشة ويبشر بما يؤول اليه امره ومعناه
لتتخلص مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك
وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المبدل للهيئات والاشكال وذلك
انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم
نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان ابوه يدنيه
دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذيب وبعتموه بثمن بخس
ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بقوله واوحينا على انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه
الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرئ لتنبئنهم
بالنون على انه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وعن الحسن عشيا على
تصغير عشي يقال لقيته عشيا وعشيانا واصيلا واصيلانا ورواه ابن جني
عشا بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء وروي ان امراة حاكمت الى شريح فبكت
فقال له الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي قال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي
لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضى به من السنة المرضية وروي انه لما سمع صوتهم فزع وقال

ما لكم يا بنيّ مثل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا فعال فما لكم وابن يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا
نستبق اي نتسابق والافتعال والمفاعلة يشتركان كالانتضال والتناضل والإرتماء
والترامي وغير ذلك والمعنى يتسابق في العدو او في الرمي وجاء في التفسير ينتضل بسهام
لنا مصدقا لنا ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك
ليوسف فكيف وانت تهمة الظن غير واثق بقولنا بدم كذب ذي كذب او وصف بالمصدر
مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كما تعال الكذب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه
فهنّ به جود وانتم به بخل وترى كذبا نصبا على الحال بمعنى جاؤا به كاذبين وجوز ان يكون
مفعولا له وقرأ عايشة رضي الله تعالى عنها كذب بالدال غير المعجمة اي كدب وقتل طريّ
وقال ابن جني اصله من الكذب وهو الفرق الماضي الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه
قد اثر في قميصه روي انهم ذكوا سخلة ولطخوه بدمها وزعموا ان ثمة ذئبا اكل يوسف
لما سمع يعقوب خبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال ابن القميص فاخذ والقاه على وجهه وبكى حتى
خضب وجهه بدم القميص وقال ناالله ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق
عليه قميصه وهل كان في قميص يوسف يومئذ ثياب كان ذلك لعقوب على كذبهم والقاه على
وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قدم من دبر **فان قلت** على قميصه ما محله
قلت محله النصب على الظرف كانه قيل وجاؤا بدون قميصه بدم كما تقول جاء على حمارة باحمال
فان قلت هو جوز ان تكون حالا متداخلة **قلت** لا لان حال المجرور لا يتقدم عليه سولت
سهلت من السول وهو الاسترخاء اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف
وهو منه في أعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص او اوحى
اليه بانهم فصلوه فصبر جميل خبر او مبتداء لكونه موصوفا اي فامري صبر جميل او فصبر
جميل امثل وعسى ان يأتيني بهم جميعا اي يوسف واخويه او يوسف وابنه المقيم بمصر
او يوسف وبنيامين او يوسف وروبيل وشمعون او يوسف وابنه وروبيل وشمعون
لما ايس من رجوعهم الى ابيهم بعد ما فعلوا به ما فعلوا وعلم ان ما اخبروه به من امر يوسف
كذب صريح وان ما رأى في المنام لا بد ان يكون حقا ولا يجوز ان يكذب رؤياه ولا ان يكذب
في نفسه ولا ان يتهم ربه في قضائه وقدره ولا ان يقنط من روحه ولا ان يشك في ان الله
قادر على ان يرد عليه يوسف وبنيه ولكنه علم ان ما رآه لا بد ان يكون على ما رآه وان
ما فعله اخوته لا بد ان يكون على ما قدره الله وقضاه وان ما قضاه الله من امر يوسف
لا بد ان يكون على ما قضاه من تأويل رؤياه فلم يكن عنده الا الصبر الجميل والتسليم
لامر الله والرجاء لروحه والتوقع لفرجه وقيل لما اخبروه بأكل الذئب يوسف علم انهم
كذبوا عليه فقال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل اي فامري صبر جميل
فان قلت ما معنى التبعيض في قوله عسى الله ان يأتيني بهم جميعا **قلت** لعله رجا ان
يجمعهم الله له بأن يرد عليه يوسف وبنيه ويرد على يوسف اخويه ويرد على بنيامين
روبيل وشمعون ويرد على روبيل وشمعون ابنيهما ويرد على يوسف ابنه ويرد على
ابنه ابنيه ويرد على ابنيه ابنيهما ويرد على ابنيهما ابنيهما ويرد على ابنيهما ابنيهما
ويرد على ابنيهما

نبه الذى اشتراه من قطفير او اطفير وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر والملك يومئذ
الريان بن الوليد رجل من العمالقة وقد آمن بيوسف ومات فى حياة يوسف فملك بعده قابوس
بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة
واقام فى منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة واتاه
الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان
كان الملك فى ايام فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف
من قبل بالبينات وقتل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقتل استاه العزيز بعشرين
دينارا وزوجى فعل وتوبين ابيضين وقتل ادخلوه السجون تعرضونه فتوافعوا فى ثمنه
حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه فطفير بذلك المبلغ اكرمى مثواه
اجعلى منزله ومقامه عندنا كريما اى حسنا مرضيا فدل قوله تعالى انه ربى احسن مثواى
والمراد تفقده بالاحسان وتعهده بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة فى صحبتنا
ساكنة فى كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل به من رجل وامراة
يراد هل يطيب نفسك بمثواك عندك وهل تراعى حق نزولك به واللام فى لامراته متعلقة
بقال لاما اشتراه عسى ان ينفعنا لعلة اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها يستظهر
به على بعض ما نحن بسبيله فيسفعنا فيه بكفايته وامانته او نتبناه ويقيمه مقام
ولد وكان فطفير عقيما لا يولد له فقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل الكيس بلاشه
العزيز حين تفرس فى يوسف قال لامراته اكرمى مثواه عسى ان ينفعنا والمراة التى اتت
لموسى وقالت لاحدهما يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رضى الله تعالى عنهما
وروى انه سأله عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه وكذلك الاشارة الى ما تقدم من انجابه
وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب بفعل دل عليه ومثل ذلك الانجاء والعطف مكنا له اى
كما انجيناه وعطفنا على العزيز مكنا له فى ارض مصر وجعلناه ملكا متصرفا فيها بامره
ونهيه ولنعلمه من تاويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين لان عرضنا ليس الا ما
تحمد عاقبته من علم او عمل والله غالب على امره اى على امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا
ينازع ما يريد ويقضى له على امر يوسف بان لا يكله الى غيره فدار اخوته به ما ارادوا
ولم يكن الا ما اراد الله ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله فسل فى الاشد

آفرس

ثمانى عشرة سنة وعشرون وثلاث وثلاثون واربعون وقيل اقصاه ثمان وستون
حكما حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزى
المحسنين نبه على انه كان محسنا فى عمله متقنا فى عنفوان امره وان الله اتاه الحكم والعلم
جزاء على احسانه وعن الحسن من احسن عبادة ربه فى شبيبته اتاه الله الحكمة فى اكتهاله
والمراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اى فعلت
ما يفعل المخادع بصاحبه عن الشئ الذى اريد ان تخرجه من يدك وكنا ان تغلبه عليه وياخذه
منه وهى عبارة عن التحيل لموافقته اياها وغلقت الابواب قيل كانت سبعة قرئ هيت
لك بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وسكونها كقولك هيد وهيت هلم لك بجيم وهيت
لحيث بمعنى تهيات تقول هيت لك كما تقول جئتك وجئت لك اذا تهيات وهيئت لك واللام من صلة الفعل
واما فى الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول هذا كما تقول هلم لك معاذ الله اعوذ بالله معاذ
الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان والحديث ربى سيدى ومالكى يريد فطفير احسن مثواى
حين قال لك اكرمى مثواه فما جزاؤه ان اخلفه فى اهله سوء الخلافة واخونه فيهم انه لا يفلح
الظالمون الذين يجازون المحسن بالمسيئ وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل
اراد الله تعالى لانه مسبب الاسباب هم بالامر اذا قصد وعزم عليه قال
همت ولم افعل وكدت وليتنى مكثت على عثمان تبكى حلايله ومنه قوله لا افعل ذلك ولا اكيد
اولاهما اى ولا اكاد ان افعله كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو الذى
اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه وقوله لقد هممت به معناه ولقد همت بمخالطته
وهم بها وهم بمخالطتها لولا ان راى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا ان راى برهان ربه
لخالطها فحذف لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك همت بقتله لولا خفت الله معناه لولا انى خفت
الله لقتلته فان قلت كيف جاز على نبى الله ان يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها قلت
المراد ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وتزمه ميلا يشبه
الهم به والقصد اليه وكما يقتضيه صورة تلك الحال التى تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو
يكسر ما به ويرده بالنظر فى برهان الله الماخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك
الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لان اعظام الصبر على
الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزمة لما مدحه الله بانه من عباده

وغلقت الابواب فالت هيت لك

1.a

المخلصين ويجوز ان يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لولم اخف
يريد مشارفة القتل ومشارفته كانه شرع فيه فان قلت وهم بها داخل تحت حكم القسم في
قوله ولقد همت به ام هو خارج عنه قلت الامران جايزان ومن حق القارى اذا قدر خروجه
من حكم القسم وجعله كلاما براسه ان يقف على قوله ولقد همت به ويبتدى قوله وهم
بها لولا ان راى برهان ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين فان قلت لم جعلت جواب
لولا محذوفا يدل عليه هم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما قلت لان لولا لا يتقدم عليها
جوابها من قبل انه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة
واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض واما حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجايز فان قلت
فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها
لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون الا من
اثنين معا فكانه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما قلت نعم ما قلت ولكن الله
سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها فكان اغفاله الغاء
له فوجب ان يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على ان المراد بالمخالطتين توصلها
الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا ان راى
برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بان تعلق بهم بها وحده
وقد فسر هم يوسف بانه حل الهمان وجلس منها مجلس المجامع وبانه حل تكة سراويلها وقعد
بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث
له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على
انملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل كل ولد يعقوب له اثنا عشر
ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف
لا تكن كالطاير كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف بينهما ليس لها عضد ولا معصم
مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم راى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة
وساء سبيلا فلم ينته ثم راى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل ادرك
عبدي قبل ان يصب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب
في ديوان الانبياء وقيل راى تمثال العزيز وقيل قامت المراة الى صنم كان هناك فسترته وقالت
كان هناك فسترته وقالت استحيي ان يرانا فقال يوسف عليه الصلوة والسلام استحييت ممن لا يسمع

ولا يبصر ولا استحيي من السميع البصير العليم بذات الصدور وهذا ونحوه مما يورده اهل الحشو
والجبر الذين دينهم بهت الله وانبيايه واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم
بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه الصلوة والسلام ادنى زلة لنعيت عليه وذكرت
توبته واستغفاره كما نعيت على ادم صلوات الله عليه زلته وعلى داوود وعلى نوح وعلى ايوب
وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد اثنى عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع
انه ثبت في ذلك المقام الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة اولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم
ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما انزل من كتب الاولين ثم في القران الذي هو حجة على ساير
كتبه ومصداق لها ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان
صدق في الاخرين كما جعل لجده الخليل ابراهيم وليقتدي به الصالحون الى اخر الدهر في العفة
وطيب الازار والتثبيت في مواقف العثار فاخزى الله اوليك في ايرادهم ما يودي الى ان يكون
انزال الله السورة التي هي احسن القصص في القران العربي المبين ليقتدي بنبي من انبياء الله في
القعود بين شعب الزانية وفي حل تكة للوقوع عليها وفي ان ينهاه ربه ثلاث كرات ويصاح
به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القران وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه
بالطاير الذي سقط ريشه حين سفد غير انثاه وهو جاثم في مربضه لا يتخلخل ولا ينتبه
حتى يتداركه الله بجبريل وباخباره ولو ان اوقح الزناة واشطرهم واحدهم حدقة
واخلجهم لقي بادنى ما لقي نبي الله مما ذكروا لما بقي عرق ينبض ولا عضو يتحرك فياله من مذهب ما
افحشه ومن ضلال ما ابينه كذلك الكاف منصوب المحل اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او مرفوعة
اي الامر قبل ذلك لنصرف عنه السوء من خيانة السيد والفحشاء من الزنا انه من عبادنا
المخلصين الذين اخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين اخلصهم الله لطاعته بان عصمهم ويجوز ان يريد
بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا معناه
بعض عبادنا اي هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشي منهم لانه من ذرية ابراهيم الذين قال فيهم
انا اخلصناهم بخالصة واستبقا الباب وتسابقا الى الباب على حذف الجار وايصال
الفعل كقوله واختار موسى قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فاسرع
يريد الباب واسرعت وراءه لتمنعه الخروج فان قلت كيف وحد الباب وقد جمعه في قوله
وغلقت الابواب قلت اراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص فقد روى كعب انه لما

هرب يوسف جعل يراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب وقدت قميصه من دبر
اجتذبته من خلفه فانفذ اى انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته بمنعه والفيا
سيدها وصادفا بعلها وهو قطفير يقول لبعلها سيدى وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك
يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة وقيل الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا
مع ابن عم للمراة لما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهى مغتاظة على يوسف اذ لم يواتها
جات بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على
يوسف وتخويفه طمعا فى ان يواتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما آيست من مواتاته طوعا
الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن وما نافية اى ليس جزاؤه الا السجن ويجوز ان يكون
استفهامية بمعنى اى شى جزاؤه الا السجن كما تقول من فى الدار الا زيد فان قلت كيف لم تصرح
فى قولها بذكر يوسف وانه اراد بها سواء قلت قصدت العموم وان كل من اراد باهلك سواء
فحقه ان يحبس او يعذب لان ذلك اياه فيما قصدته من تخويف يوسف وقيل العذاب الاليم
الضرب بالسياط ولما اغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه
فقال هى راودتنى عن نفسى ولولا ذلك لكتم عليها وشهد شاهد من اهلها قيل كان ابن عم لها وانما
القى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها ليكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى
للتهمة عنه وقيل هو الذى كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه
الملك ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان فى الدار فبصر بها حيث لا تشعر فاغضبه الله
ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها فى المهد وعن النبى صلى الله عليه وسلم
تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى فان قلت لم
سمى قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة قلت لما ادى مؤدى الشهادة فى ان ثبت به قول
يوسف وبطل قولها سمى شهادة فان قلت الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة
قلت لانها قول من القول او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه
فان قلت ان دل قد قميصه من دبر على انها كاذبة وانما هى التى تبعته واجتذبت ثوبه اليها
فعدته فمن اين دل قده من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها قلت من وجهين احدهما
انه اذا كان تابعها وهى دافعته عن نفسها قدت من قدامه بالدفع والثانى ان يسرع خلفها
ليلحقها فيتعثر فى مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب
الغايات

الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره واما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل
ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن ابى اسحق من قبل ومن دبر بالفتح كانه جعلهما
علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتانيث وقرئا بسكون العين فان قلت كيف جاز
الجمع بين ان الذى هو للاستقبال وبين كان قلت لان المعنى ان تعلم انه كان قميصه
قد ونحوه قولك ان احسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان يمتن على امين
عليه فلما راى يعنى قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها قال انه ان قولك ما جزاء من
اراد باهلك سواء وان هذا الامر وهو طمعها فى يوسف من كيدكن الخطاب لها ولامتها
وانما استعظم كيد النساء لانه وان فى الرجال الا ان النساء الطف كيدا وانفذ
حيلة ولهن فى ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله ومن شر النفاثات فى العقد
والقصريات من بينهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء
اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال
للنساء ان كيدكن عظيم يوسف حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث
وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفرى
انت لذنبك انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المعتمدين على الذنب يقال خطئ اذا اذنب
متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الا
رجلا حليما وروى انه كان قليل الغيرة وقال سيبويه جماعة من النساء وكن خمسا امراة
الساقى وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وامراة الحاجب
والنسوة اسم مفرد لجمع المراة غير حقيقى كتانيث اللمة ولذلك لم يلحق فعله تا التانيث
وفيه لغتان كسر النون وضمها فى المدينة فى مصر امراة العزيز يردن قطفير والعزيز
الملك بلسان العرب فتاها غلامها يقال فتاى وفتاتى اى غلامى وجاريتى شغفها خرق
حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال
لها لسان القلب قال النابغة وقد حال هم دون ذلك والج مكان الشغاف تبتغيه الاصابع
وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران قال
كما شعف المهنوءة الرجل الطالى وحبا نصب على التمييز فى ضلال مبين فى خطاء وبعد
عن طريق الصواب بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها

الكنعاني ومقتها وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفى الماكر
مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن دعتهن وقيل دعت
اربعين امراة منهن الخمس المذكورات واعتدت لهن متكاء ما يتكين عليه من نمارق قصدت
بتلك الهيئة وهي قعودهن متكيات والسكاكين في ايديهن ان يدهشن ويبهتن عند
رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فيع ايديهن على ايديهن فيقطعنها لان المتكي اذا بهت لشي
وقعت يده على يده ولا يبعد ان يقصد الجمع بين المكر به وبهن فتضع الخناجر في ايديهن
ليقطعن ايديهن فتبكتهن بالحجة وليهول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات
في ايديهن الخناجر توهمه انهن يثبن عليه وقيل متكاء مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون
للطعام والشراب كعادة المترفين ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكيا واتتهن السكاكين
ليعالجن بها ما ياكلن وقيل متكاء طعاما من قولك اتكانا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية
لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكاتا يتكئ عليها قال جميل
فظللنا بنعمة واتكانا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد متكاء طعاما مجزجزا
كان المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين قرئ متكا بغير همز
وعن الحسن متكاء بالمد كانه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف كقوله بمنتراح يعني
بمنتزح ونحوه ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وانشد
فاهدت متكة لبني ابيها تحب بها العتمة الوقاح وكانت اهدت اترجة على ناقة
وكانها الاترجة التي ذكرها ابو داود في سننه انها شقت نصفين وحملا كالعدلين على
جمل وقيل الزماورد وعن وهب اترجا وموزا وبطيخا وقيل اعتدت لهن ما يقطع من
متك الشي بمعنى بتكه اذا قطعه وقراء الاعرج متكاء مفعلا من تكى يتكاء اذا اتكاء
اكبرنه اعظمنه وهبن ذلك الحسن الرايع والجمال الفائق قيل فضل يوسف على الناس في
الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف
الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله
كيف رايته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا في ازقة مصر يرى تلالؤ وجهه
على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان احد يستطيع وصف يوسف
وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل اكبرنه بمعنى

حضن

حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المراة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض
تخرج من حد الصغر الى حد الكبر وكان ابا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله خف الله واستر
ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق فقطعن ايديهن فجرحنها كما تقول
كنت اقطع اللحم فقطعت يدي جرحتها حاشى كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول
اساء القوم حاشا زيد قال حاشا ابي ثوبان ان به ضنا عن الملحاة والشتم وهي حرف
من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله
وهي قراءة ابن مسعود على اضافة حاشا الى الله اضافة البراءة ومن قراء حاشا الله فنحو قولك
سقيا لك كانه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبراء وينزه والدليل على تنزيل حاشا
منزلة المصدر قراءة ابي السماك حاشا لله بالتنوين وقراءة ابي عمرو حاش لله بحذف الالف
الاخرة وقراءة الاعمش حشا لله بحذف الالف الاولى وقرئ حاش لله بسكون الشين على ان الفتحة
اتبعت الالف في الاسقاط وهي ضعيفة لما قبلها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ
حاشا الاله فان قلت فلم جاز في حاشا لله ان لا ينون بعد اجرائه مجرى براءة لله قلت
مراعاة الاصل الذي هو الحرفية الا ترى الى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير
معرب على اصله وعلى في قوله غدت من عليه فقلبت الالف الى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه
الله من اصفار العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله واما قوله حاشا لله ما علمنا
عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما هذا بشرا نفين عنه البشرية
لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور واثبتن له الملكية وبينن بها
الحكم وذلك لان الله عز وجل ركز في الطباع لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من
الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها الا لان الحقيقة
كذلك كما ركز في الطباع ان ادخل في الشر من الشيطان ولا اجمع في الخير من الملائكة الا ما
عليه الفئة الخاسية من المخبرة من تفضيل الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقائق
وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب واعمال ما عمل ليس هي اللغة القدماء
الحجازية وبها ورد القران ومنها قوله تعالى ما هن امهاتهم ومن قراء على سليقته من بني تميم قراء
بشر بالرفع وهي قراءة مسعود وقرئ ما هذا بشرى اي ما هو بعبد مملوك ان هذا الا ملك كريم

يقول هذا بشرى اى حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى ويقول هذا لك بشرى ام بكرا والقراءة
هى الاولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر لملك قالت فذلكن ولم يقل فهذا وهو حاضر
رفعا لمنزلته فى الحسن واستحقاق ان يحب يفتتن به ورياء بحاله واستبعادا لمحله ويجوز
ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعانى يقول هو ذلك العبد الكنعانى الذى
صورتكن فى انفسكن ثم لمتننى فيه يعنى انكن لم تصورنه بحق صورتنه بما عاينتن لعذرتننى
فى الافتتان الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه فى
عصمة وهو يجتهد فى الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الراى واستفحل
الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه الصلوة والسلام لا مزيد عليه وبرهان لا شئ انور منه
على انه برئ مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان فان قلت الضمير فى امره راجع
الى الموصول ام الى يوسف قلت بل الى الموصول والمعنى ما امر به محذوف الجار كما فى قوله امرتك
الخير ويجوز ان يجعل ما مصدرية فيرجع الى امرى اياه اى موجب امرى ومقتضاه قرئ وليكونن
بالتشديد والتخفيف اولى لان كتبت فى المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا فى الحقيقة
وقرئ السجن بالفتح على المصدر وقال يدعوننى على اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن نصحن له
وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك فى السجن والصغار فالتجا الى ربه عند
ذلك وقال رب السجن احب الى من ركوب المعصية فان قلت ركوب السجن مشقة على النفس
شديدة وما دعوته اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة احب اليه من اللذة قلت كانت
السجن احب اليه واثر عنده نظرا فى حسن الصبر على احتمالها لوجه الله تعالى وفى قبح المعصية
وفى عاقبة كل واحد منهما لا نظرا فى مشتهى النفس ومكروهها والا تصرف عنى كيدهن فزع
منه الى الطاف الله وعصمته كعادة الانبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من
الصبر لا ان يطلب منه الاجبار على التعفف والالجاء اليه اصب اليهن امل اليهن والصبوة الميل الى
الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نفسها وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة
من الجاهلين من الذين لا يعلمون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء
لان الحكيم لا يفعل القبيح وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعا لان قوله والا تصرف عنى فيه معنى طلب
الصرف والدعا باللطف السميع لدعوات الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم بدا لهم فاعله
مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء اى ظهر لهم راى ليسجننه والضمير

فى لهم

فى لهم للعزيز واهله من بعد ما راوا الايات وهى الشواهد على براءته وما كان ذلك الا باستنزال
المراة لزوجها وقبلها منه فى الذروة والغارب وكان مطواعا لها وحميلا ذلولا زمامه فى يدها
حتى انساه ذلك ما عاين من الايات وعمل برايها فى سجنه والحاق الصغار به كما اودعته
به وذلك لما ايست من طاعته لها او لطمعها فى ان يذلله السجن وتسخره لها وفى قراءة الحسن
لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم
حتى حين الى زمان كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفى قراءة ابن مسعود
عتى حين وهى لغة هذيل وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه سمع رجلا يقرا عتى حين فقال من اقراك
قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله انزل هذا القران فجعله عربيا وانزله بلغة قريش فاقر الناس
بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول
خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له فتيان
عبدان للملك خبازه وشرابيه رقى اليه انهما يسمانه فامر بهما الى السجن فادخلا السجن ساعة
ادخل يوسف انى ارانى يعنى فى المنام وهى حكاية حال ماضية اعصر خمرا يعنى عنبا تسمية
للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفى قراءة ابن مسعود اعصر عنبا من المحسنين
من الذين يحسنون عبارة الرؤيا اى يجيدونها راياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها
له فقالا له ذلك او من العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما به انه عالم او من المحسنين الى اهل
السجن فاحسن الينا بان تفرج عنا الغمة بتاويل ما راينا ان كانت لك يد فى تاويل الرؤيا
روى انه كان اذا مرض منهم قام عليه واذا اضاق اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان فى
السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا اصبروا تؤجروا ان لهذا لاجرا
فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا فى جوارك فمن انت يا فتى قال
انا يوسف بن صفى الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت
خليت سبيلك ولكنى احسن جوارك فكن فى اى بيوت السجن شئت وروى ان الفتيين قالا له انا لنحبك
من حين رايناك فقال انشدكما بالله ان لا تحبانى فوالله ما احبنى احد قط الا دخل على من حبه بلاء
لقد احبتنى عمتى فدخل على من محبتها بلاء ثم احبنى ابى فدخل على من حبه بلاء ثم احبتنى زوجة
صاحبى فدخل على من حبها بلاء فلا تحبانى بارك الله فيكما وعن الشعبى انهما تحالما له ليمتحناه فقال
ابشرانى ارانى فى بستان فاذا انا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها فى كاس

في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة
واذا سباع الطير تنهش منها فان قلت الام يرجع الضمير في قوله نبئنا بتاويله قلت الى ما
قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الاشارة في نحوه كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك لما استعبراه
ووصفاه بالاحسان افترض ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلما وهو الاخبار
بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ياتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم
ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك مخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد
ويعرض عليهما الايمان وتزينه لهما ويقبح لهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم ان يسلكها
مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة
اولا ويدعوه الى ما اولى به واوجب عليه مما استفتي فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان العالم اذا
جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به الذين
لم يكن من باب التزكية بتاويله ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب
عن معناه ذلكما اشارة لهما الى التاويل اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي واوحى
به الي ولم اقله عن تكهن وتنجم اني تركت يجوز ان يكون كلاما مبتدا وان يكون تعليلا لما قبله
اي علمني ذلك واوحى الي لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبيا المذكورين وهي الملة الحنيفية
واراد باولئك الذين لا يومنون اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكريرهم للدلالة على انهم خصوصا
كافرون بالاخرة وان غيرهم قوم مومنون بها وهم الذين على ملة ابراهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء
تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز ان يكون فيه
تعريض بما مني به من جهتهم حين اودعوه السجن بعد ما راوا الايات الشاهدة على براءته وان ذلك
ما لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر اباه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما
انه نبي يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله ما
كان لنا ما صح لنا معشر الانبيا ان نشرك بالله اي شي كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك
به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس اي على الرسل وعلى
المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم اليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون فضل الله
فيشكرون ولا ينتبهون وقيل ان ذلك من فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة التي ننظر فيها
ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الادلة لساير الناس من غير تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون

ولا

ولا يستدلون اتباعا لاهوايهم فيبقون كافرين غير شاكرين يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي
في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما ان الليلة مسروق فيها غير
مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه الصلوة
والسلام ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبي الصدق فيضيفهما الى الصدق ولا يريد انهما صحبا
الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهما صحباك ويجوز ان يريد يا ساكني السجن
كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة ءارباب متفرقون يريد التفرق في العدد والتكاثر تقول ءان يكون
لكما ارباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما ام ان يكون لكما رب واحد
قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله
وحده ولعبادة الاصنام ما تعبدون خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسما يعني انكم
سميتم ما لا يستحق الالهية الهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم لا تعبدون الا اسماء فارغة لا مسميات
تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا ما انزل الله بها اي بتسميتها
من سلطان من حجة ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر الا تعبدوا
الا اياه ذلك الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين اما احدكما يريد الشرابي فيسقي ربه سيده
وقرا عكرمة فيسقى ربه اي يسقى ما يروى به على البنا للمفعول روي انه قال للاول ما رايت
من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضيان الثلاثة فانها ثلاثة
ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رايت من السلال ثلاثة
ايام ثم تخرج فتقتل قضي الامر قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما وشانكما فان قلت ما استفتيا
في امر واحد بل في امرين مختلفين فما وجه التوحيد قلت المراد بالامر ما ايهما به من سم الملك وما
سجنا من اجله وظنا ان ما راياه في معنى ما نزل بهما فكانهما كانا يستفتيانه في الامر الذي
نزل بهما اعاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي ما جر اليه
من العاقبة وهي هلاك احدهما ونجاة الاخر وقيل جحدا وقالا ما راينا شيا على ما روي انهما
تحالما له ان ذلك كاين صدقتما او كذبتما ظن انه ناج الظان هو يوسف عليه الصلوة والسلام ان كان
تاويله بطريقة الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي ويكون الظن بمعنى اليقين
اذكرني عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه
الورطة فانساه الشيطان فانسا الشرابي ذكر ربه ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف

ذكر الله حين وكل امره الى غيره بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى التسع واكثر الاقاويل
على انه لبث فيه سبع سنين فان قلت كيف قدر الشيطان على الانساء قلت بوسوس الى العبد
بما يشغله عن الشئ من اسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره واما الانساء
ابتداءً فلا يقدر عليه الا الله عز وجل ما ننسخ من اية او ننسأها فان قلت ما وجه اضافة
الذكر الى ربه اذا اريد به الملك وما هي باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول قلت قد لابسه
في قولك فانساه الشيطان ذكر ربه او عند ربه فجازت اضافته اليه لان الاضافة تكون
بادنى ملابسة او على تقدير فانساه الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذي هو
الاخبار فان قلت لم انكر على يوسف الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى
وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى عليه السلام من انصاري الى الله وفي الحديث
الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم من فرج عن مومن كربة فرج الله
عنه كربة من كرب الاخرة وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم ياخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من حرسه حتى جاء سعد فسمعت
غطيطه وهل ذلك الا مثل المتداوي بالادوية والمفوّي بالاطعمة والاشربة وان
كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع الظلم والغوث
والحرق ونحو ذلك من المضار قلت كما اصطفى الله الانبياء على خليقته فقد اصطفى لهم
احسن الامور وافضلها واولاها والاحسن والاولى بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي ببلاء الا
الى ربه ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا ليلا تشمت به الكفار
ويقولون لو كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث بنا وعن الحسن انه
كان يبكي اذا نزلت به نازلة ويقول نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الكيس لما دنا فرج يوسف راى
ملك مصر الريان بن الوليد رويا عجيبة فالتة راى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس
وسبع بقرات عجاف فابتلعت السمان وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها
وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى
غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة وكذلك
رجال ونسوة كرام فان قلت هلا من فوق سمين بقياع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون
المميز وهو سبع وان يقال سبع بقرات سمانا قلت اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت

الى

الى ان تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع
لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن
فان قلت هلا قيل سبع عجاف على الاضافة قلت التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا
يفي البيان به وحده فان قلت فقد يقولون بلاثة فرسان وخمسة اصحاب قلت الفارس والصاحب
والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها الا ترى
انك لا تقول عندي بلاثة ضخام واربعة غلاظ فان قلت فكل ما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال
فيه الا ترى انه لم يقل وبقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات قلت ترك الاصل
لا يجوز مع وقوع الالتباس فما بالك اذا قدروه الالتباس فقولك سبع عجاف كما يقترحه من التمييز
بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده بعد والسبب في وقوع عجاف وصف العجفاء وانعل
فعلاء لاجعان على فعال حمله على سمان لانه يقتضيه ومن ثم حمل النظير على النظير والنقيض
على النقيض فان قلت هل في الاية دليل على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر قلت
الكلام مبني على انتصابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب ان تتناول
معنى الاخر السبع وتكون قوله واخر يابسات بمعنى وسبعا اخر فان قلت هل يجوز ان يعطف قوله
واخر يابسات على سنبلات خضر فتكون مجرورة المحل قلت يودي الى الفساد وهو ان عطفها على سنبلات
خضر يقتضي ان يدخل في حكمها فتكون معها مميزا للسبع المذكور ولفظ الاخر يقتضي ان تكون غير السبع بانه
انك تقول عندي سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانه ميز السبعة برجال هو صوفين بالقيام
والقعود على ان بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عندي سبعة رجال قيام واخرين قعود لم يصح
بها الا ان اريد الاعمار من العلم والحكم واللام في قوله للرويا اما ان تكون للبيان كقوله وكانوا فيه
من الزاهدين واما ان تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا تاخر
عنه معضدا بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرويا لاختطاط عن الفعل في القوة
ويجوز ان تكون للرويا خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه
وتعبرون خبرا اخرا وحال وان تضمر تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة
الرويا وحقيقة عبرت الرويا ذكرت عاقبتها وآخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ اخر
عرضه وهو عبر ونحوه اول الرويا اذا ذكرت ماء لها ومورجها وعبرت الرويا بالتخفيف هو الذي
اعتمده الاثبات ورايتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت انشده المبرد

في كتاب الكامل لبعض الاعراب رايت رؤيا ثم عبرتها وكنت للاحلام عبارا اضغاث احلام تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اى اضغاث من احلام والمعنى اضغاث احلام فان قلت ما هو الاحلم واحد فلم قالوا اضغاث احلام فجمعوا قلت هو كما يقول فلان يركب الخيل ويلبس عمام الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له الا عمامة فرده تزيدا في الوصف فيها وكاى اضافتها تزيد واما وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام وجوز ان يكون وقع عليهم مع هذه الرويا رويا غيرها وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين اما انا نريد واما بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فقولوا ليس لها عندنا تاويل فان التاويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما ان يعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تاويل الاحلام بحاز بر تزى واذكر بالدال وهو الفصيح وعن الحسن واذكر ما لذال والاصل تذكر اى تذكر الدال في التاء لقرب مخرجيهما من الفم ليوسف وما شامله من بعد امة بعد مدة طويلة وذلك انه حبس مع الفتيين من الفتيان الملك في رويا ه وعضل على الملاء تاويلها تذكر الناجي يوسف وتاويله رويا ه ورويا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك فراى الا تذهب لعقيلي بعد امة بكسر الهمزة والامة النعمة فات عدى ثم بعد الفلاح والملك والامة وادكر هنالك المقهور اى بعد ما انعم عليه بالنجاة وترى بعد امة بعد نسيان يقال امة يامة امها اذا نسي ومن قراه بسكون الميم فقد خطئ انا انبئكم تاويله انا اخبركم به عن عند علمه وفي قراة الحسن انا انبئكم تاويله فارسلون ما بعثوني لمسالته ومروني ما شتعجال منه وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة المعنى فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق وانما قال ذلك لانه ذاق احواله وعرف صدقه في تاويل رويا ه ورويا صاحبه حيث جاء كما اول ولذلك كلمه كلام محترز فعال لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون لانه ليس على نفس من الرجوع فربما اختروم دونه ولامن علمهم فربما لم يعلموا او معنى لعلهم يعلمون لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبونك ويخلصونك من محنتك يزرعون خبرت في معنى الامر كقوله يومنون بالله ورسوله ويجاهدون وانما تخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب اتخاذ المامور به فيجعل كانه وجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله دابا بسكون الهمزة وتحركها وهما مصدر اداب في العمل وهو حال من المامور اى دابين اما على تزاولون دابا واما على ايقاع

المصدر

المصدر حالا بمعنى ذوى دابا فذروه في سنبله ليلا يتسوس وما كلتم من الاسناد المجازي جعل اكلهم اكلين مبنيا لهن تحصنون تحرزون وتختبؤون بغات الكاس من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غيثنا ما شئنا بعصرون بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع وترى يعصرون على البنا للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاعانة ويجوز ان يكون المبنى للفاعل بمعنى ينجون كانه قيل فيه يغاث الكاس وفيه يعصرون اى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة وفيه وجهان اما ان يضمن اعصرت معنى مطرت فتعدى بعدته واما ان يقال اعصرت عليهم محذف الجار واوصل الفعل باول البقرات السمان والسنبلات الخضر سنبل مخاصيب العجاف والمايسات يسنبل مجدبة ثم يلتزمهم بعد الفراغ من تاويل الرويا بان العام الماتي يجي مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي وعن قتادة زاده الله علما سنة فان قلت معلوم ان السنين المجدبة اذا انهبت كان انهاوها بالخصب والالم توصف بالانهاء فلم قلت ان علم ذلك من جهة الوحي قلت ذلك معلوم علما مطلقا لا بخصوصه وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون يعضد قبل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحي انما اثنى وثلث في اجابة الملك وقدم سوال النسوة لمظهر براة ساحته عما قرن به وسجن فيه ليلا ينسلق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلي سجن سبع سنين الا لامر وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب ابقاء الوقوف في مواقفها قال عليه الصلوة والسلام من كان يومن بالله واليوم الاخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمارين به في معتكفه وعنده بعض نسايه هي فلانة ابقاء للتهمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب وطلبت العذر ان كان لحيما ذا اناة وانما قال سل الملك عن شان النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن شانهن لان السوال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عن ما سئل عنه فاراد ان يورد عليه السوال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وقص الحديث حتى يتبين له براته بيانا

مكشوفا بتميز فيه الحق من الباطل وقرئ المنسوة بضم النون ومن كرمه وحسن له به انه لم يذكر
سيئة مما صنعت به ونسبت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات
ايذانا بان ربي الله تعالى يكيدهن بعلم اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره او يستشهد
بعلم الله على انهن كدنه وانه يرى مما قرون به او اراد الوعيد لهن اي هو علم بكيدهن فمجاز
بعض عليه ما خطبكن ما شانكن اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه ميلا اليكن قلن حاشا
لله تنجبا من عفته ودفاعا به نفسه عن شيء من الريبة ومن تزاهته عنها قالت امرات
العزيز الان حصحص الحق اي بان واستقر وقرئ حُصحِص على البناء للمفعول وهو من حصحص
البعير اذا القى ثفناته للاناخة قال حصحص في صم الصفا ثفناته ونأى بسلمى نوءة ثم
صمما ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن بانه لم تتعلق
بشيء مما قرفنه به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل
لم بين لاحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد نفى لنا مقال ولا بد لنا ان نلوذ في
نور من بثت تزاهته ذلك ليعلم من كلام يوسف اي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم
العزيز انى لم اخنه بظهر الغيب في حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل او المفعول على معنى وانا
غائب عنه خفي عن عينه او هو غائب عني خفي عن عيني وجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب
وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة وليعلم ان الله لا يهدي كيد
الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وكانه تعريض بامراته في خيانتها اماناته زوجها وبه في
خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الامارات على حبسه وجوز ان يكون بابدا الامانة
وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه ليلا يكون
لها مزكيا وكالها في الامانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم
ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته
فقال وما ابرئ نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا نخلوا اما ان
يريد به هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية
لا عن طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال ان النفس لامارة بالسوء اراد الجنس
اي ان هذا الجنس مريا بالسوء وحمل عليه نفسه من الشهوات الا ما رحم ربي الا البعض الذي
رحمه ربي بالعصمة كالملائكة وجوز ان يكون ما رحم ربي في معنى الزمان اي الا وقت رحمة

ولا تعم عليهم الاخبار صح

ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت وان الاوقات المعصمة وجوز ان يكون استثناء
منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولاهم يفلتون الا رحمة
وقيل معناه ذلك ليعلم اني لم اخنه لان المعصية خيانة وقيل هو من كلام امراة العزيز
اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجيء بالصدق
فيما سيلت عنه وما ابرئ نفسي مما ذكر من الخيانة فاني قد خنته حين قرفته وقلت
ما جزاء من اراد باهلك سوءا واودعته السجن وقيل الا عذارا مما كان منها ان كل نفس
لامارة بالسوء الا ما رحم ربي لا انفسار حمها الله بالعصمة كنفس يوسف ان ربي لغفور رحيم
استغفرت ربها واستزحمته مما ارتكبت فان قلت كيف صح ان يجعل من كلام يوسف ولا
دليل على ذلك قلت كفى بالمعنى دليلا فابدا الى ان يجعل من كلامه ونحوه قوله تعالى قال الملا
من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون
وهو من كلام فرعون لخاطبهم وليستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القرآن وتاخيره
ذلك اشارة الى ذلك ليعلم وفصل بقوله فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولو لفقت
المبطلة روايات مصنوعة تزعم ان يوسف حين قال اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل
ولا حين هممت بها ولا له امراة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا سوفة لكم
لنها لكم على بعث الله ورسله تعالى ايتخلصه ويتخصاذا اجله خالصا لنفسه وخاصا به
فلما كلمه وشافهه من مالم يكتسب قال ايها الصديق انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين
مؤتمن على كل شيء وروي ان الرسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم
اعطف عليهم قلوب الاخيار فهم اعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكف على باب السجن هول منازل
البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل ونظف من درن
السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك
وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال لها هذا اللسان فعال لسان اباي
وكان الملك يكلم بسبعين لسانا فكلمه فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال ايها الصديق اني احب
ان اسمع تاويل رويا يأي منك قال رايت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن
ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي راها الملك لا تخرم منها حرفا وقال له من حقك
ان تجمع الطعام في الامراء فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك وتجمع لك من الكنوز ما لم يجتمع

لاجد بذلك اجعلني على خزائن الارض ولّني على خزائن ارضك اني حفيظ عليم امين احفظ ما
تستحفظني عليه عالم بوجوه التصرف وصفا لنفسه بالامانة والكفاية اللتين هما
طلب الملوك من يولونه وانما طلب ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط
العدل والتمكين مما لاجله بعث الانبياء الى العباد ولعلمه ان احدا لا يقوم مقامه
في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
رحم الله اخي يوسف لولم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخّر
ذلك سنة **فان قلت** كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر وتكون تبعاله وتحت امره وطاعته
قلت روى مجاهد انه قد اسلم وعن قتادة مثله ويدل على انه يجوز ان يتولى الانسان
عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة وبرونه
واذا علم النبي او العالم انه لا سبيل له الى الحكم بما لله ورد في الظلم الا بتمكين الملك الكافر
او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في
كل ما رأى فكان في حكم التابع له والمطيع وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف في
ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين فرسخا يتبوّأ منها حيث يشاء يتزل
والباء اي كل منزل اراد ان يتخذه منزلا او متبواء له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها
ودخوله تحت مملكته وسلطانه روي ان الملك توّجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه
ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر واليواقيت وروي انه قال له اما السرير فاشدد
به ملكك واما الخاتم فادبّر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس اباي فعال
قد وضعته اجلالا لملكك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوّض
الملك امره اليه وعزل قطفير ثم مات بعد فزوّجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال ايس
هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا واقام العدل
بمصر واحبّته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من اهل بيته وباع من اهل
مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم
شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم
جميعا فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك كيف رأيت صنع الله
في فيما خولني فما ترى قال الرأي رأيك قال فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر
عن آخرهم وردت عليهم اموالهم وكان لا يتبع من احد من المتمارين اكثر من حمل بعير

تفسير طابن الكاب واصحاب ارض كنعان وبلاد الشام لحوما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه
ليمتاروا واحتبس بنيامين برحمتنا بعطايانا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من
نشاء من اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك ولا نضيع اجر المحسنين ان اجرهم في الدنيا
والاخرى للاخرة خير لهم قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا
والاخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وماله في الاخرة من خلاق ولا هذه الاية لم يعرفوه
لطول العهد ومفارقته اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه هلك ولذهابه عن اوهامهم
لغفلة فكرهم فيه واهتمامهم بشانه وبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حالة التي
فارقوه عليها ظن بحاني البئر سنين بادراهم معدودة حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم
وظنونهم ولان الملك ما يبدل الذي يلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف
وقل راوه على ذي فرعون علمه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى
راسه تاج فما خطر ببالهم انه هو وقل ما راوه الا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب
وما وقفوا الا حيث تنقطع طلاب الحوائج وانما عرفهم لانه فارقهم وهم رجال ورآى ان لهم فرعا
من زهرهم اذ ذاك ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتأمل وينقط وعن الحسن
ما عرفهم حتى تعرّفوا له وما جهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم ومعنى علة السفر من الزاد
وما يحتاج اليه المسافرون واثر كاهم بهم لما جاوا به من المير وقرئ بجهازهم بكسر الجيم قال
ايتوني باخ لكم من ابيكم لابد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجترّ القول لهذه المسئلة
روي انه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني عن انتم وما شانكم فاني انكركم قالوا
نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون
عورة بلادي فعالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صدّيق نبي من الانبياء
اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد قال فكم انتم ها هنا قالوا
عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم
انكم لستم بعيون وان الذي تقولون حق قالوا انا بلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال
فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وذلك حمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم
فاقترعوا فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده وكان
قد احسن انزالهم وضيافتهم ولا يقربون فيه وجهان احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزاء

مجزوما عطفا على محل قوله تعالى فلا كيل لكم كانه قيل فان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا
وان يكون بمعنى النهي سنراود عنه اباه سنخادعه عنه وسنجتهد ونحتال حتى ننتزعه
من يده وانا لفاعلون وانا لقادرون على ذلك لا نتعايا به او انا لفاعلون ذلك لا محالة
لا نفرط فيه ولا نتوانى لفتيته وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى كاخوة واخوان في اخ
وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اي لغلمانه الكيالين لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها وحق
التكرم باعطاء البدلين اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك
تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل يخوف ان لا يكون عند
ابيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه ثمنا وقيل علم ان
ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل معنى
لعلهم يرجعون لعلهم يردونها منع منا الكيل يريدون قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم
لانهم اذا انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام
ما نحتاج اليه وقرئ يكتل بمعنى يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يكن سببا
للاكتيال فان امتناعه بسببه هل امنكم يريد انكم قلت في يوسف وانا له لحافظون كما
تقولونه في اخيه ثم خستم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال فالله خير حافظا
فتوكل على الله فيه وديعة اليهم وحافظا تمييز كقولك هو خيرهم رجلا ولله دره فارسا
ويجوز ان يكون حالا وقرئ حفظا وقرا الاعمش فالله خير حافظا وقرا ابو هريرة خير
الحافظين وهو ارحم الراحمين فارجوا ان ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وقرئ
ردت الينا بالكسر على ان كسرة الدال المدغمة تقلب الى الراء كما قيل قيل وبيع وحكى
قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الضاد ما نبغي للنفي اي ما نبغي في القول
وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير
رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من ال يعقوب ما اكرمنا كرامته او ما نبغي
شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان او على الاستفهام بمعنى اي شيء نطلب وراء هذا وفي
قراءة ابن مسعود ما تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان
او من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد منك بضاعة اخرى وقوله هذه بضاعتنا
ردت الينا جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى

ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا
فما يصيبه شيء مما نخافه ونزداد باستصحاب اخينا وسق بعير زايدا على اوساق
لبعاعرنا فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي تستصلح بها احوالنا وتوسع ذات ايدينا
وانما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد الرجل على حمل بعير للتقسيط فان قلت
هذا اذا فسرت البغي بالطلب فاما اذا فسرته بالكذب والتزيد في القول كانت الجملة الاولى
وهي قوله هذه بضاعتنا ردت الينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد عن قيلهم فما تصنع بالجمل
البواقي قلت اعطفها على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت
وكيت ويجوز ان يكون كلاما مبتدا كقولك وينبغي ان نمير اهلنا كما تقول سعيت في حاجة
فلان واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب ان اسعى وينبغي لي ان لا اقصر ويجوز ان يراد
ما نبغي وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع اخينا ثم قالوا هذه
بضاعتنا سنستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا يبغون في رايهم وانهم
مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح ذلك كيل يسير اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما
يكال لهم فارادوا ان يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم او يكون ذلك اشارة الى كيل بعير اي ذلك الكيل
شيء قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه او سهل عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز ان يكون من
كلام يعقوب وان حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم لن ارسله معكم
مناف لحالي وقد رايت منكم ما رايت ارساله معكم حتى تؤتوني موثقا من الله حتى تعطوني ما
اتوثق به من عند الله اراد ان يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف
به مما يؤكد به العهود وتشدد وقد اذن الله في ذلك فهو اذا منه لتاتنني به جواب اليمين
لان المعنى حتى تحلفوا لتاتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم يطيقوا الاتيان به او الا
ان تهلكوا فان قلت اخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال قلت ان يحاط بكم
مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتاتنني به في تاويل النفي معناه لا تمتنعون من الاتيان
به الا للاحاطة بكم اي لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء
من اعم العام في المفعول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي وحده فلا بد من تاويله بالنفي
ونظيره من الاثبات المتاول بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت يريد ما اطلب منك الا
الفعل على ما تقول من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع وانما نهاهم ان يدخلوا من باب

واحد لانهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة وقد اشتهرهم اهل مصر بالقربة عند الملك
والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود
وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هاولاء اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان
وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين اليه فخاف لذلك ان
يدخلوا لوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوءهم
ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس فان قلت
وهل للاصابة بالعين وجه يصح عليه قلت يجوز ان يحدث الله عز وجل عند النظر الى الشيء
والاعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده
ليتميز المحققون من اهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هذا اثر
العين كما قال وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل
عين لامة وما اغنى عنكم من الله من شيء يعني ان اراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم
ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله ثم قال ولما دخلوا من
حيث امرهم ابوهم اي متفرقين ما كان يغني عنهم راي يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا
قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اصابة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ
اخيهم بوجدان الصاع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم الا حاجة استثناء منقطع
على معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها بما قال لهم
ووصاهم به وانه لذو علم يعني قوله وما اغنى عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر
اوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين وروي انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم
احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على
مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف
بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يواكله وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين
منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشتم رائحته حتى اصبح وساله
عن ولده فقال لي عشر بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك
بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام

اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا
فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وعن ابن عباس تعرف
اليه وعن وهب انما قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من
الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت اغتمام والدي بي
فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يحمل قال لا ابالي
فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيا لي ردك
بعد تسريحك معهم قال افعل السقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان
يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل
كانت اناء مستطيلا يشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه تشرب
به الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت
مرصعة بالجواهر ثم اذن مؤذن ثم نادى مناد يقال اذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام
ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امرهم
فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك والعير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب
وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها من فعل
كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وغيد والمراد اصحاب العير كقوله يا خيل الله
اركبي وقرا ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كانه قيل فلما جزهم
بجهازهم وجعل السقاية في رحل اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن وقرا ابو
عبد الرحمن السلمي يفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا وقرئ صواع وصاع وصوع
وصوع بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة وانا به زعيم يقوله المؤذن
يريد وانا بحمل البعير كفيل اؤديه الى من جاء به واراد وسق بعير من طعام جعلا
لمن حصله تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا
بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وامانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا
وافواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم ردوا
بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط بالسرقة وهي منافية
لحالنا فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم

البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله
وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم
فهو جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير لقولك حق زيد ان
يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه او فهو حقه لتقرير ما ذكرته من استحقاقه
وتلزمه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتداء والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر
فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول
لصاحبك من اخو زيد فتقول لك اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من
والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ويحتمل ان يكون جزاؤه خبر مبتداء
محذوف اي المسؤول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما تقول من
يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم تقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما
قتل من النعم فبدأ باوعيتهم قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى
يوسف فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما
اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى ننظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا
فاستخرجوه منه وقرأ الحسن وعاء اخيه بضم الواو وهي لغة وقرأ سعيد بن جبير اعاء
اخيه بقلب الواو همزة فان قلت لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم انثه قلت قالوا رجع
بالتانيث الى السقاية وانث الصواع لانه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه
سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام وفيما يتصل بهم منه صواعا
كذلك كدنا مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان
ليأخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له لانه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به
في السارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد الا ان يشاء الله اي ما كان
يأخذه الا بمشيئة الله واذنه فيه وقرئ برفع الياء ودرجات بالتنوين وفوق كل ذي
علم عليم فوقه ارفع منه في علمه او فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وجل
فان قلت ما اذن الله فيه يجب ان يكون حسنا فمن اي وجه حسن هذا الكيد وما هو الا
بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم
كاذبين قلت هو من صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة لان قوله انكم لسارقون

توريه

توريه عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف
وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتكذيب
كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب
هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله لايوب
عليه الصلوة والسلام وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول ابراهيم هي اختي
ليسلم من يد الكافر وما الشرائع كلها الا لمصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم
الله في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة
جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح بما ذكرنا اخ له ارادوا يوسف روي انهم لما استخرجوا
الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا ماذا الذي صنعت
فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصاع فقال
بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصاع في رحلي الذي
وضع البضاعة في رحالكم واختلف فيما اضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان اخذ في صباه صنما
لجده ابي امه فكسره والقاه بين الجيف في الطريق وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا
من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كان في المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السائل
وقيل كان لابراهيم عليه الصلاة والسلام منطقة يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت
الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما
شب اراد يعقوب اراد ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه
وقالت فقدت منطقة اسحاق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت
انه لي سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت فاسرها اضمار على شريطة التفسير
تفسيره انتم شر مكانا وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة
من الكلام كلمة كانه قيل فاشر الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا والمعنى قال في
نفسه انتم شر مكانا لان قوله قال انتم شر مكانا بدل من اشرها وفي قراءة ابن مسعود فاسره
على التذكير يريد القول او الكلام ومعنى انتم شر مكانا انتم شر منزلة في السرق لانكم سارقون
بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون يعلم انه لم يصح لي ولا لاخي سرقة وليس الامر كما تصفون
استعطفوه باذكارهم اياه حق ابيهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر وان بنيامين احب

اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مسترجع باخيه فخذ احدنا
مكانه فخذه بدله على وجه الاسترقاق او الاستعباد انا نراك من المحسنين الينا فانتم احسانكم او
من عادتك الاحسان فاجر علينا عادتك ولا تغيرها معاذ الله هو كلام موجه ظاهره انه وجب عليه قضية
فتواكم اخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم
فلم تطلبوا ما عندنا منه ظلم وباطنه ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة
او لمصالح جمة علمها في ذلك فلو اخذت غيره من امرني باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي
ومعنى معاذ الله ان ناخذ نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف
من وإذا جواب وجزاء لان المعنى إن اخذنا بدله ظلمنا استيأسوا يئسوا وزيادة
السين والتاء للمبالغة نحو ما سرني ايستعصم والنجي يكون على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير
والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو
التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجي كما قيل وإذهم نجوى فنجوى تنزيلا للمصدر منزلة
الاوصاف ويجوز ان يقال هم نجي كما قيل هم صديق لانه يرد المصادر وجمع النجية وقال لاني اذا
ما القوم كانوا النجية ومعنى خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم
نجيا ذوي نجوى او نوجا نجيا اي مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تحضوا تناجيا
لا يشاركهم فيه لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم صون التناجي وحقيقته وكان
تناجيهم في تدبير امرهم على اي صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم كقوله
تعالى وانطلق الملا منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم فانطلقوا متناجين بذلك وقيل ريبهم
وهو شمعون وهو اكبرهم في العقل والراي وهو روبيل وقيل يهوذا وهو اكبرهم في السن وجوز ان يكون
ما صلة اي ومن قبل هذا فرطتم في يوسف فيه وجوز ان يكون مصدرية
على ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم
في يوسف او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم
عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف وان يكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه
اي تلتم متموه في حق يوسف من الخيانة العظيمة ومحله الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض
فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي في الانصراف اليه او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانصاف
ممن اخذ اخي او بخلاصه مني بسبب من الاسباب وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق وقيل

سرق

سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من سرقته وتنقيناه لان الصواع
اي يخرج من وعائه ولا شيء ابين من هذا وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه يسرق حتى اعطينا
الموثق او ما علمنا انك تصاب به كما اصبت بيوسف ومن قراءة سرق فمعناه وما شهدنا الا بقدر
ما علمنا من ظاهر السرقة وما كنا للغيب للامر الخفي حافظين اسرق بالصحة ام دس الصاع في رحله
ولم نشعر القرية التي كنا فيها هي مصر اي اسئل اهلها فسلهم عن كنه القصة والعير التي
اقبلنا فيها واصحاب العير كانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب عليه الصلوة والسلام وسل من امثل
صنعاء معناه فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فعال بل سولت لكم انفسكم امرا
اردتموه والا فما ادريك ذلك الرجل ان السارق لو اخذ بسرقة لولادنا كم وتغليبكم بهم جميعا يوسف
واخيه وروبيل او غيره انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة
ومصلحة وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما قالوا به يا اسفا اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة
الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والنجانس بين لفظتي الاسف ويوسف مما نقع مطبوعا
متعمدا فيملح ويملح وكم انا قلتم الا الارض ارضيتم وهم نهوه عنه وناوى عنه يحسبون انهم
يحسنون صنعا بنباء وعن النبي صلى الله عليه وسلم لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون
عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال
يا اسفا فان قلت كيف تاسف على يوسف دون اخيه ودون الثالث والرزء انما يشتد على
النفس واظهر اثرا قلت هو دليل على تمادي اسفه على يوسف وانه لم يقع فانت عنه موقعه
وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولم ينسه او في المصاب بعد ولان
الرزء في يوسف كان فاعلة مصيباته التي تزينت عليها الرزايا في ولده فكان الاسف
عليه اسفا على من لحق به وابيضت عيناه اذا كثر الابيضاض محقت البهرة سواد العين
وقلبته الى بياض كدر هل عمي بصره وهل كان يدرك ادراكا ضعيفا قرئ من الحزن ومن
الحزن الحزن كان سبب البكاء البكاء الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن فيل ما
جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم
على الله تعالى من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد
يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساءه ظنه

ساعة قط فان قلت كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ قلت الانسان مجبول على
ان لا يملك نفسه عند الشدايد من الحزن ولذلك حمد حمد صبره وان يضبط نفسه حتى لا
يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين
تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من
الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه بكى على بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا
عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن
رحمه الله تعالى انه بكى على ولد او غيره فقيل له في ذلك فقال ما رايت الله جعل الحزن عارا على
يعقوب فهو كظيم فهو مملوء من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل
قوله فهو مكظوم من كظم السقا اذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال
اخذ بكظامه تفتأ اراد لا تفتأ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان
اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه فقلت يمين الله ابرح قاعدا ومعنى لا تفتأ لا تزال
وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتوء والفتور اخوين يقال ما فتئ يفعل قال اوس
فما فتئت خيل تثوب وتدعى ويلحق منها لاحق وتقطع حرضا مشفيا على الهلاك مرضا
واحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر والصفة حرض
الراء ونحوهما دنف ودنف وجاءت القراءة بهما جميعا وقرا الحسن حرضا ونحوه في الصفات
رجل جنب وغرب البث الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره ومنه
باثه امره وابثه اياه ومعنى انما اشكوا اني لا اشكوا الى احد منكم ومن غيركم انما اشكوا الى ربي
داعيا له وملتجيا اليه فخلوني وشكايتي وهذا مع توليه عنهم اي فتولى عنهم الى الله والشكاية وقيل
دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ ابوك فقال
هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي
قال يا رب خطيئة اخطاتها فاغفر لي فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكوا بثي
وحزني الى الله وروي انه اوحى الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم
مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع اليه المساكين
وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم من

صنعه



صنعه ورحمته وحسن ظني به انه ياتيني بالفرج من حيث احتسب وروي انه راى ملك الموت
في منامه فساله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وقرا الحسن وحزني
بفتحتين وحزني بضمتين قتادة فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما
وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وهما تفعل من الاحساس وهو المعرفة فلما احس عيسى منهم
الكفر ومن الجس وهو الطلب ومنه قالوا لمشاعر الانسان الحواس والجواس من روح الله من فرجه
وتنفيسه وقرا الحسن وقتادة من روح الله بالضم اي من رحمته التي تحيا بها العباد والضر
الهزال من الشدة والجوع مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من
ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب فقيل كانت من متاع الاعراب صوفا وسمنا
وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا
بوضيعة فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا وتفضل علينا بالمسامحة
والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا يلزمه صدقة
لان الصدقات محظورة على الانبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وسئل ابن
عيينة عن ذلك فقال الم تسمع وتصدق علينا اراد انها كانت حلالا لهم والظاهر انهم تمسكوا
له وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم ومن ثم رق عليهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك ان عرفهم نفسه
وقوله ان الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التي يبتغى بها
المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي ان الله تعالى لا يتصدق انما
يتصدق الذي يبتغي الثواب قل اللهم اعطني او تفضل علي او ارحمني قال هل علمتم اتاهم من جهة
الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب ان يراعيه التائب فقال
هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه يعني
هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبح يدعوا الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة
فكان كلامه شفقة عليهم ونصحا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله على
حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق
ويدرك ثاره الموتور فلله اخلاق الانبياء ما اوطاها واسجحها ولله حصى عقولهم ما ارزنها وارجحها
وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه
الا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه اذ انتم صبيان في حد السفه والطيش قبل ان تبلغوا

وجعلت فداك فرضة لكذا الى نصيبين
وقوله ع ادخلوا الله عرضة لكذا

اوان الحلم والرزانة رُوى انهم لما قالوا استسنا واملنا الضُر ونتضرعوا الله ارفضت عيناه
ثم قاله هذا القول وصل اده الله كما بعقوب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهم
خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدى فشدت يداه ورجلاه ورُمى
به فى النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابى فوضع السكين على قفاه ليقتل
ففداه الله واما انا فكان لى ابن وكان احب ولدى الىّ فذهب به اخوته الى البريّة ثم اتونى
بقميصه ملطخا بالدم وقالوا هذا كله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن وكان
اخاه من اُمه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل
بيت لا نسرق وانك ان لم ترددته على والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك
والسلام فلما تواه يوسف الكتاب لم يتمالك وعبل صيحة فقال لهم ذلك وروى انه لما قرأ الكتاب
بكى وكتب الجواب اصبر كما صبر واتظفر كما ظفروا فان قلت ما تعلم باخيه قلت تعويضهم اياه للهم
والشكل بافراده عن اخيه لابيه واُمه وجفاوهم به حتى كان لا يستطيع ان تكلم احدا
منهم الا كلاما ذليلا للعزيز وايذاوهم له بانواع الاذى فرُئى آيبك على الا يسفهاهم وانك على الاجانب
وفى قراءة ابى ايبك او انت يوسف على معنى ايبك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثانى
عليه وهذا كلام متعجب يستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستيناف فان قلت كيف عرفوه قلت رآوا فى
رؤياه وشمايله حين كلمهم ملك ما تشعر وابه انه موسع عليهم بان ما خاطبهم به لا يصدر مثله الا
عن حنيف مسلم من سنخ ابراهم لا عن بعض اعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه
وكانت كاللولوء المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن راسه فنظروا الى علامة بقونه
كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضا فان قلت هلا سالوه عن يعقوب فلم اجابهم
عنها وعن اخيه على ان اخاه كان معلوما لهم قلت لانه كان فى ذكر اخيه بيان لما سالوه عنه
من يتق من يخف الله وعقابه ويصبر عن المعاصى وعلى الطاعات فان الله لا يضيع اجرهم
توضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين لقد آثرك الله علينا اى فضلك
علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وان شاننا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين للاثم
لم نتق ولم نصبر لاجرم ان الله اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن بين يديك لا تثريب عليكم لا تانيب
عليكم ولا عتب اصل التثريب من الثوب وهو الشحم الذى ملوغا شيه الكرش ومعناه ازالة
الثوب وهو الشحم الذى كما ان التخليد والكرش ازالة الجلد والفرح لانه اذا ذهب كان ذلك

غاية الهزال والجحف الذى ليس بعده ضرب مثلا للمفرط الذى سرف الاعراض ويذهب بالوجن
فان قلت لم تعلق اليوم قلت بالتثريب او بالمقدر فى عليكم من معنى الا يسفر او نغفر
والمعنى لا اثر بكم اليوم وهو اليوم الذى هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتداء
دعا لهم بغفران الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم بعد ان غفر الله لك ونغفر الله لك على لفظ الماضى
والمضارع جميعا وهذا قول المتشمتين بهديكم الله ويصلح بالكم او اليوم نغفر الله لكم استغفار بعاجل
غفران الله لما جدد لهم ميلاد من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخذ بعضادتى باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما تزعمون انى فاعل بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم
وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول لكم كما قال اخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروى ان ابا سفيان
لما جاء ليسلم قال له العباس اخ اتيت لرسول الله قائل عليه قال لا تثريب عليكم اليوم يفعل الله
رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك ولمن علمك وروى ان اخوته لما عاينوه ارسلوا اليه انك
تدعونا الى طعامك كرة وعشيا ونحن نستحى منك لما فرط منا فيك فعال يوسف ان اهل مصر وان
ملكت منهم فانهم ينظرون الىّ بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما
بلغ وقد شرفنى الله بكم وعظمت فى العيون حتى علم الله يسئل كم اخوتى وانى من حفدة ابراهم
اذهبوا بقميصى هذا هو القميص المتوارث الذى كان فى تعويذ يوسف وكان من الجنة امر
جبريل ان يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا تقع على مبتلى ولا على سقيم الا عوفى ماتت بصيرا ابصر به بصيرا
كقولك جاء البنا محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا او بانت الىّ وهو بصير وبشره قوله والقوه
يا ابانا يا ابانا يا ابتاه يا ابتاه يا ابتاه

بصيرا يقال رده فارتد وارتده اذا ارتجعه الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف او
قوله لا تيأسوا من روح الله وقوله اني اعلم كلام مبتداء لم يقع عليه القول ولك ان توقعه عليه
وتريد قوله انما اشكوا بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون وروي انه سال البشير
كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال
الان تمت النعمة سوف استغفر لكم قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة
ليتعمد به وقت الاجابة وقيل ليتعرف حالهم في صدق التوبة واخلاصها وقيل اراد الدوام
على الاستغفار لهم فقد روي انه كان يستغفر لهم في كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل
قام الى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري
عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى اليه ان الله ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين وروي
انهم قالوا له وقد علتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك
بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعوا وقام يوسف خلفه
يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم فظنوا انها الهلكة نزل
جبريل فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد
اختلف في استنبائهم فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة
ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر
باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكا على يهوذا فنظر الى الجند والناس فقال يا يهوذا
اهذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل
ان يوسف قال له لما التقيا يا ابة بكيت علي حتى ذهب بصرك الم ان القيامة تجمعنا قال
بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر
وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامراة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة الف
وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي
الف آوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن ابي اسحق كانت امه تحيا وقيل هما ابوه
وخالته ماتت امه فتزوجها يعقوب وجعلها احد الابوين لان الرابة تدعى اما لقيامها
مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب ومنه قوله واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق
فان قلت ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر قلت كانه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب او

من قولها

عقاد الوية جرار ناصية جواب قاصية للخيل جراد

قال عمر ملك اهل العقد يريد اصحاب الولايات على الامصار
من عقد الولاية للامراء

بيت ثم فدخلوا عليه وضم اليه ابويه ثم قال لهم ادخلوا مصر ان شاء الله امنين ولما دخل مصر
وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما على السرير وخروا
له يعني الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا ويجوز ان يكون قد خرج في قبة من قباب الملوك
التي تحمل على البغال فامر ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه القبة فاواهما اليه بالضم والاعتناق
وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر فان قلت ثم تعلقت المشية قلت بالدخول مكيفا
بالامن لان القصد الى اتصالهم بالامن في دخولهم فكانه قيل اسلموا وائتمنوا في دخولكم ان شاء
الله ونظيره قولك للغازي ارجع سالما غانما ان شاء الله فلا تعلق المشية بالرجوع مطلقا ولكن
مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر امنين ان شاء الله دخلتم آمنين
ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع
التفاسير ان قوله ان شاء الله من باب التقديم والتاخير وان موضعها ما بعد قوله سوف
استغفر لكم ربي في كلام يعقوب وما ادري ما اقول فيه وفي نظائره فان قلت كيف جاز لهم
ان يسجدوا لغير الله قلت كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام
والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من افعال شهرت في التعظيم
والتوقير وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يأباه وقيل
معناه وخروا لاجل يوسف سجدا لله وهذا ايضا فيه نبوة يقال احسن اليه وبه وكذلك اساء
اليه وبه قال اسيئي بنا او احسني لا ملومة من البدو من البادية لانهم كانوا اهل عمد
واصحاب مواش يتنقلون في المياه والمناجع نزغ افسد بيننا واغرى واصله من نخس الرائض
الدابة وحمله الجري يقال نزغه وسنغه اذا نخسه لطيف لما يشاء لطيف التدبير لاجله
رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب وروي ان يوسف اخذ بيد يعقوب فطاف به في
خزائنه فادخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير
ذلك فلما ادخله خزانة القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان
مراحل قال امرني جبريل قال اوما تسئله قال انت اسبط اليه مني فساله قال جبريل الله امرني
بذلك لقولك اخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة
ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر
وعاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم

الخالد فماتت نفسه الله فتمنى الموت وقتل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا
طاهرا فخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال
فراوا من الراي ان عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان تمر عليه
عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد له افرايم وميشا وولد لافرايم نون
والنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت القراءة عنه والعمالقة بعد مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت
ايديهم على بقايا دين يوسف واباءه الى ان بعث محمدا صلى الله عليه وسلم من ملك مصر وبعض
الاحاديث للتبعيض لانه لم يوت الا بعض ملك الدنيا او بعض ملك مصر وبعض لك اولا انت ولي انك الذي
ستولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك العالي بالملك الباقي توفني مسلما طلب لوفاه على حال الاسلام
ولان تختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب عليه السلام لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون وجوز ان
يكون تمنيا للموت على ما فعل الصالحين من آبائه او على العموم وعن عمر بن عبد العزيز ان ميمون
بن مهران مات عنده فراه كثير البكاء والمسئلة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كبيرا اجبت
سننا وامتّ بدعاء وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال افلا اكون كالعبد الصالح لما اقرّ
الله عينه وجمع له امره قال توفني مسلما والحقني بالصالحين فان قلت علام انتصب فاطر
السموات قلت على انه وصف لقوله ربّ كقولك اخا زيد حسن الوجه او على النداء ذلك اشارة
الى ما سبق من نبا يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومحله الابتداء وقوله
من انباء الغيب نوحيه اليك خبرا ان وجوز ان يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن انبا الغيب صلته
ونوحيه الخبر والمعنى ان هذا البناء غيب لم تحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر يعقوب
حين اجمعوا امرهم وهم الفاوهم اضمارهم في البير لقوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وهذا
تحكم بقريش وتمن لكذبه لانه لم يخف على احد من المكذبين انه لم يكن من حملة هذا الحديث
واشباهه ولا الفى فيها احدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا اخبر به وقصّه هذا القصص
العجيب الذي يعجز حملته ورواته لم يقع شبهة في انه ليس منه وانه من جهة الوحي فاذا انكروه
تحكم بهم قد علمتم بامكابر انه لم يكن ممتنا هذا لمن مضى من القرون الخالية وكون وما كنت بجانب
الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وهم يمكرون بيوسف وسنفوت له الخوايل وما اكثر الناس ولو حرصت
كقوله ولكن اكثر الناس لا يوقنون وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه اراد اهل مكة اي وما هم بمومنين ولو
وتنا لكت على ايمانهم لتضيمهم على الكفر وعنادهم وما تسئلهم على ما حدثتهم به

وتذكيرهم

وتذكرهم ان تنيلوك منفعة وجدوى كما يعطى حملة الاحاديث والاخبار ان هم الا ذكرى عظة
من الله للعالمين عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله من آية من علامة
ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده ممرون عليها وتشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون
بها وترى والارض بالرفع على الابتداء وممرون عليها خبره وقراءة السدي والارض بالنصب على ويطؤن
الارض ممرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها يرفع الارض والمراد ما يرون من اثار
الامم الهالكة وغيرهم لكن من العبر وما يومن اكثرهم في اقرارهم بالله بانه خلقه وخلق السموات
والارض الا وهو مشرك بعبادة الوثن وعن الحسن هم اهل الكتاب معهم شرك وايمان وعن ابن
عباس رضي الله تعالى عنه هم يشبهون الله بخلقه غاشية نقمة تغشاهم وقتل ما يغمرهم من
العذاب بجلله وقيل الصواعق هذه سبيلي هذه السبيل التي هي الدعوة الى الايمان والتوحيد
سبيلي والسبيل والطريق تذكر ان ويونثان ثم فسر سبيله بقوله ادعوا الى الله على بصيرة اي
ادعوا الى دينه مع حجة واضحة غير عميا وانا تاكيد للمستتر في ادعوا ومن اتبعني عطف عليه
يريد ادعوا اليها انا ومن دعوا اليها من اتبعني وجوز ان يكون انا مبتدا وعلى بصيرة خبرا مقدما
ومن اتبعني عطفا على انا اي انا اخبر ابتداء بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى
وجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو عاملة للرفع في انا ومن اتبعني وسبحان الله وانزهه
من الشركاء الا رجالا لا ملايكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملايكة وعن ابن عباس يريد
ليست فيهم امراة ونزل في سجاح المتنبية ولم يبعث الله نبيا الا من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والفسوق ولدار الاخرة الساعة او الحال الاخرة خير للذين اتقوا الذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه وترى افلا
يعقلون بالياء والتاء حتى معلقة بمحذوف قبل علة الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
نتراخى نصرهم حتى اذا استيئسوا عن النصر وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم
ينصرون او جاءهم نصرنا لرسلهم او جاء رسلهم نصرنا فنجينا من شئنا وجاء كاذب والمعنى ان مدة المكذب والعذاب من الكفار
وانتظار النصر من الله وتاخيله وتطاول عليهم ونمادت حتى ايئسوا العنوط وتوهموا ان لا نصر
لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجاءة من غير احتساب وعن ابن عباس رضي الله عنهما وظنوا حين ضعفوا
وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله تعالى من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول
والذين امنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما خطر بالبال وتحدث به في القلب

من شبه الوسوسة وحدث النفس على ما علله البشرية واما الظن الذى هو ترجح احد الجايزين على الآخر
فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه منعال عن خلف الميعاد
منزه عن كل قبيح وقتل وظن المرسل لهم ان الرسل قد كذبوا اى اخلفوا اى وظن المرسل لهم انهم
كذبوا من جهة الرسل اى كذبتهم الرسل فى انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرى كذبوا بالتشديد
على وظن الرسل انهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصر عليهم وقرا مجاهد كذبوا بالتخفيف
على البناء للفاعل على وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة اما على قول ابن
عباس رضى الله عنه فظاهر واما على قول من دونه فلان البشر قد يظن ان ما وعد به قد لا يكون
اى وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا ولو قرى كذبوا هذا مشددا لكان معناه وظن الرسل ان قومهم
كذبوهم فى موعدهم قرى فننجى بالتخفيف والتشديد من انجاه ونجاه وننجى على لفظ الماضى المبنى للمفعول
وقرا ابن محيصن فنجا والمراد بمن نشاء المؤمنون لانهم الذين يستنقذون ان لشاء نجاتهم وقد
بين ذلك بقوله تعالى ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين الضمير فى قصصهم للرسل وبصره قراءة
من قراءة فى قصصهم بكسر القاف وفتل هو راجع الى يوسف واخوته فان قلت فالام يرجع الضمير فى
ما كان حديثا يفترى فيمن قراءة بالكسر قلت الى القران اى ما كان القران حديثا ولكن كان
تصديق الذى بين يديه اى قبله من الكتب السماوية وتفصيل كل شى يحتاج اليه فى الدين لانه
القانون الذى يستند الى السنة والاجماع والقياس بعد ادلة العقل وانتصاب ما نصب بعد
لكن العطف على خبر كان وقرى ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذى بين يديه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم علموا ارقاكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله
الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مختلف فيها

وهى خمس وقيل ست وأربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم تلك اشارة الى ايات السورة والمراد بالكتاب
السورة اى تلك الايات ايات السورة الكاملة العجيبة فى ما بهاء قال والذى انزل اليك منى
القران كله هو الحق الذى لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفى اسلوب هذا الكلام تنويه
الانماء بينة بهم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها تويد الحكمة الله مبتدا والذى خبره
بدليل قوله تعالى وهو مد الارض وجوز ان يكون صفة وقوله تعالى بل بدا الامر يفصل الايات خبرا
بعد خبر وتنصر ما فقدمة من ذكر الايات رفع السموات بغير عمد ترونها كلام مستانف
استشهاد برويتهم لها كذلك وقيل هى صفة لعمد وبعضهم قراءة انى يرونه وقرى عمد

بضمين يدبر امر ملكوته ويبين بينه يفصل ايانه لعلكم توقنون بالجزاء وبان
هذا المدبر المفصل لابد لكم من الرجوع اليه وقراءة الحسن فيها زوجين اثنين خلق فيها من جميع
انواع الثمرات زوجين زوجين حين حامضا ثم كاثرت بعد ذلك فنوعت وقيل اراد
بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف
المختلفة يغشى الليل النهار يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعدما كان ابيض منيرا وقرى
يغشى بالتشديد قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى
سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للنخيل الى اخرى على
عكسها مع انتظامها جميعها فى جنس الارضية وذلك دليل على قادر مريد موقع الافعاله على وجه
دون وجه وكذلك الكروم والزروع والنخيل النابتة فى هذا القطع مختلفة الاجناس
والانواع وهى تسقى بماء واحد ونراها متفاوتة الثمر فى الاشكال والالوان والطعوم
والروائح متفاضلة فيها وفى بعض المصاحف قطعا متجاورات على وجعل وقرى وجنات
بالنصب للعطف على زوجين وبالجر على كل الثمرات وقرى وزرع وخيل بالجر عطفا على اعناب
او جنات والصنوان جمع صنو وهى النخلة لها راسان واصلهما واحد وقرى بالضم فالكسر
لغة اهل الحجاز والضم لغة بنى تميم وقرئ تسقى بالتاء والياء ونفضل بالنون وبالياء
على البناء للفاعل والمفعول جميعا فى الاكل بضم الكاف وسكونها وان تعجب يا محمد من موقع
فى انكارهم البعث فقولهم عجيب حقيق بان يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك
من الفطر العظيمة ولم يعى بخلقهن كانت الاعادة اهون شى عليه وايسره فكان انكارهم
اعجوبة من الاعاجيب ايذانا منذا الى اخر قولهم بجواز ان يكون فى محل الرفع بدلا من قولهم وان
يكون منصوبا بالقول واذا نصبت دل عليه قوله ايذا لفى خلق جديد اولئك الذين كفروا
بربهم اولئك الكاملون المتمادون فى كفرهم واولئك الاغلال فى اعناقهم وصفها بالاصرار كقولهم
انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا ونحو لهم عن الرشد اغلال واقياد اومن حملة الوعيد
بالسيئة فعل الحسنة بالنقمة فعل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك انهم سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يانيهم العذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات
اى عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بمثلها فلا يستهزوا والمثلة العقوبة
بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة

مثلها ويقال امثلت الرجل من صاحبه واقتصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات
بضمتين لاتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم
وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات لذو مغفرة للناس
على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمين لانفسهم وفيه اوجه ان يريد
السيئات الكفرة لمجتنب الكبائر او الكبائر بشرط التوبة او يريد بالمغفرة والستر والامهال
وروي انه لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا احد العيش ولولا
وعيده وعقابه لاتكل كل احد لولا انزل عليه اية من ربه لم يعتدوا بالايات المنزلة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو ايات موسى وعيسى من انقلاب العصا
حية واحيا الموتى فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت رجل ارسلت منذرا مخوفا
لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول
منذر وصحة ذلك حاصلة باية اية كانت والايات كلها سواء في حصول صحة الدعوى
بها لا تفاوت بينها والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل شيء اية على حسب ما اقتضاه علمه
بالمصالح وتقديره لها ولكل قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه
من الهدايات وباية خص بها ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا في ايات مخصوصة ووجه
آخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك ايات ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما
انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في صدور ولست بقادر عليه ولكل قوم
هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله تعالى ولقد دل بما ردفه من ذكر ايات علمه وتقديره
الاشياء على قضايا حكمته ان اعطاءه كل مقدر ايات خلاف ايات غيره امر مدبر بالعلم النافذ
مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الى مقترحهم خيرا ومصلحة لاجابتهم واما على
الوجه الثاني فقد دل به على ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم
العالم باي طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما مستانفا
وان يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه الاخير ثم ابتدا فقيل يعلم ما يحمل كل انثى وما
في ما يحتمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه
يعلم ما يحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر
وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الارحام اي تنقصه يقال غاض

الماء وغضته انا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداد اي تاخذه زايدا تقول اخذت منه
حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه
ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين
وثلاثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون
تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي
حنيفة والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم
بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت
مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك
ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوض ما في الارحام وزيادته فاسند الفعل الى الارحام
وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيضوضة ان تضع لثمانية اشهر
او اقل من ذلك والازدياد ان يزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض الذي يكون سقطا لغير تمام
والازدياد ما ولد لتمام بمقدار بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه
بقدر الكبير العظيم الشان الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر
عن صفات المخلوقين وتعالى عنها سارب ذاهب في سربه بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال
سرب في الارض سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى اي طلب الخفاء في مختبا بالليل في ظلمته
ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد فان قلت كان حق العبارة ان يقال
ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب
والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب قلت فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على من
هو مستخف لا على مستخف والثاني انه عطف على مستخف الا ان من في معنى الاثنين كقوله
فكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار
والضمير في له مردود على من كانه قيل لمن اسر او جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات جماعات
من الملائكة تعقب في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله تعالى
وجاء المعذرون بمعنى المتعذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرا به وهو مفعلات من
عقبه اذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا ولانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه
يحفظونه من امر الله هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه قيل له معقبات

من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله اى من اجل ان الله امرهم بحفظه والدليل عليه
قراءة على وابن عباس وزيد بن على وجعفر بن محمد وعكرمة رضى الله عنهم اجمعين يحفظونه بامر
الله او يحفظونه من باس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسئلتهم ربهم ان يمهله رجاء
ان يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس
والجلاوزة خول الشيطان يحفظونه فى توهمه وتقديره من امر الله اى من قضاياه
ونوازله او على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب او معقبة والياء عوض من حذف
احدى القافين فى التكسير ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما
بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصى من وال ممن يلى امرهم ويدفع عنهم خوفا وطمعا لا يصح
ان يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف
اى ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة اطماعا ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من
البرق كانه فى نفسه خوف وطمع او على ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين اى خائفين
وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق عند لمع البرق ويطمع فى الغيث قال ابو الطيب
فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجا الحيا منها وتخشى الصواعق وقيل يخاف المطر من
له فيه ضرر كالمسافر ومن فى جريته التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع
اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له نفع وحياته السحاب اسم الجنس والواحدة سحابة
والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امراة كريمة ونساء كرام
وهى الثقال بالماء ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين
له اى يضجون سبحان الله والحمد لله وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح
الرعد بحمده وعن على رضى الله تعالى عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن
عباس رضى الله تعالى عنه ان اليهود سالت النبى صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة
موكل بالسحاب موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من
خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات
افئدتهم والمطر بكاؤهم والملائكة من خيفته وتسبح الملائكة من هيبته واجلاله
ذكر علمه النافذ فى كل شىء واستوا الظاهر والخفى عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته

ثم قال وهم يعنى الذين كفروا وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكروا اياته يجادلون فى الله حيث ينكرون
على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيى العظام وهى رميم ويردون
الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد ويجعلونه بعض الاجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله
فهذا جدالهم بالباطل كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال اى فيصيب
بها من يشاء فى حال جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن ربيعة العامرى قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت
فى بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتله اخبرنى عن ربنا امن نحاس هو ام من
حديد المحال المماحلة وهى شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل بكذا اذا تكلف استعمال الحيلة
واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا
ماحلا مصدقا وقال الاعشى فرع نبع يهش فى غصن المجد عزيز الندى شديد المحال
والمعنى انه شديد المكر والكيد باعدائه ياتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرا الاعرج
بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول من ذئب اى اشد حيلة ويجوز
ان يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا فى القوة والقدرة كما جاء فساعد الله اشد وموساه
احد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضلاع بما يعجز عنه غيره الا
ترى الى قولهم فقرته الفواقر وذلك ان الفقار عمود الظهر وقوامه دعوة الحق فيها
وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذى هو نقيض الباطل كما تضاف اليه فى قولك كلمة الحق
للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه
يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعى سؤله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه
حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما فى دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدى دعاؤه
والثانى ان تضاف الى الحق الذى هو الله عز وجل على معنى دعوة المدعو الحق الذى يسمع فيجيب وعن الحسن
رحمه الله عليه الحق هو الله وكل داع اليه دعوة الحق فان قلت ما وجه اتصال هذين الوجهين بما
قبله قلت اما على قصة اربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله ومكرمة من حيث
لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اكفنيهما بما شئت فاجيب
فيهما فكانت الدعوة دعوة حق واما على الاول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجعلون محاله بهم واجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دعا عليهم فيهم والذين يدعون والالهة

الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم شيئا من طلباتهم الا كباسط كفيه الا استجابه
كاستجابة باسط كفيه اى كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه
والماء جماد لا شعور به فيبسط كفيه ولا يعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يحشه عاه
ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا حس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وصل
شبهوا فى قلة جدوى دعائهم لالهتهم بمن اراد ان يغرف الماء ببيان يبسط اليه كفيه فبسطهما
ناشرا اصابعه فلم يبلغ كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من بثر بعيدة وقرئ تدعون بالتاء كباسط
كفيه بالتنوين الا فى ضلال لا منفعة فيها لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الالهة لم
يستطع اجابتهم ولم يسجد اى ينقادون لاحداث ما اراده فيهم من افعاله شاءوا او ابوا لا
يقدرون ان يمنعوا عليه وينقادوا له ظلا لهم ايضا حيث يتصرف على مشيئته فى الامتداد
والتقلص والفئ والزوال وقرئ بالغدو والاصال من آصلوا اذا دخلوا فى الاصيل قل الله حكاية
لاعترافهم وتاكيدا له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله
كقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول الناظر
لصاحبه اهذا قولك فاذا قال هذا قولى قال هذا قولك ضحكى انه ناظر مقترا له على واستبثقا منه
ثم يقول له يلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز ان يكون تلقينا اى ان لم تقولوا عن الجواب
فلقنهم فانهم سيلقنونه ولا تقدرون ان تكذبوه افتخذتم من دون الله اولياء بعد ان علمتم
رب السموات والارض انخذتم من دونه اولياء فجعلتم ما كان ما كان يجب ان يكون سببا
للوحيد من علمكم وانوارهم لسبب الاشراك لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون لانفسهم
ان ينفعوها او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد اثنموهم على الخالق الرازق
المعيب المعاقب فما ابين ضلالتكم ام جعلوا بل اجعلوا ومعنى الهمزة الانكار وخلقوا صفة
لشركاء يعنى انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين مثل خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى
يقولوا قدروا على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فيتخذهم له شركاء ونعبدهم
كما يعبد الله لا فرق بين خالق وكلهم الخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه
الخلق فضلا ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شئ لا خالق غير الله وهو لا
يستقيم ان يكون له شريك فى الخلق فلا يكون له شريك فى العبادة وهو الواحد المتوحد فى
الربوبية القهار لا نقائض ما عداه مربوب ومقهور هذا مثل ضربه الله للحق واهله

والباطل وحزبه كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق واهله بالماء الذى
ينزل من السماء فتسيل به اودية الكاس فيحيون به وينعشهم انواع المنافع وبالفلز الذى ينفعون به
فى صوغ الحلى منه واتخاذ الاوانى والالات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذى هو الباس الشديد
لكفى به وان ذلك ما كان فى الارض باق بقاء ظاهرا ثبت لما فى منافعه وبقى اثاره فى العيون
والبيئار والجبوب والثمار التى تنبت به مما يدخر وتكتن وكذلك الجواهر تبقى ازمنة متطاولة
وشبه الباطل فى سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذى
يربى به وبزبد الفلز الذى تطفو فوقه اذا اذيب فان قلت لم تكرر الاودية قلت لان المطر لا
ياتى الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض دون بعض فان قلت فما معنى
قوله بقدرها قلت بمقدارها الذى عرف الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار الا ترى الى قوله واما
ما ينفع الناس لانه ضرب المطر مثلا للحق فوجب ان يكون مطرا ظالصا للنفع خاليا من المضرة ولا
يكون كبعض الامطار والسيول الجوارف فان قلت فما فايدة قوله تعالى اسفاحلية او متاع
الفايدة فيه كالفايدة فى قوله بقدرها لانه حمع الماء والفلز فى النفع فى قوله واما ما ينفع الناس
لان المعنى واما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع مما يوقد عليه منه ويذاب
وهو الحلية والمتاع وقوله ومما يوقدون عليه فى النار اسفاحلية او متاع عبارة جامعة لانواع
الفلز مع اظهار الكبرياء فى ذكره على وجه التهاون به كما هو مجرى الملوك نحو ما جاء فى ذكر
الاجراد قد لى يا هامان على الطين ومن للابتداء اى وامنه بقدر نشاز يد مل زبد الماء او للتبعيض
بمعنى وبعضه زبد ربيا منتفخا مرتفعا على وجه السيل جفاء مجفوفا السيل اى يرمى به
وجفات القدر نزبدها واجفاها السيل واجفل وفى قراءة روبة بن العجاج جفالا وعن ابى
حاتم لا تقرأ بقراءة روبة لانه كان ياكل الفار وقرئ يوقدون بالياء اى يوقد الناس للذين
استجابوا اللام متعلقة بيضرب اى كذلك يضرب الله الامثال للموصين الذين استجابوا والكافرين
الذين لم يستجيبوا اى هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا اى استجابوا
الاجابة الحسنى وقوله ان لهم كلام مبتدا اى ذكر ما اعد لغير المستجيبين وصل وديم الكلام
عند قوله كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام مستانف والحسنى مبتدا خبره للذين استجابوا
والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهى الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره لو ان لهم ما فى حيز وسوء
الحساب المناقشة فيه وعن النخعى ان حاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شئ دخلت همزة

الانكار على الفاء في قوله أفمن يعلم لانكار ان يقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في ان حال من علم ان ما
انزل اليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد
والماء والخبث والابريز انما يتذكر اولوا الالباب اي الذين عملوا على مقتضيات عقولهم فنظروا واستبصروا
الذين يوفون بعهد الله مبتدا واولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله اولئك
لهم اللعنة ونحوه ان يكون منه لاولي الالباب والاول اوجه وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من
الشهادة بربوبيته واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ولا
ينقضون كل ما لوثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد
تعميم بعد تخصيص ما امر الله به ان يوصل من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقرابة المومنين الثانية بسبب الايمان انما المومنون اخوة بالاحسان اليهم على
حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين انفسهم
وبينهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعات حق الاصحاب
والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما يعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل
بن عياض ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم قالوا من اهل خراسان قال اتقوا وكونوا من
حيث شئتم واعلموا ان العبد لو احسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فاساء اليها لم يكن من المحسنين
ويخشون ربهم اي يخشون وعيده كله ويخافون خصوصا سوء الحساب فيحاسبون انفسهم
قبل ان يحاسبوا صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال ومشاق التكليف
ابتغاء وجه الله تعالى لا لنقال ما اصبره واحلمه للنوازل واوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب
بالجزع ولئلا يشمت به الاعداء كقوله وتجلدي للشامتين ولا لانه لا طائل تحت الهلع ولا مرد
فيه للفائت كقوله ما ان جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاي زيدا وكل عمل له وجوه يعمل عليها
فعلى المومن ان ينوي منها ما به كان حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلا فعل
مما رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله تعالى سرا وعلانية يتناول
النوافل لانها في السر افضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها فعيا للتهمة ويدرؤن بالحسنة
السيئة ويدفعونها عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم
من سيئ غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن
كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغييره عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة

لانها

لانها التي اراد الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها وجنات عدن بدل من عقبى الدار
وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين اليها ومن فتح سكن العين
ولم ينقل وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول وقرا ابن ابي عبلة صلح بضم اللام والفتح افصح اعلم
ان الانساب لا تنفع اذا تجردت من الاعمال الصالحة اباؤهم جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل
من ابائهم وامهاتهم سلام عليكم في موضع الحال لان المعنى قائلين سلام عليكم او مسلمين فان قلت
بم تعلق قوله بما صبرتم قلت بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم تعنون هذا الثواب بسبب صبركم او
بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى ان تعبتم في الدنيا لقد
استرحتم الساعة كقوله بما قد ارى فيها او انس بدنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ياتي
قبور الشهداء على راس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز ان يتعلق
بسلام اي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه من الاعتراف والقبول
سوء الدار يحتمل ان يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار ويجوز ان يراد بالدار جهنم
وبسوء ما عذابها الله يبسط الرزق اي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره وهو الذي
بسط رزق اهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح سرور بفضل
الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الاخرة وخفي عليهم ان نعيم الدنيا
في جنب نعيم الاخرة ليس الا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تميرات او شربة
سويق او نحو ذلك فان قلت كيف طابق قولهم لولا انزل عليه اية من ربه قوله ان الله يضل من يشاء قلت
هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك ان الايات الباهرة المتكاثرة التي اوتيها رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يوتها نبي قبله وكفى بالقران وحده اية وراء كل اية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه
كان اية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستكثار فكانه قيل لهم ما اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم
على كفركم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل الى
اهتدائهم وان انزلت كل اية ويهدي اليه من كان على خلاف صفتكم اناب اقبل الى الحق وحقيقته دخل
في نوبة الخير والذين امنوا بدل ممن اناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق
والاضطراب من خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او تطمئن قلوبهم بذكر دلائله الدالة
على وحدانيته او تطمئن بالقران لانه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها الذين امنوا مبتدا
وطوبى لهم خبره ويجوز ان يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف اي تطمئن القلوب قلوب الذين

الذين امنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا ومحلها
النصب والرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراة في قوله وحسن ماب بالرفع
والنصب بذلك على محليها واللام في لك للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة
ما قبلها كموقن وموسر وقراء مكوزة الاعرابي طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم اليا كما قيل بيض ومعيشة
كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني ارسلناك ارسالا له فضل وشان على ساير الارسالات
ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك في امة قد تقدمتها امم كثيرة
فهي اخر الامم وانت خاتم الانبيا لتتلوا عليهم الذي اوحينا اليك ليقرا عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا
اليك وهم يكفرون وحال هاولاء انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شي
وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القران المعجز المصدق
الكتب عليهم قل هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه مآب
فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم ولو ان قرانا جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو اني قمت
وتترك الجواب والمعنى ولو ان قرانا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها
وقطعت به الارض حتى تتصدع وتتزايل قطعا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القران
لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف كما قال لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته
خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا بعض ما فسرت به قوله لتتلوا عليهم الذي اوحينا
اليك من ارادة تعظيم ما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القران وقيل معناه ولو ان قرانا
وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما امنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله
تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وقيل ان ابا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
سير بقرانك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطايع كما سخرت لداود ان
نبيا كما زعمت فليست باهون على الله من داود او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام ثم نرجع
في يومنا فقد شق علينا قطع المسافرة البعيدة كما سخرت لسليمان او ابعث لنا به رجلين او
ثلاثة ممن مات من ابائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير
ومجاوزتها وعن الفرا هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرانا سيرت به الجبال
وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به الارض شققت فجعلت انهارا وعيونا
بل لله الامر جميعا على معنيين احدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الايات التي اقترحوها

الا

الا ان علمه بان اظهارها مفسدة بصرفه والثاني بل لله ان يلجيهم الى الايمان وهو قادر على الالجاء
لولا انه بنى امر التكليف على الاختيار ويعضده قوله تعالى افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشا الله يعني
مشيته الالجاء والقسر لهدى الناس جميعا ومعنى افلم ييأس افلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع
وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليأس عن الشيء عالم بانه لا يكون كما
استعمل الرجا في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي
اقول لهم بالشعب اذ يبشرونني الم تياسوا اني ابن فارس زهدم ويدل عليه ان عليا وابن عباس
وجماعة من الصحابة والتابعين قراوا افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل انما كتبه الكاتب
وهو ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا
في ايدي اوليك الاعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلايله ودقايقه خصوصا
عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البنا هذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز ان يتعلق
ان لو شاء بامنوا على اولم يقنط عن ايمان هاولاء الكفرة الذين امنوا بان لو يشا الله لهدى الناس جميعا
ولهداهم تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة داهية تقرهم بما يحل الله بهم في كل وقت
من صنوف البلايا والمصايب في نفوسهم واولادهم واموالهم او تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون
ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها حتى ياتي وعد الله وهو موتهم او القيامة
وقيل ولا تزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعث السرايا فتغير حول مكة فتختطف منهم وتصيب من مواشيهم
او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى ياتي وعد الله وهو فتح مكة وكان
الله قد وعده ذلك الاملاء الامهال وان يترك ملاوة من الزمان في خفض وامن كالبهيمة يملى لها في
المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الايات على رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به وتسلية له
افمن هو قائم احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني افالله الذي هو قائم رقيب على كل نفس صالحة او طالحة بما
كسبت يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدا ويعطف
عليه وجعلوا تمثيله افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة
وحده شركاء قل سموهم اي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه باسمائهم ثم قال ام تنبئونه على
المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان تعرف ومعناه بل اتنبئونه بشركا لا يعلمها

الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي
ان يكونوا له شركاء ونحوه قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام بظاهر من القول بل
اتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة كقولك ذلك قولهم بافواههم
ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد
عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه
فتبارك الله احسن الخالقين وقرئ اتنبئونه بالتخفيف مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا
قرئ بالحركات الثلاث وقرا ابن اسحق وصد بالتنوين ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه انه لا
فما له من هاد فما له من احد يقدر على هدايته لهم عذاب في الحيوة الدنيا وهو ما ينالهم
والاسر وساير المحن ولا يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا وما لهم من الله
وما لهم من جهته واحق من رحمته مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاع
بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه اي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقال
الخبر تجري من تحتها الانهار كما يقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة
تجري من تحتها الانهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد وقرا علي رضي الله تعالى
عنه امثال الجنة على الجمع اي صفاتها اكلها دائم كقوله تعالى لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دائم لا
ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس والذين اتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام
وكعب واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلاثون بارض
الحبشة هو لا يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفي
نجران واشياعهما من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو
ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت للاسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع فان قلت كيف اتصل قوله تعالى قل انما امرت ان اعبد
الله بما قبله قلت هو جواب للمنكرين معناه انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك
به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب
عبادة الله وان لا تشرك به قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا
الله ولا نشرك به شيئا وقرا نافع في رواية ابي خليد لا اشرك به بالرفع على الاستيناف كانه

قال

قال وانا لا اشرك به ويجوز ان يكون في موضع الحال على معنى امرت ان اعبد الله غير مشرك
به اليه ادعوا خصوصا لا ادعوا الى غيره واليه لا الى غيره مرجعي وانتم تقولون مثل ذلك
فلا معنى لانكاركم وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مامورا فيه بعبادة الله
وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة عربية
مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امور
يوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ان حوله الله عنها فقيل له ان تابعتهم على دين ما هو
الا اهواء وشبهة بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر
واهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات
في الدين والتصلب فيه وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الشكيمة بمكان كانوا يعتبونه بالزواج والولاد كما كانوا
يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وكانوا يقترحون عليه الايات وينكرون
النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان ياتوا بايات برايهم
ولا ياتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم
يكتب على العباد اي يفرض عليهم على ما تقتضيه استصلاحهم يمحوا الله ما يشاء ينسخ ما
يستصون نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ وقيل يمحوا
من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مامورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت
غيره وقيل يمحوا كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل يمحوا بعض
الخلائق ويثبت بعضا من الاناسي وساير الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها
والكلام في نحو هذا واسع المجال وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ كان كل كائن
مكتوب فيه وقرئ يثبت واما نرينك وكيف ما دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم
من انزال العذاب عليهم او نتوفينك قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا الا
عليك حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم اولم يروا انا ناتي الارض
ارض الكفر ننقصها من اطرافها بما يفتح الله على المسلمين من بلادهم فينقص دار الحرب ويزيد في
دار الاسلام وذلك من ايات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون انا ناتي ننقصها من اطرافها افهم
الغالبون سنريهم اياتنا في الافاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك

فنحن نكفيك ونتم ما وعدناك من النظر ولا يضجرك فاحرص فان ذلك مما تعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسك ونفس عنها ما ذكر من طلوع نباشير الظفر وقوى تنفيضها بالتشديد لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب فلك لبيد طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس ويوم الحساب فعما قليل يحاسبهم في الاخرة بعد عذاب الدنيا فان قلت ما محل قوله تعالى لا معقب لحكمه قلت هو جملة محلها النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حاسرا وقد مكر الدين من ظلم وصفهم بالمكر مبالغة جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله تعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار لان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه اتاهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرأ حماد بن حبيش وسيعلم من اعلم اي سيخبر كفى بالله شهيدا لما اظهر من الادلة على رسالتي ومن عنده علم الكتاب هو الذي عنده علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما معنى الا الله والمعنى كفى بالذي يحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم وبعضكم قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة اي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعلم على البناء للمفعول وقرئ ومن عنك علم الكتاب فان قلت لم ارتفع علم الكتاب في القراءة التي وقع فيها عندك صلة بريفع العلم المقدر في الظرف يكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة أو خبرا في شبه الفعل لاعتماده على الموصول تحمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي لم يقع فيها عندك صلة مرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

سورة ابراهيم

سورة ابراهيم مكية وهي احدى وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم كتاب هو كتاب يعني السورة وقرئ ليخرج الناس الظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى بإذن ربهم بتسهيله

بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل للحجاب وذلك ما سمحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن امن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستيناف كانه قيل الى اي نور وفصل الى صراط العزيز الحميد وقوله الله عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي حق له العبادة كما غلب النجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله الويل تقبيح الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا تشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينتصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل فان قلت ما وجه اتصال قوله تعالى من عذاب شديد بالويل قلت لان المعنى انهم يولولون من عذاب شديد ويصيحون منه ويقولون ياويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون مبتدا خبره اولئك في ضلال بعيد ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعني الذين يستحبون او هم الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء عامل على تحصيل طلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من الاخر وقرئ الحسن ويصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال صده عن كذا وأصده اذا حمله على الصد وادخله عليه والناس يصدون عنهم والضمير في فيه راجع على قراءة يصدون لانه اذا صد عنه فقد صد عنهم وقرئ ويصدون بضم الياء من صد صدودا لانه لازم بمعنى صد غيره كقولك قمت وقمت زيدا وأصله من غير التعدي الى التعدي وأما صد فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كما وقفه لان الفصحاء استعملوا بصد ووقفه عن كذا في التعدية بالهمزة وبغونها عوجا مطلوبين لسبيل الله زيغا واعوجاجا وان دلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل وبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل في ضلال بعيد اي ضلوا عن طريق الحق وتفوهوا دونه بمراحل فان قلت فما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضلال لانه هو الذي يتباعد من الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد او في بعد لان الضال يتباعد عن الطريق مكانا فريبا وبعيدا الا بلسان قومه ليبين لهم اي ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته فان قلت لم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعثت

كونه دعاء او لانه وصف للمبتدأ اي ويل لهم من عذاب شديد

صدودا للتوا في الحوائم العطاش التي تحوم حول الماء والبيت الذي

المضارعة دل على ان ماضيه رباعيا فتحق ادغام العرة على صد لانه اذا كان ماضيه ثلاثيا او كان زايدا على الرباعي فحرف المضارعة مفتوح

الى الناس جميعا قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة
فان لم يكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم يكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم يكن للعرب حجة ايضا
قلت لا يخلوا اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة فكان
اولى الالسنة بلسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت
التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال ويشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من امم العجم مع ما
في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة
على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلايل الفوايد وما
يتكاثر من اتعاب النفوس وجد القرايح فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه
ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها
وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل امة بلسانها كما كلم امته
التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ
بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه بضم اللام والسين
مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله
عليه وسلم ورووه عن الضحاك وان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح
لان قوله لتبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله انزل التورية من السماء بالعربية لتبين
للعرب وهذا معنى فاسد فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا
يضل الا من يعلم انه لن يؤمن ولا يهدي الا من يعلم انه يؤمن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف
وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيته
الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف ان اخرج بمعنى اي اخرج لان الارسال
فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان يكون ان الناصبة للفعل وانما
صلح ان يوصل بفعل الامر لان الغرض وصلها انما يكون معه في تاويل المصدر وهو الفعل والامر
وغيره سواء في الفعلية والدليل على جواز ان يكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل
فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقايعه
التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب بحروبها وملاحمها كيوم ذي قار
ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل

عليهم

لان الترجمة تنوب عن ذلك ويكفي بقي ان ينزل بلسان واحد

بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر وقرئ الرياح في يوم عاصف
جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح والرياح كقولك يوم ماطر وليلة شاكرة وانما المشكور
لريحها وقرئ في يوم عاصف بالاضافة واعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام
وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين واجارة وغير
ذلك من صنايعهم شبهها في حبولها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة
الله والايمان وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا
من اعمالهم على شيء اي لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء ذلك
هو الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق او عن الثواب بالحق بالحكمة والغرض
الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقرئ خالق السموات والارض ان يشا
يذهبكم اي هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا اخر على شكلهم او على خلاف شكلهم
اعلاما منه باقتداره على اعلام الموجود يقدر على الشيء وجنس ضده وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر
بل هو هين عليه يسير لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي
الى شيء وانتفى الصارف يكون من غير توقف لتحريك اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه
صارف وهذه الاية بيان لابعادهم في الضلال وعظم خطاياهم في الكفر بالله لوضوح
اياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف
عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء وبرزوا لله ويبرزون يوم القيمة وانما جيء به بلفظ
الماضي لان ما اخبر به عز وعلا لصدقه كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى اصحاب الجنة
ونادى اصحاب النار ونظاير له ومعنى بروزهم لله والله لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له انهم
كانوا يستترون من الغيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان
يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية واخرجوا من قبورهم فبرزوا
الحساب لله وحكمه فان قلت لم كتب الضعفوء بواو قبل الهمزة قلت كتب على لفظ من يفخم الالف
قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علموء بني اسرايل والضعفوء الاتباع والعوام
والذين استكبروا سادتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع الى
الانبياء واتباعهم تبعا تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغايب وغيب او ذوي تبع والتبع
الاتباع يقال تبعه تبعا فان قلت اي فرق بين من في من عذاب الله وبينه في من شيء قلت

الاولى للتبعيض والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو بعض عذاب الله
الله ويجوز ان تكون للتبعيض معا بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله اي
بعض عذاب الله **فان قلت** فما معنى قوله لو هدانا الله لهديناكم **قلت** الذي قال لهم الضعفاء كان
توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل انتم مغنون عنا من باب التهكم لانهم
قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فاجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم بان الله لو هداهم
الى الايمان لهداهم ولم يضلوهم اما مورطين الذنب في ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا
لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من سيبة يقولون ذلك في الاخرة كما كانوا
يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المتقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون
لكم ويحسبون انهم على شيء ويجوز ان تكون المعنى لو كنا من اهل اللطف فلطفنا لهدينا واهتدينا
لهديناكم الى الايمان وصل معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم اي لاعنينا عنكم
وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان
علينا الجزع والصبر والهمزة وام للتسوية وكوح اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم وروي انهم
يقولون تعالوا نجزع فنجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فنصبر ون كذلك
ثم يقولون سواء علينا **فان قلت** كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله فلنا اتصاله به من حيث
ان عنا بهم لهم كان جزعا منهم فقالوا لهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا بدل ان نفسهم
وآباءهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا
فايدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والامر في ذلك اطم اولما قالوا هدانا الله طريق النجاة لاعنينا
عنكم والجيناكم كما يعنون الاقناط من النجاة فقالوا ما لنا من محيص اي منجا ومهرب من جزعنا ام
صبرنا ويجوز ان يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كانه قيل قالوا جميعا سواء علينا
كقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمضيف
يقال حاص عنه وحاض بمعنى واحد لما فضى الامر لما قطع الامر ونزح منه وهو الحساب في تضاد
الفريقين ودخول الاخر النار روي ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الاشقياء من الجن
والانس فيقول ذلك ان الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال فصدقكم كما وعدكم
ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر
والمعاصي والجيكم اليها الا ان دعوتكم الادعائي اياكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني ولبس الدعاء

من

من جنس السلطان ولكنه كقولك ما لخيتهم الا ضرب فلا تلوموني ولوموا انفسكم حيث اغتررتم بي
واطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار
الشقاوة او السعادة وحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا ان الزين
ولو كان الامر كما زعم المجبرة لعال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه
فان قلت قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به **قلت** لو كان هذا القول باطلا لبين الله بطلانه
واظهر ان كان على انه لا طايل له في النطق بالباطل في ذلك المقام الا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد
الحق ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى به بالحق والصدق وفي قوله وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل
قول الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي
لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا تغيثه والاصراخ الاغاثة وقرئ بمصرخي بكسر الياء وهي ضعيفة
وما يستشهد والها بيت مجهول **قال** لها مال لك يا نافي قالت له ما اتيت بالمرضي وكانه قدر ياء الاضافة
ساكنة فحركها بالكسر على اصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة
حيث قبلها الف في نحو عصاي وثمانيا لها وقبلها ياء **فان قلت** جرت الياء التي هي اول مجري الحرف الصحيح
لاجل الادغام فكانها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل **قلت** هذا
قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر ينتضأل الله العباد اني بما
اشركتموني مصدرية ومن قبل متعلقة بما اشركتموني يعني كفرت اليوم باشراكم اياي من قبل هذا
اليوم اي في الدنيا كقوله يكفرون بشركم ومعنى كفرهم باشراكهم اياه تبرؤهم منه واستنكارهم له كقوله
انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل متعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت
من قبل حين ابيت السجود لادم بالذي اشركتموني به وهو الله عز وجل ويقول شركت زيدا فاذا نقلت
بالهمزة قلت اشركته فلان اي جعلني شريكا وكوما هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم
الشيطان بالله طاعتكم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها وهذا آخر قول ابليس وقوله ان
الظالمين قول الله عز وعلا ويحتمل ان يكون من جملة قول ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت
ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وان يتصوروا في انفسهم ذلك
المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه ويجيهم وقرئ فلا تلوموني بالياء على الالتفات
الى المتكلمين كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقراءة الحسن وعمرو بن عبيد وادخل الذين امنوا على
فعل المتكلم معنى وادخلني انا وهذا دليل على انه من قول الله لا من قول ابليس باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم

الملائكة الجنة باذن الله وامره **فان قلت** فهم سلق في القراءة الاخرى وتولك وادخلهم انا كلام غير ملتئم **قلت** الوجه ان سلق وله باذن ربهم مما بعده اى تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعني ان الملائكة تحيتهم باذن الله قرئ الم تر ساكنة الواء كما قرئ ومن يتق وفيه ضعف ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه وكلمة طيبة نصب بضمر اى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا اكساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان تنصب مثلا وكلمة بضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ام قال كشجرة طيبة على انها خبر مبتدإ محذوف بمعنى هي كشجرة طيبة اصلها ثابت يعني في الارض ضارب بعروقها فيها وفرعها واعلاها وراسها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها على الاكثار بلفظ الجنس وقراءة انس بن مالك كشجرة طيبة ثابت اصلها **فان قلت** اى فرق بين القراءتين **قلت** قراءة الجماعة اقوى معنى لان في قراءة انس اجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت برجل ابوه قائم اقوى معنى من مررت برجل قائم ابوه لان المخبر عنه اذا علموا الاب لا رجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وكل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما شهادة ان لا اله الا الله واما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغيرذلك وعن انس رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المومن شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول الله ان اقولها وانا اصغر القوم وروي فسمعني مكان عمر واستحييت فقال لي عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت احب الي من حمر النعم قال صلى الله عليه وسلم الا انها النخلة وعن ابن عباس شجرة في الجنة وهو لها في السماء معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد المطلة كقولك في الجبل طويل في السماء تريد ارتفاعه وشموخه تؤتي اكلها كل حين ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها باذن ربها بتكوين خالقها وتسخير بارئها لعلهم يتذكرون لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اى صفتها كصفتها وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة واما الشجر الخبيث فكل شجر لا طيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله اجتثت استوصلت وحقيقته الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اى من استقرار يعني قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو واه غير ثابت والذي لا يبقى انما يضمحل عن دين بطلانه